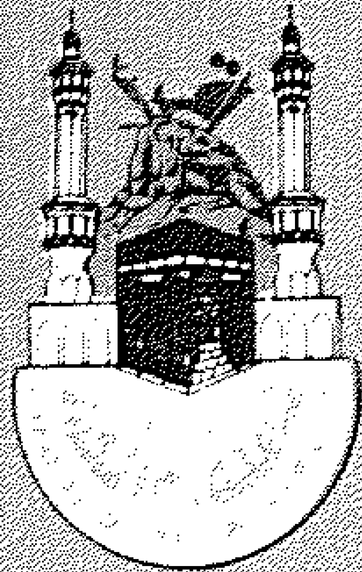
المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

غاية المرام

بأخبار سلطنة البلد الحرام

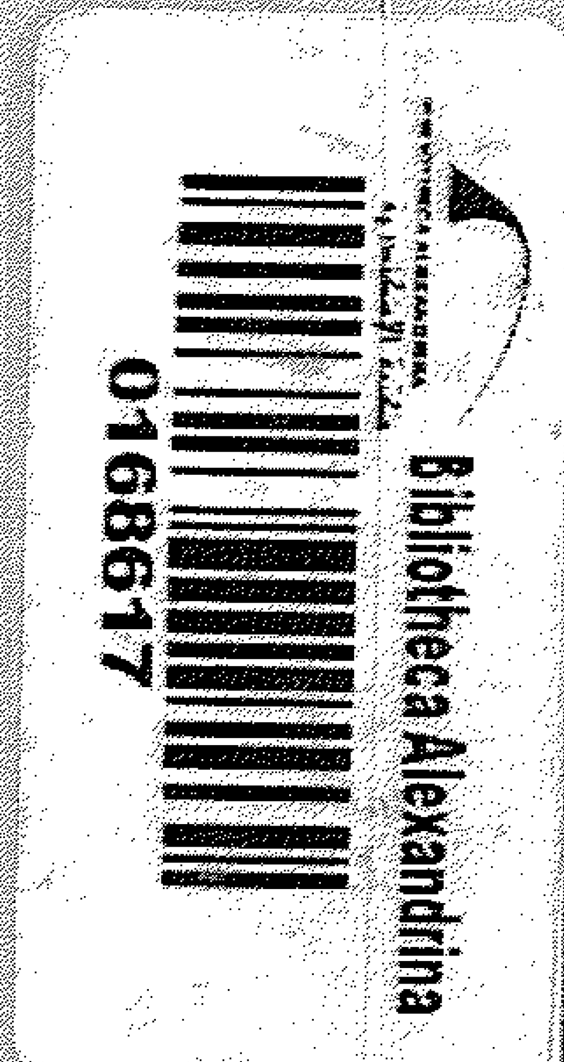
تأليف

عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي
(٨٥٠ - ٩٢٢ هـ)

تحقيق

فهيم محمد شلتوت

الجزء الثالث



غاية المرام

بأخبار سلطنة البلد الحرام

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

غاية المرام

بأخبار سلطنة البلد الحرام

تأليف

عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي

(٨٥٠ - ٩٢٢ هـ)

تحقيق

فهيم محمد شلتوت

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين . وبعد :

فهذا هو الجزء الثالث من كتاب « غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام » لعز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ، وهو يشتمل على ترجمة السيد الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي ، الذي ولد في سنة إحدى وستين وثمانمائة ، وتولى إمرة مكة — شريكاً لوالده — في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ؛ وَلَّاهُ إياها السلطان الأشرف قايتباي المحمودي ، حينما وفد الشريف بركات إليه بالقاهرة في جماعة من القضاء والفقهاء نيابة عن والده السيد الشريف محمد بن بركات سلطان الحجاز وأمير مكة .

واستمر شريكاً لوالده في إمرة مكة حتى توفي والده الشريف محمد في ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعمائة ؛ فانفرد بالإمرة .

ثم وقع الشقاق بينه وبين أخويه الشريف هزَّاع والشريف أحمد جازان ابتداء من سنة أربع وتسعمائة ، وتحاربوا وكانت الحرب بينهم سجالاً ، انكسر فيها الشريف بركات عدة مرات : إحداها في سنة

ست وتسعمائة فى موسم الحج بمواطأة الركب المصرى وأمرائه والأشراف بنى إبراهيم ، وتولى هزَّاع إمرة مكة ، واضطربت أحوال الناس ، وكثر النهب والخوف فى الطرقات ، ورجع حجاج البحر من الطريق ، ورفع التجار والمجاورون وغيرهُم من الناس صُرَاخَهم واستغاثاتهم من الجور والظلم ، ولا سميع ولا مجيب .

ولما عاد الركب المصرى من حَجِّه فرَّ الشريف هزَّاع من مكة إلى الينبع ؛ خوفاً من لقاء الشريف بركات ، ودخل الشريف بركات مكة ، وأمن الناس .

ثم عاد إليه الشريف هزَّاع بجموع من ينبع فى جمادى الأولى سنة سبع وتسعمائة والتقى هو والشريف بركات فى البرقاء ، فانكسر مرة ثانية ، وتوجه إلى اليمن . ودخل هزَّاع مكة ، وجاءته المراسيم السلطانية باستقراره فى ولاية مكة ، ولكن قضاء الله نزل به ؛ فتوفى فى رجب من السنة المذكورة .

وتولى إمرة مكة أخوه الشريف أحمد المدعو جازان بمساعدة قاضى القضاة أبى السعود بن ظهيرة .

وعلم الشريف بركات بوفاة أخيه الشريف هزَّاع وولاية أخيه أحمد جازان ؛ فجاء إلى مكة ، ودخلها فى منتصف شعبان من السنة ، وفرَّ جازان ، وجاءت المراسيم من السلطان بالاعتذار للشريف بركات ، وبولايته لإمرة مكة .

ولما عاد الركب المصرى من حَجِّه هذا العام رافقه الشريفُ بركات قاصداً أخاه جازان ، وتحاربا عند خُلَيْص فى سادس عشر الحجة من سنة سبع وتسعمائة ، وكُسِرَ الشريف للمرة الثالثة ، وعاد منهزماً مريضاً إلى مكة ، ثم توجه إلى اليمن ، ثم دخل جازان مكة .

وفى رجب سنة ثمان وتسعمائة عاد الشريف بركات إلى مكة بعد أن جمع جموعاً كثيرة وتحارب مع أخيه جازان بالمنحنى ، فَهُزِمَ بركات وكانت الكسرة الرابعة ، وتوجه إلى اليمن ، فتبعه جازان ، فعاد بركات من طريق آخر ودخل مكة فى حادى عشر شعبان من السنة المذكورة ، وتحارب مع أخيه جازان فانكسر جازانُ ، ولكن لم يطل انكساره ؛ لأن الشريف بركات خرج من مكة إلى اليمن فدخل جازان مكة ، وأهان أهلها وآذاهم بسبب مساعدتهم للشريف بركات وحبهم له .

ثم جاءت تجريدة من مصر ؛ فخرج الشريف جازان وجماعته من مكة هاربين ، وعاد إليها الشريف بركات فى ثالث عشر ذى القعدة سنة ثمان وتسعمائة ، وتلاقى مع الأمير قِيت الرجبى مقدم التجريدة ، فأظهر له قيتُ المودة ، وخلع عليه بالزاهر ، ولكنه كان يضمر أمراً ، فما أن استقر الشريف بركات وأتباعه بمدرسة الأشرف قايتباى حتى أحاط به قِيت الرجبى وأمراؤه وجنوده ، وقبضوا عليه وعلى بعض إخوته ، وانهزم بقية أتباعه ، ثم ذهب بهم إلى مصر مع ركب الحاج . وتولَّى جازان إمرة مكة . وفى مصر أطلَقَ السلطانُ

قانصوه الغورى سراحَ الشريف بركات وإخوته ، وعاملهم بكرامة تليق بهم .

وفى شهر رجب سنة تسع وتسعمائة قتلَ الأتراكُ الشريفَ جازان فى المطاف وهو فى شوطه الثالث عند باب الكعبة ، وقيل كان ذلك بمواطأة أخيه الشريف حُمَيْضَة بن محمد .

وتولى حميضة إمرة مكة ، وألبسه أمير الأتراك المقيمين بمكة خلعة الولاية حتى يأتى أمر السلطان من مصر .

وفى أواخر سنة تسع وتسعمائة تسحَّب الشريف بركات وخرج من مصر قاصداً الحجاز ، ولما علم السلطان بتسحبه أرسل خلفه من يقبض عليه فلم يلحقه . وقيل إن بعض الأمراء والمباشرين زيَّنوا للشريف الخروج من مصر ، ويَسَّرُوا له وسائله ؛ لأنهم خافوا عليه من دسائس أعدائه له عند السلطان ، وادعائهم عليه بأمور تغيِّر خاطره ، فيقبض عليه ويسجنه أو يقتله .

واستطاع الشريفُ بركات أن يجمع جَيْشاً من بنى لام ، وأهل الشرق ، وسائر المفسدين ، وقُطَّاع الطرق ، وذهب بهم إلى مكة فى سابع ذى الحجة ، ومنع الناس من الوقوف بعرفة ، ولكن أمراء الحاج صالحوه على مال ؛ فَخَلَّى بين الناس وبين أداء مناسك الحج .

وهرب الشريف حميضة ، ودخل الشريف بركات مكة ، وطاب خاطر السلطان قانصوه الغورى ، وأرسل إليه المراسيمَ بتفويض

إمرة الحجاز ونيابة السلطنة إليه . فَقَدَّمَ أخاه الشريفَ قَايتْبَاى فى ولاية إمرة مكة ، وأشرك معه وَلَدَه على بن بركات ، وكان يُدْعَى لهم عَلَى المنابر ، ويَنْفَرِدُ الشريف بركات بالدعاء فى خطبة الجمعة .

ومات الشريف قايتباى فى صفر سنة ثمان عشر وتسعمائة ، وحزن عليه الشريف بركات ؛ لصداقة صافية كانت بينهما .

وفى هذه السنة أرسل الشريف بركات ولده أبا نُمَىّ محمداً إلى مصر صحبة بعض الأمراء والقضاة ، وسِنُّ أبى نمىّ إذ ذاك ثمان سنين ، فأكرمه السلطان الغورى وقابله وجماعته بكل جميل ، وأشركه مع والده الشريف بركات فى ولاية مكة ، وهو بذلك العمر الصغير . وتوطَّدَت الصداقة بين السلطان الغورى وبين الشريف بركات ، ولم يعكر صفوها شيء إلى أن نزل بالسلطان الغورى ما نزل به مما لم يكن يخطر ببال . وهو هزيمة جيشه وفقدانه فى حربه مع السلطان سليم شاه العثمانى فى أواخر سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة .

* * *

هذا وقد توفى مؤرخنا عز الدين عبد العزيز بن فهد — كما سبق أن ذكرنا فى مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب — فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، ولذلك فإنه لم يترجم ترجمة مستقلة لإخوة الشريف بركات الذين زاحموه على الإمرة وتولوها . وهم :

الشريف هزاع بن محمد بن بركات .

الشريف أحمد ــ المعروف بجازان ــ بن محمد بن بركات .

الشريف حميضة بن محمد بن بركات .

والشريف قايتباى بن محمد بن بركات الذى تولى باختيار الشريف بركات له . ولم يختلف عليه أبداً . ومع هذا فترجمة بركات قد تضمنت كل أخبارهم التى تتصل بولايتهم للإمرة .

* * *

ولما كان كتاب « غاية المرام » قد انقطع عن التأريخ ــ فى المخطوطة التى بين أيدينا ــ خلال رجب سنة إحد وعشرين وتسعمائة فقد ألحقت به ملحقاً بالأخبار التى أوردها المؤلف نفسه فى كتابه « بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى » ووصل بها إلى جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة . وسَوَّغ لى أن أجعلها ملحقاً أنها من إنشاء المؤلف وردت فى مؤلف آخر له . وقد حرصت على موافقة ألفاظه وتعبيراته فيما اخترته من أخبار ، رأيت أنها تتفق ومنهج مؤلفنا فى كتابه « غاية المرام » . ولعلى أكون قد وفقت فى ذلك .

* * *

ولما كان الشريف بركات قد امتدت به الحياة إلى سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ؛ أى بعد وفاة المؤلف بحوالى تسع سنوات ، فقد رأيت أن أضمن هذه المقدمة ما جمعته من أخبار مكة ، وما له

علاقة بها مما حولها ، متوخياً منهج مؤلفنا فى كتابيه غاية المرام ، وبلوغ القرى . وبخاصة أن الدولة الإسلامية التى كانت تضم الحجاز والشام ومصر قد طرأ على قمة السلطة السياسية فيها تغيير جذرى أَزَالَ سلطة دولة المماليك الجراكسة فى أخريات سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وأوائل سنة ثلاث وعشرين .

فقد ساءت العلاقات بين السلطان قانصوه الغورى وبين السلطان سليم شاه العثمانى وترادفت الأخبار بعزم السلطان سليم على مهاجمة حلب والبلاد الشامية ، فأخذ السلطان قانصوه فى الاستعداد للخروج إلى الشام لصدِّ مَن يعتدى عليه ، فعين الأمراء المقدمين ، وطَلَّبَ الأطلاب ، وأعد العدة . وخرج فى جيوشه من مصر ، ودخل دمشق فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ ، ثم دخل حلب فى عاشر جمادى الآخرة من السنة .

وفى الخامس والعشرين من رجب سنة ٩٢٢هـ دهمه بمرج دابق عساكر السلطان سليم شاه ، ووقع القتال بين الجيشين فكان النصر أولاً لجيش قانصوه . ثم وقعت الخيانة من بعض أصحابه كالأمير خاير بك نائب حلب الذى فرَّ بطلبه منهزماً باتفاق مع العثمانيين ؛ فوقعت الهزيمة فى جيش قَانصوه ، وكان خذلان الله تعالى لعسكر مصر أمام زحف عساكر السلطان سليم ، وفُقِدَ السلطان قانصوه فى الموقعة ، ولم يعثر على جثته ، وقيل أنه تناول سُمًّا فسقط عن فرسه ومات تحت سنابك الخيل ، وقيل انفجر له شريان بعد أن

أصابه شلل من الحزن والقهر اللذين نزلا به ، وكأن الأرض قد انشقت وابتلعته ، وزال ملكه فى لمح البصر ، واستولى السلطان سليم شاه على وِطَاقِه واحتوى بَرَكَه وبَرَك أمرائه ، ودخل حلب ونهب قلعتها ، واستولى على كل ما فيها من السلاح وغيره .

ثم انطلق إلى بقية بلاد الشام فاستولى عليها ، ثم دخل مصر وهزم ما بقى بها من عساكر ، وقتل السلطان طومان باى الذى تولَّى بعد قانصوه ، وصلبه على باب زويلة . وأصبحت كل بلاد دولة المماليك تحت يد السلطان سليم ، وصفا له الوقت فحكم كيف شاء .

ولم يخرج ركب الحاج من مصر فى سنة ٩٢٢هـ ولم يحج أحد من الشام ، وقيل جهزت الكسوة الشريفة من مصر فى طريق البحر صحبة الطواشى الكبير أغامرهف .

وفى خامس عشر جمادى الآخرة سنة ٩٢٣هـ حضر إلى مصر الشريف أبو نُمَىّ محمد بن بركات ؛ لتهنئة السلطان سليم بانتصاره وتوليه مملكة مصر ، وأحضر معه تقادم فاخرة للسلطان ، وحضر معه باش الترك المجاورين بمكة الأمير بيبردى مِن كسباى ، ومحتسب مكة الأمير قراقز ، وأشيع بين الناس أن نائب جدة الأمير حسين الكردى قتل على يد سلمان العثمانى[1] رئيس المراكب

(١) وفى الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٤٨ : أن الشريف بركات هو =

السلطانية التى خرجت من مصر لمحاربة الفرنجة الذين يهاجمون الثغور الإسلامية وينهبونها ، فى البحر الأحمر وبحر الهند وخليج العرب ، وقيل إنه أغرقه فى البحر ، وكان حسين هذا قد ظلم وجار على أهل مكة وجدة فى أيام الغورى ، وكان من المفسدين فى الأرض ، وكان غير محبب إلى أهل مكة وجدة .

وقيل إن الشريف أبا نميّ قد شفع فى الأميرين بيبردى وقراقز لدى السلطان سليم من القتل ؛ فرسم بأن يتوجها إلى إسطنبول ، فخرجا فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة وتوجها إلى الإسكندرية ومنها إلى إسطنبول .

وفى رابع رجب سنة ٩٢٣هـ خرج إلى السفر الشريف أبو نمى محمد بن الشريف بركات فى موكب حافل وأخلع عليه التشريف وهو قفطان مذهب ، وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين كانوا بمصر ، وأشيع أن السلطان سليم شاه كتب مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بأن يكون عوضاً عن الباش الذى كان بها ، وجعله المتصرف فى أمور مكة ، وأضاف إليه نظر الحسبة بمكة أيضاً ؛ فأنصفه غاية الإنصاف ، فتزايدت عظمة الشريف بركات إلى الغاية .

=الذى أمر بتغريقه فى بحر جدة . وكان الشريف عرار بن عجل أخذ موافقة السلطان سليم على قتله حينما وفد إلى مصر مع الشريف أبى نمى محمد بن بركات للقاء السلطان سليم . وكذا فى السنا الباهر بتكملة النور السافر ٢٢٠ .

وفى يوم السبت رابع شعبان سنة ٩٢٣هـ حضر الريس سلمان العثمانى الذى خرج صحبة المراكب لمحاربة الفرنجة ، والذى أشيع أنه قتل الأمير حسيناً الكردى ، وأحضر معه جماعةً من الفرنج الذين أسرهم من بحر الهند ، ممن كان يقطع الطريق على مراكب التجار المسلمين ، الذين يمرُّون من هناك ، وقيل إن الريس سلمان والأمير حسيناً نائب جدة كانا فتحا عِدَّة بلاد منها بلاد الشيخ عامر ، وغنما منها أموالاً جزيلة لا تحصى ، هم والعسكر الذى توجَّه صحبتهما فى أيام السلطان الغورى .

وفى الشهر المذكور أيضاً رُسِمَ بأن يتوجه الشهابى أحمد بن الجيعان نائب كاتب السرِّ بمصر إلى مكة من البحر ، وصحبته كسوة الكعبة الشريفة .

وفى ثانى عشر رمضان سنة ٩٢٣هـ عرض ملك الأمراء خاير بك كسوة الكعبة الشريفة ، والبُرْقُعَ ، وكسوةَ المقام الإبراهيمى ، وكسوةً لضريح النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وعِدَّة ستور ، ومَحْملاً من قبل السلطان سليم شاه ، تناهوا فى زركشته ، ومَحْملاً من مصر .

وفى تاسع عشر رمضان خرج الشهابى أحمد بن الجيعان ، ومُصْلِحُ الدين خازندار ابن عثمان ، ومعهما كسوة الكعبة الشريفة ، وهى محزومة محملة على الجمال ، وأشيع أنهما يتوجّهان من البحر الملح إلى جدة ، ومنها إلى مكة . وغادرا القاهرة فى سابع شوال سنة

٩٢٣هـ ، وكان أمير ركب المحمل القاضي علاء الدين بن الإمام ناظر الخواص الشريفة ، وخرج الحاج ركباً واحداً ، وكان الحاج قليلاً ، وقد جدد السلطان سليم شاه كسوة المحمل ، وزركشها فوق العادة ، وكتب عليها اسمه .

وقال الشيخ جار الله بن فهد فى ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى : وفى يوم الأحد سادس شهر ذى الحجة فرقت الذخيرة[1] السلطانية بحضرة أمير الحاج العلاء بن الإمام ، وبحضور الأمير الكبير مُصْلِح الدين الرومى ، بالمدرسة الأشرفية قايتباى ، وأخذ المذكور المقتطع ، وأقبض الأشرفى بثلاثة وعشرين مُحَلَّقاً ، وقرئ فى عصر تاريخه ، ودعى بالمسجد الحرام للسلطان سليم خان . وكانت الوقفة بالأربعاء ، والحج هنيئاً .

وفى صبح ثانى عشر الشهر بمنى وسَّط الأميرُ مصلحُ الدين الرومى أربعة أنفارٍ من مماليك القبطان سلمان الرومى فى شوارع منى ، وكان السبب فى ذلك هربهم منه عند سفره من الطور بغراب لسيدهم .

وفى ضحى يوم تاريخه وقع بمكة جفلة ، وسببها أن الأمير قاسم الشروانى نائب جدة المعمورة قبض على سارق ـــ يقال إنه من

(١) إتحاف فضلاء الزمن لوحة ١٧٧ ـــ ١٨٠ وكذا في منائح الكرم ٢: ٤٩ ـــ ٥١ تفصيل واف لتفريق هذه الذخيرة .

شيوخ بنى شعبة ـــ وضربه ليقرّ بالسرقة ، فقال : هى بجياد . فوضعه فى الحديد ، وأرسل معه فئة من غلمانه ومماليك الأمير مصلح الدين إلى أجياد ؛ تجاه الشريف بركات زعيم الحجاز ، فصادفهم الشريف غرم صهر السيد بركات بن محمد ، فأراد خلاص السارق منهم ؛ فمنعوه من ذلك ، فساعده جماعة من بنى حسن ، فحينئذٍ ضرب الأروام السارق بالسيوف حتى سقط إلى الأرض ، ثم انهزموا عنه ، فركب جماعةٌ من بنى حسن على خيولهم ، وأرادوا إيقاع فتنة مع الأروام ، فسمع السيد الشريف بركات بذلك ؛ فخرج من منزله وركب فرسه ، وتهدَّدَ جماعةً ، وضرب بعضهم ، وأمر بشنق السارق ـــ بعد موته من ضرب الأروام ـــ تسكيناً للفتنة .

وكان أمير الحاج شرع فى السَّفَر من منزله عند باب الصفا ، ودَقَّ الطبل ؛ فظن الأميرُ مصلح الدين أن السيّد بركات له غرضٌ فى إقامة الفتنة ؛ فأمر الأروام بركوبهم على الخيل ، فجاءه الشهابىُّ بن الجيعان ، وقال له : الشريفُ عاقلٌ ولا يرضى فعل جماعته . فلما بلغه صنيع الشريف ، وشنقه السارق ميتاً ، وإنكاره على جماعته ، أمر الأروام بعودهم . وسكنت الفتنة .

وسافر الركبُ المصرى يوم تاريخه صحبه العلاء بن الإمام ، وأعطاه الشريف مَعْلُومَ أمراءِ الحج المعتاد ، وهو ثلاثة آلاف دينار ، أخذ منها الأمير مصلح الدين خمسمائة دينار ، ووقع بينهما تشاجر

على ذلك . انتهى كلام جار الله فى ذيله ملخصاً[١] .

ووصلت كتب الحجاج إلى مصر فى سابع عشرين الحجة ، وأشيع أن فيها أخبار الغلاء بمكة الذى شمل سائر البضائع والأقوات ، وأن الشريف بركات نادى فيها بأن أحداً من الناس لا يجاور بمكة بسبب الغلاء .

وفى ثامن عشرين المحرم سنة ٩٢٤هـ دخل الحجاج إلى القاهرة ، وأخبروا أنهم قاسوا مشقة زائدة ، وشدائد عظيمة من الغلاء وموت الجمال ، وفساد العربان فى الطريق ، وكثرة الأمطار والسيول ، وقلة العليق . ومشى غالب الحجاج على أقدامهم فى الرجعة ، وأثنوا خيراً على ناظر الخواص الشريفة العلاء بن الإمام فيما فعله بالحجاج فى الطريق من البر والصدقات ، ورجعوا وهم عنه راضون .

وفى حادى عشر جمادى الآخرة سنة ٩٢٤هـ نادى خاير بك ملك الأمراء بمصر بأن أحداً من الحجاج لا يسافر فى البحر ، ولا يرسل له أحمالاً فى البحر ؛ وذلك بسبب فساد العربان فى الطرقات ، وتعبث الفرنج فى سواحل البحر الملح .

---

(١) من هذا النص الذى أورده الجزيرى فى درر الفرائد المنظمة ــ نشر الشيخ حمد الجاسر ــ جـ ٢ ص ٨٠٤ ، ٨٠٥ يتبين أن جار الله محمد بن عبد العزيز بن فهد ألف كتاباً ذيل به على كتاب أبيه العز عبد العزيز المسمى بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى . لكن لم يعثر عليه بعد .

وفى هذا الشهر أرسل السيد الشريف بركات مطالعة إلى ملك الأمراء بأن يرسل له تجريدة على وجه السرعة ؛ لأن عنده مراكب بها فرنج يتعبثون فى البحر الملح ، ويقطعون الطريق على المسافرين ، ويخشى على بندر جُدّة أن يطرقه الفرنج على حين غفلة ، ويملكوه من المسلمين . فأخذ ملكُ الأمراء فى إعداد التجريدة ، ولكنه تريَّث فى إرسالها حتى يَرِدَ عليه من مكة خبرٌ آخر عن تعبث الفرنج ، وطال الوقت ، ولم يرد خبر عن ذلك .

وفى ثامن عشر شوال خرج ركب الحاج من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان أميره الزينى بركات بن موسى المحتسب ، وحج كثير من الناس لكنهم من الفلاحين والريَّافة . مع ما أشيع من الغلاء وفساد العربان فى الطريق . وخرج على ساقة الركب قومٌ من بنى عطية قبل وصولهم إلى عقبة أيلة ، فأخذوا نحو المائتى جمل ، وفيهم زيت الحرم الشريف — وكان صحبة القاضى الفضيل بن ظهيرة — فمسك أمير الحاج منهم ثلاثة أنفار قتلهم وفر الباقون بالنهب ، ورجع من هناك إلى مصر جماعة من الحاج . وقد طلب أمير الركب الزينى بركات عند عودة الحجاج أن يرسل ملك الأمراء تجريدة تلاقيه من الأزلم ؛ لأن العربان شوشوا على الحجاج ، وحصل منهم غاية الفساد . وحصل بمكة غلاء شديد عم الأقوات وسائر البضائع . وكان ملك الأمراء حَمَّل صُرَرَ الحرمين وصُرَرَ الذخيرة لشخص من أهل حلب — وكانت العادة أن تكون صحبة أمراء الحاج — ووصل الركب

المصرى إلى مكة يوم الخميس سابع عشرين القعدة . وطَوَّفَ أميرَه الزينيَّ بركات بن موسى القاضى فضيلُ بن ظهيرة ، وسَعَّاه ماشياً الإمامُ إسماعيل الطبرى ، وفرقت الذخيرة فى ثالث الشهر بحضور قاضى القضاة الشافعى ، وعلى يد الخواجا محمد ابن شيخ سوق الدهشة الحلبى ؛ لكونه من المقربين عند ملك الأمراء .

وكان أمير الركب الشامى أَصْلَانُ دَوَادَارُ جَان بَرْدِى الغزالى نائب الشام ، وحج مع أستادار النائب عمادُ الدين إسماعيلُ بن الأكرم .

وكان الخطيب في تلك السنة وجيه الدين عبد الرحمن النويرى ، وكانت الوقفة يوم الاثنين . وعمل أمير الركب المصرى إحراقة عظيمة بمنى ، وفرق علب الحلوى وسقى الناسَ السكرَ المذاب ، ولم يُعْهَد فعلُ ذلك لغيره قبله . ورحل الركب المصرى من مكة يوم الجمعة ثالث عشر الحجة .

وتعرَّض جُغَيْمَان شيخُ بنى لام للركب الشامى بالرجعة بمنزلة العُلا ، وتحاربا ثم اصطلحا على ثلاثة آلاف دينار دفعت لجُغَيْمَان ، وقيل على ثلاثين ألف دينار . وقتل من الشاميين نحو سبعين نفراً ، وصالح الحلبيون والأروام عن أنفسهم بخمسة عشر ألف دينار حتى سلموا من النهب .

وفى رمضان سنة ٩٢٥هـ قدمت أخبار من مكة بأن فى

البحر الملح حول جُدَّة نحو أربعين مركباً من مراكب الفرنج ، يتعبثون على التجار ، ويقطعون عليهم الطريق . فلما علم بذلك ملكُ الأمراء ، أعدَّ تجريدة من ثلاثمائة مملوك ، وأمرهم أن يتوجهوا صحبة الحاج ، ثم يقيمون فى جُدَّة خوفاً من أن يطرقها الفرج على حين غرة .

وحصل فى أوائل هذه السنة فى جُدَّة سيلٌ عظيم من غير مطر ، امتلأت منه الصهاريج جميعها ، وانتفع به أهل البلد ، وحصل بوادى مَرّ الظهران سيولٌ كثيرة ، لم يعهد مثلها ، قلعت الزرع وتهدَّمَ كثيرٌ من الأصايل ، وغرق فى السيل أكثر من سبعين نفساً ، وكثر الجراد فى مكة وضواحيها ، ومات فى شهر الله المحرم من الفقراء الطرحاء فى الأزقة ــ جوعاً وبرداً ــ مائة وتسعون نفساً ــ صغاراً وكباراً ــ .

وشَنَقَ الحاكمُ بمكة مباركُ بن بدر عبداً لبعض العرب فى المُدَّعَى ، يقال إنه قتل صغيراً فى الوادى كان يرعى بقرة ، وأخذها منه وذبحها .

وجاءت أخبار إلى مصر أن قاسم الشروانى الذى كان استقر فى نيابة جُدَّة جمع المالَ الذى تحصَّل من جُدَّة ، فوضع يده عليه ، وأخذ المكاحل التى كانت هناك والسلاح ، ونزل فى مراكب ، وتوجَّه نحو بلاد هُرْمز ؛ فتنكد ملك الأمراء لهذه الأخبار .

وفى تاسع عشر شوال سنة ٩٢٥هـ خرج محمل الحاج من

القاهرة فى تجمل عظيم ، وأميره برسباى الجركسى ، دوادار ملك الأمراء خاير بك ، وكان الحاج قليلاً ، ثم خرجت التجريدة إلى الأزنم ، وكان فيها جماعة من الإنكشارية ، يرمون بالبندق الرصاص ، ورئيسهم من العثمانية ، وباش التجريدة الأمير إياس كاشف الشرقية .

وفى ذى الحجة قبض الشريف بركات على قاسم الشزوانى الذى كان نائب جُدَّة وحصل منه ما ذكرناه ، وأرسله — مجنزراً بالحديد فى البحر — إلى ملك الأمراء ؛ فسجنه إلى أن يكون من أمره ما يكون .

وكان أمير الركب فى هذه السنة السيفى جان بلاط بن عبد الله نائب السلطنة بغزة ، وكان ركبه قليلاً بالنسبة إلى العادة ، وكان دخوله إلى مكة فى ثامن عشر القعدة .

وأخبر الحجاج بعد عودتهم أن الأسعار انحطت قليلاً فى مكة عما كانت عليه ، وأنه ثارت فتنة عظيمة فى مكة بين جماعة الشريف بركات والأروام ، وسببها أن شخصاً روميًّا من جماعة نائب جدة اشترى من بعض العبيد بأجياد حشيشاً للدواب ولم يوافقه على البيع ، فسطا عليه الرومى فاحتمى بجماعة العبيد ، واجتمع الأروام ، وبنو حسن لذلك ، وتقاتلوا بالنشاب ومدافع النفط ، وغير ذلك ، من بعد العصر إلى قريب العشاء ، فتشوش الشريف بركات ، وأمير الحاج برسباى لذلك ، فقام بنفسه وتوجه إليهم ، وأرسل الخواجا شرف الدين ابن شيخ سوق الدهشة الحلبى ، والخواجا عباس

المصرى إلى الشريف بركات ؛ فوجداه متألماً لذلك ، وهو مقيم فى منزله يُخَفِّض جماعته ، وكان يظن أن الفتنة لها أصل من أمير الحاج ونائب جدة ، فلما تحقَّق براءتهما من ذلك ركب بنفسه وردَّ جماعته ، وردَّ أمير الحاج جماعة الأروام ، وأصابته نشابة فى يده لكنها سليمة .

ثم أرسل الشريف بركات وَالِيَهُ الجُنَيْدَ علياً يقول : أنا طائع للخَوَنْدْكار ، ونادى فى البلد بالأمان والاطمئنان ، وحصل ألطاف الله تعالى تلك السنة . وقتل فى هذه الوقعة جماعة من بنى حسن ، منهم : محمد العزيز بن الحسنى ، أحد الفرسان ، وعلى بن شكر ، وجرح ولد الشريف حميضة ، والعفيف عبد الله بن النقر وغيرهما . وجرح من الأروام جماعة ، ولولا ظلام الليل لحصل ما لا خير فيه .

وكان قاضى المحمل فى هذه السنة بشر الحنفى ، وكانت الوقفة الجمعة .

وفى ربيع الأول سنة ٩٢٦هـ خرجت أخبار من مكة بأنه وقع فيها فتنة كبيرة بين الشريف بركات أمير مكة وبين نائب جدة الذى تولى عليها من قبل ابن عثمان ، وأشيع أنه قتل فى المعركة جماعة من عبيد الشريف بركات ، وجرح نائب جدة الذى يسمى حسين الكاخية ، واضطربت أحوال مكة إلى الغاية .

وفى خامس عشر رجب سنة ٩٢٦هـ قدم إلى مصر الشريف

ثقبة ابن الشريف بركات وأخو الشريف أبى نمىّ محمد بن بركات ، وصحبه الشريف عرار بن عجل ، وقد خرج الأمـــراء الجراكسة والأمراء العثمانية إلى ملتقاه ، ودخل القاهرة فى موكب حافل ، وصعد إلى القلعة فتلقاه ملك الأمراء خاير بك ، وبالغ فى إكرامه ، وخلع عليه قفطاناً وعلى الشريف عرار ، وعلى الـــواصلين صحبتـــه من العربان ، وأغدق عليه وعليهم الإنعامات والهدايا ، وأنزلهم فى السبع قاعات فى دار الشهابى أحمد بن الجيعان .

وفى الشهر نفسه قرئ كتاب الشريف بركات أمير مكـــة بحضرة القضاة وفيه أنه يسأل فى تفويض إمرة مكة لولده الشريف أبى نمىّ ، وأشرك معه أخاه ثقبة فى لبس الخلعة الثانية . وأن يعفـــى الشريف بركات من لبس الخلعة عند حضور أمير الحاج . فأجيب إلى ذلك . كما سأل فى استقرار قاضى القضاة الشافعية بمكة صلاح الدين بن ظهيرة على عادته . فأجيب إلى ذلك ، ثم عيّن فى ذلك اليوم قاضياً مالكياً ، وقاضياً حنبلياً إلى المدينة الشريفة .

وفى عشرين من شعبان أخلع ملك الأمراء على الشريف ثقبة والشريف عرار خلع السفر إلى بلادهما . وعاد من القاهرة إلى مكة فى شهر رمضام فى قافلة يسيرة من طريق البر ــ معظماً مكرماً ــ وصحبته قفطان ولاية أبى نُمَىّ عن والده الشريف بركات .

وفى تاسع عشر شوال خرج ركب الحاج المصرى بالمحمل من القاهـــــرة ، وكان أميره الأمير جانم من دولات باى كاشف الجسور

السلطانية ، بإقليمى الفيوم والبهنساوية ، وكان من أمراء الجراكسة ذوى الشجاعة والبأس ومحاسن الأخلاق ، وكان قاضى المحمل الشيخ أبو الفتح فتح الدين الوفائى .

وقرر ملك الأمراء فى مشيخة الحرم النبوى الأمير بكباى أحد أمراء العشرات بدلاً من الشيخ يحيى البردينى .

وفى يوم الخميس تاسع شوال ٩٢٦هـ مات السلطان سليم شاه ، وأُخْفِىَ موتُه حتى عاد ولده سليمان — وكان غائباً فى إسطنبول — فلما حضر جلس على سرير الملك ، وأشيع موت السلطان سليم وجُهِّزَ وصُلِّى عليه ، ودُفن على أجداده يوم الأحد أو الاثنين ثانى عشر شوال سنة ٩٢٦هـ ، وكان مدة ملكه للشام ومصر أربع سنين وخمسة أشهر ، ومدة ملكه للروم تسع سنين إلا شهراً .

وفى مستهل الحجة اجتمع الشريف أبو نمىّ محمد والقضاة الأربعة للسلام على أمير الحاج بالمدرسة الأشرفية ، وقرئت المراسيم بها ، وأُفِيضَت التشاريف على أبى نمىّ وأخيه ثقبة ، والقاضى الشافعى ، ونائب جدة . وكانت العادة أن تُقْرَأ المراسيم بالمدرسة على هذا النمط ، ثم تجدد بعد ذلك اجتماع العساكر والأعيان بالحرم الشريف ، وتجلس الأمراءُ تجاه الكعبة فى ظاهر زمزم ، ويقرأ القارئ الأحكام على كرسى عال ، ويلبس الشريف التشريف ، ويتوجه للطواف بقفطانه أسبوعاً ، والدعاء له على زمزم فى كل شوط .

وكان أمير الحاج الشامى الأمير جان بلاط نائب غزة الجركسى

على عادته ، وكانت الوقفة يوم الأربعاء ، والحاج فى هناء . ١

وعاد الحاج إلى القاهرة فى يوم الأحد سادس عشرين المحرم سنة ٩٢٧هـ وأشيع أن الحاج قاسى فى الرجعة غاية المشقة من الغلاء ، وموت الجمال ، وتعرض جماعة من العربان لهم فى الطريق ، وانهزامهم أمام الأمير جانم أمير الحاج وقتل جماعة من العربان .

وفى شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٧هـ استقر فى نيابة جدة شخص من الأروام يقال له عيسى قرا .

وفى ثامن عشرين شوال خرج ركب الحاج المصرى من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان أمير ركب المحمل الأمير جانم من دولات باى كاشف الفيوم ــ كالعادة ــ وخرجت صحبته الملكة خاتون عمة السلطان سليمان شاه وولدها مصطفى ، وأعدّ الأمير جانم طُلْباً حافلاً ، وجعل به ست عجلات تسحبها الأكاديش ، وعليها عدة مكاحل نحاس (مدافع حجر) بسبب قتال العربان الذين فى طريق الحاج ؛ فإن الطريق فى هذه السنة كان فى غاية الاضطراب بسبب فساد العربان .

وفى ثالث ذى الحجة حضر قاصد من مكة إلى القاهرة ، ومعه رأسان فى علبة ، زعموا أن إحداهما رأس شخص يقال له إسكندر ، أصله من مماليك السلطان قانصوه الغورى ، كان أرسله صحبة التجريدة التى أرسلها إلى بلاد الهند بسبب محاربة الشيخ عامر متملك زبيد وعدن وكمران ، فلما توجه إليه العسكر تحاربوا

معه فانكسر منهم وقتل فى المعركة ، فملكوا بلاده وأمواله ، واستولى إسكندر هذا على ملكه وبلاده وتسلطن بها ، وعصى على السلطان الغورى ، وجعل له هناك أمراء وعسكراً ، وخطب باسمه على منابر بلاد عامر ، ولم يدخل فى طاعة السلطان سليم شاه العثمانى لما ملك الديار المصرية ، ولم يخطب باسمه ولا ضرب السكة باسمه ؛ فتحيَّلَ عليه نائب جدة حتى قتله ، وحزّ رأسه وأرسلها إلى القاهرة . أما الرأس الأخرى فهى رأس دواداره أو وزيره . وأشهرت الرأسان ، وعلقا على باب زويلة بالقاهرة .

وفى ثامن عشرينه قدم مبشر الحاج من مكة ، وأخبر بالأمن والسلامة عن الحجاج ، وأخبر أن الغلاء موجود فى سائر الغلال والأقوات ، وأخبر بموت جمال الحجاج .

وفى خامس عشرين المحرم سنة ٩٢٨هـ دخل الحاج إلى القاهرة ، ومعه ركب المحمل وأميره جانم ، وأشيع أن الحاج قد قاسى فى هذه السنة مشقة زائدة من الغلاء وموت الجمال . ولما طلع العقبة اشتد عليه البرد ؛ فمات كثير من الحجاج .

وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عربان بنى جبر ، متملّك جزيرة بين النهرين إلى بلاد هُرْمُز الأعلى ، وكان أميراً جليل القدر ، فى سعة من المال ، مالكى المذهب ، سيد عرب الشرق على الإطلاق ؛ أتى مكة وحجّ فى العام الماضى ، وكان يَجْلِب لمكة اللؤلؤ ، والمعادن الفاخرة ، والمسكَ والعَنْبَر الخام ، والعُودَ القمارى ، والحرير الملوّن .

قيل إنه لما دخل مكة والمدينة تصدّق على أهلهما بنحو خمسين ألف دينار . فلما حجّ ورجع إلى بلاده قابله الفرنج فى الطريق ، وتحاربوا معه ؛ فانكسر منهم ، وقبضوا عليه باليد وأسروه ، فسألهم أن يشترى نفسه منهم بألف ألف دينار ، فلم يقبلوا ذلك ، وقتلوه وملكوا منه جزيرة بين النهرين ، وملكوا قلعتها ، واستولوا على أمواله وبلاده ، وكان ذلك من أشد الحوادث وأعظمها فى الإسلام .

وقد تزايد شَرُّ الفرنج على سواحل البحر الهندى .

وفى صفر أرسل السلطان سليمان شاه قفطان مخمل مُذَهَّباً ، للسيد الشريف بركات بن محمد ، وذلك ضمن تشاريف أرسلت إلى مشايخ العربان بصعيد مصر والشرقية والغربية والبحيرة ، على يد الأمير جانم الحمزاوى .

وفى جمادى الأولى توفى الشريف على بن هَجَّار أمير الينبع ، وتوفى وزيره محمد بن زحام فى جمعته ، وكان الشريف على مِن خِيَار مَنْ ولى إمرة الينبع .

وفى عشرين شعبان سنة ٩٢٨هـ خرج قاضى العسكر العثمانى بمصر ، بقصد التوجّه إلى مكة المشرفة من البحر الملح ، ونزل ملكُ الأمراء ، وركب صحبته ، وكذلك نائب القلعة خير الدين ، وجماعة من الأمراء العثمانية ، وودَّعُوه عند تربة العادل بالصحراء ، وتوجّه إلى الطور ، وأشيع أن ملك الأمراء أنعم عليه بعشرة آلاف

دينار ، غير المُغَلّ الذى أرسله إليه . فلما توجّه إلى الحجاز أشيع أن السلطان سليمان أرسل أربعين ألف دينار على يد شخص من العثمانية ، بسبب عمارة العين التى بمكة لما تعطلت ، وعمارة قبة الزيت التى بالحرم ، وعمارة المنارة التى بالحرم النبوى . فلما خرج قاضى العسكر خرج صحبته جماعة كثيرة من الأصبهانية ومن أهل مصر .

وفى ثامن عشر شوال خرج ركب المحمل من القاهرة ، وأميره الأمير جانم من دولات باى ، وأخذ معه ستة عجلات تسحبها الأكاديش ، فى كل عجلة مكحلة من النحاس برسم المدافع ؛ لأن درب الحاج كان فى غاية الاضطراب بسبب فساد العربان ، وأشيع بأن كسوة الكعبة الشريفة أرسلها ملك الأمراء من البحر المالح إلى مكة ، وكذلك المال الذى بعث به السلطان سليمان بن عثمان إلى مكة والمدينة المنورة ؛ لأجل الصدقة على مجاورى الحرمين الشريفين صحبة قاضى العسكر .

وفى تاسع عشرين الحجة قدم مبشر الحاج إلى القاهرة ، وأخبر بالأمن والسلامة ، وأن الغلاء ، وموت الجمال قد عانى منهما الحجاجُ فى مكة وطريق العودة ، وأشيع أنه حدث بمكة بعض الفتن ، ولكن لم يكن لما أشيع أصل ، وكل ما قيل فى ذلك ليس بصحيح .

وفى سنة ٩٢٩هـ كان أمير الحاج المصرى الأمير فارس من

أزْدَمُر كاشف البحيرة ، فسافر فى تلك السنة أميراً على الركب ، وكان جركسياً أحمق عَسُوفاً ، عظيم العُنْف ، شرس الأخلاق ، سيىء السيرة ، وعاد من الحج فى تلك السنة فوجد الفتن تسيطر على العلاقة بين أحمد باشا الوالى على مصر ، وكبار رجال الدولة ؛ مما جعله يقتلهم واحداً بعد واحد ، وكان القتل فى انتظار الأمير فارس فاغتاله أحمد باشا ضمن منْ اغتال ، وضرب عنقه تحت الجميزة التى بالرملة ، وقيل كان ذلك بسبب مفاسده التى شهرت عنه .

وقد سكتت المراجع التى تيسرت لى عن أخبار مكة فى هذه السنة ، وكذلك فى سنة ٩٣٠هـ . ولكنها ذكرت أن أمير الحاج المصرى كان الأمير جانم الحمزاوى ، وأنه جهّز المهمَّ الشريف بهِمَّة عالية ، وأصرف أموالاً لها صورة ، وكانت جماله فى غاية الحسن والكثرة فى العدد وغلو الأثمان ، وأنه جدَّدَ لعربان الأدراك عوائد وإنعامات من ديوان السلطنة ومن ديوانه ، وأنه حصل للحجاج فى تلك السنة عطشٌ شديد مات منه كثير من الحجاج وجمالهم وبغالهم وحميرهم ، وسميت السنة بسنة العطشة .

وفى سنة ٩٣١هـ انتقل الشريف بركات بالوفاة إلى رحمة الله تعالى ليلة الأربعاء رابع عشر ذى القعدة ، على فراشه ببلد الله الأمين ، ثم صُلِّىَ عليه ضحى يوم الأربعاء بالمسجد الحرام وطيف به حول الكعبة سبعاً ، ودفن بالمعلاة ، وله من العمر إحدى وسبعون سنة ، ومدّة ولايته شريكاً لأبيه سبع وعشرون سنة ، وجملة ولايته

استقلالاً وشراكة أربع وخمسون سنة ، وأعقب من الأولاد ثقبة ، وأبا القاسم ، وحازماً ، وواصلاً ، وسنداً ، وعلياً ، ومحمداً أبا نميّ .

وكان الشريف بركات رحمه الله جمّ الفضائل شريف الشمائل ، قال الإمام عبد القادر الطبرى فى نشأة السلافة : ترجم مولانا الشريفَ حافظُ عصره عبد العزيز بن فهد فى مؤلف عمله له سمّاه « غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام » .

* * *

وأخيراً فإنى أعيد ما سبق أن ذكرته فى مقدمة كتاب « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » للنجم عمر بن فهد .

إذا كان آل فهد : النجم عمر ، والعز عبد العزيز ، والمحب جار الله محمد ، قد أرّخوا لمكة المكرمة وعلمائها وأعيانها وأمرائها وأوديتها وبلدانها ، فما أحرى بجامعة أم القرى أن تنهض بجمع تراث آل فهد ، وأن تضعه بين أيدى المحققين ، توطئة لنشر مكتبة تاريخية عن مكة .

والله ولى التوفيق ومنه العون والسداد ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

مكة المكرمة
أول جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨هـ
٢٠ من يناير سنة ١٩٨٨م

المحقق
فهيم محمد شلتوت

مراجع التقديم

ـ بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس ، محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٣٠هـ .

ـ الإعلام بأعلام بلد الله الحرام لقطب الدين النهروالى المتوفى سنة ٩٨٨هـ على الخلاف .

ـ درر الفرائد المنظمة لعبد القادر بن محمد الجزيرى المتوفى سنة ٩٧٦هـ .

ـ سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى لعبد الملك بن حسين العصامى المتوفى سنة ١١١١هـ .

ـ إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ دولة بنى الحسن لابن المحب الطبرى ، محمد بن على بن فضل الله المتوفى سنة ١١٧٣هـ (مخطوط) .

ـ السنا الباهر بتكميل النور السافر لمحمد الشيلى باعلوى اليمنى المكى المتوفى سنة ١٠٩٣هـ (مخطوط دار الكتب المصرية) .

ـ منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم لعلى بن محمد السنجارى المتوفى سنة ١١٢٥هـ (مخطوط مكتبة الحرم المكى) .

غاية المرام

بأخبار سلطنة البلد الحرام

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠٥ ــ بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عَجْلان ابن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن أبى عَزِيز قَتَادة الحسنى المكى ، السيد الشريف ، الطود المنيف ، زين الدنيا والدين ، أبو زُهَير ، كريم الطرفين ، شريف الحسبين .

نسب كأن عليه من شمس الضحى
نوراً ومن فلق الصباح عمودا[1]

خاتمة الكرام وواسطة عقد النظام .

صاحب الحجاز على الإطلاق ، وسلطانه بالاستحقاق ، ملك الحرم الشريف ، وابن ملوكه ، والذَّابُّ عن غَنِيِّه وصعلوكه ، وكذا الينبوع والمدينة الشريفة ، وما والاهما من المواطن المنيفة . من انعقد على محبته الإجماع ، واتفقت الألسن على علوّ شأنه بلا دفاع . ذو المجد والسيادة ، وربيب مهد الشرف والسعادة . سيد الأشراف ، مَجْد بنى عبد مناف . الأسد الضرغام ، والبطل الهمام . الظاهر العدل والانتساب ، والطاهر الأصل والأحساب .

الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم ابن
الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

---

(١) والبيت لأبى تمام ، وانظر الديوان ٤١٣ .

حامى حمى بلد الله الأمين ، ماحى آثار أعداء الله المفسدين ، من عمّر الله به أم القرى وطرقاتها ، وأمّنها بوجوده وجعله من أعظم حماتها ، ذو التدبير الثاقب ، والرأى السديد الصائب ، لا زالت ربوع الملك بوجوده مأنوسة ، وبلد الله بحرمته محمية محروسة ، وصحف محامده بألْسُنِ الأيام متلوّة مدروسة ، ولا برحت كلمة الإيمان بوجوده حسنة التدبير ، وجيرة الحرم الشريف مجموعة الشمل بسلطانه جمع سلامة لا جمع تكسير .

مَلِيكٌ به أرْضُ الحجازِ تَمهَّدَت
وأيَّامُهُ بَعْدَ المُحُولِ خِصَابُ

كيف لا وقد جمع الله فيه من المحاسن الكثير ، ودفع به المكروه عن أهل الحرمين ومن إليهما يسير ، وأعلى الله به منار حرمه ، وولّاه مهابط وَحْيِهِ وكَرَمِه .

مَلِكٌ يَجُودُ بِمَالِهِ وعَفَائِهِ
قَبْلَ السُّؤَالِ فَيَا لَهُ مِنْ بَاذِلِ

ولد بمكة المشرفة فى سنة إحدى وستين وثمانمائة ، وأمه شريفة من بنى حسن ، اسمها عمرة ابنة محمد بن على بن ثَقَبَة بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ . ونشأ فى كفالة أبيه ، فى رفاهية وعِزّ ، وشريف تربية
٢٢٠و وأحسن / حِرْز ، وأشركه معه فى جميع الأمور ، وصار يباهى به فى السّرّ والظهور .

وفى طفولته استجاز له والدى الحافظُ نجم الدين عمرُ بن فهد الهاشمى المكى ــ رحمه الله تعالى ــ جماعةً من المشايخ ؛ أهل الإسناد والعلم الراسخ ، وخَرَّج له ولدى محبُ الدين جارُ الله محمد عن أربعين منهم أربعينَ حديثاً فى فضل أهل الكساء[(١)] ، سمَّاها « غاية الأمانى والمسرّات لعلو سلطان الحجاز أبى زهير بركات » وقرأ عليه بعضها بحضور جماعة من الأعيان ، كالقاضيين الشافعى والمالكى ، وغيرهما من الإخوان ، وقَرَّظَها له خَلْقٌ من أهل الحرم الشريف ، والواردين إلى البلد المطهَّر المنيف[(٢)] .

والذين خرج فيها عنهم ، وأباح له الرواية منهم رتبت أسماءهم هنا على الحروف ليسهل الكشف لمن أراد عليهم الوقوف . وهم :

إبراهيم بن عبد الرحمن قاضى عجلون[(٣)] ، وإبراهيم بن على الزمزمى[(٤)] ، وإبراهيم بن عمر البِقَاعِيّ[(٥)] ، والقاضى عز الدين أحمد

---

(١) عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلى فاطمة كساء . وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . خرجه الترمذى وقال حسن صحيح (الرياض النضرة ٢٤٨:٢) . وانظر مجمع الزوائد ١٦٦/٩ ، ١٦٧ .

(٢) وانظر ما يأتى ص ٢٣٤ وما بعدها .

(٣) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد الزرعى الأصل الدمشقى الشافعى ، يعرف بابن قاضى عجلون . مات فى ثانى عشرى المحرم سنة ٨٧٢هـ (الضوء اللامع ٦٤:١) .

(٤) هو إبراهيم بن على بن محمد بن داود بن شمس بن رستم بن عبد الله ، البرهان أبو إسحاق الشمبارى ثم المكى الشافعى ، ويعرف بالزمزمى نسبة لبئر زمزم لكونه =

١ ابن إبراهيم الكنانى الحنبلى(١) ، وأبو ذرّ أحمد بن إبراهيم الحلبى(٢) ، وأحمد بن عبد القادر الشَّاوِىّ(٣) ، وأحمد بن عبد الله الكِنانى(٤) ، وأحمد بن عثمان الصَّلِف(٥) ، والشهاب أحمد بن محمد الحجازى(٦) ،

=كأبيه يلى أمرها مع سقاية العباس . مات فى خامس عشر ربيع الأول سنة ٨٦٤هـ بمكة (الضوء اللامع ١:٨٦) .

(٥) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن على بن أبى بكر ، برهان الدين الخرباوى البقاعى . مات فى ثامن عشر رجب سنة ٨٥٥هـ (الضوء اللامع ١:١٠١) .

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم ، القاضى عز الدين أبو البركات بن البرهان بن ناصر الدين الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى الحنبلى . مات فى حادى عشر جمادى الأولى سنة ٨٧٦هـ (الضوء اللامع ١:٢٠٥) .

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن محمود بن خليل ، الشيخ موفق الدين أبو ذر ، الطرابلسى الأصل ثم الحلبى الشافعى . مات خامس عشرى ذى القعدة سنة ٨٨٤هـ (الضوء اللامع ١:١٩٨) .

(٣) هو أحمد بن عبد القادر بن محمد بن طريف ، الشهاب بن المحيوى الشاوى القاهرى الحنفى . مات فى ثامن عشرى ذى القعدة سنة ٨٨٤هـ (الضوء اللامع ١:٣٥١) .

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن داود بن عمرو بن على بن عبد الدائم ، الشهاب أبو العباس الكنانى الشافعى ، ويعرف بأبى العباس القدسى . مات فى سادس عشرى جمادى الثانية سنة ٨٧٠هـ (الضوء اللامع ١:٣٦٣) .

(٥) هو أحمد بن عثمان بن محمد بن خليل بن أحمد بن يوسف، الشهاب بن الفخر الدمشقى الشافعى ، يعرف بابن الصلف ـ بفتح الصاد وكسر اللام ـ كان حياً فى سنة ٨٨٩هـ (الضوء اللامع ٢:٢ برقم ١) .

(٦) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جبريل بن أحمد ، الشهاب أبو العباس=

١ والشيخ تقى الدين أحمد بن محمد الشُّمُنّى(١) ، وأبو بكر بن صدقة المُنَاوِىّ(٢) ، وأبو بكر أحمد بن التقى محمد بن فهد(٣) ـ عمى ـ ، وأبو السعود محمد بن محمد الغَرَّاق(٤) ، وأبو نافع محمد بن عبد الله الأزهرى(٥) ، وأم هانئ ابنة على الهُورِينى(٦) ،

= الأنصارى السعدى المكى الأصل ثم القاهرى ، ويعرف بأبى العباس الحجازى . مات فى الطاعون سنة ٨٤١هـ (الضوء اللامع ٢:٧٢ برقم ٢١٧) .

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن على بن يحيى بن محمد بن خلف الله ، التقى أبو العباس التميمى الدارى القسنطينى الأصل ، السكندرى المولد القاهرى المالكى ثم الحنفى ، ويعرف بالشمنى . مات سابع عشر ذى الحجة سنة ٨٧٢هـ (الضوء اللامع ٢:١٧٤ برقم ٤٩٣) .

(٢) هو أبو بكر بن صدقة بن على بن محمد بن عبد الرحمن ، الزكى بن فتح الدين ، المناوى الأصل ، المصرى القاهرى الشافعى ، ويعرف بالمناوى . مات فى رجب سنة ٨٨٠هـ (الضوء اللامع ١١:٣٦ برقم ٩٦) .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد ، المحب بن التقى بن النجم الهاشمى المكى الشافعى أخو النجم عمر ، وعم مؤلفنا العز . مات فى سابع عشرى ربيع الأول سنة ٨٩٠هـ (الضوء اللامع ١١:٩٢ برقم ٢٤٢) .

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف ، الشمس أبو السعود الغراق ـ بمعجمة مفتوحة ثم راء مشددة وقاف ـ نسبه إلى الغراقة بلد بقرب الحوف من الوجه البحرى من الشرقية . مات فى سابع عشر شعبان سنة ٨٨٩هـ (الضوء اللامع ٩:٢٥٥ برقم ٦٠٦) .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن على بن سنان بن رميح . محيى الدين أبو نافع السعدى الظاهرى الشافعى ، ويعرف بالأزهرى وبابن الريفى . مات فى سابع جمادى الأولى سنة ٨٧٠هـ (الضوء اللامع ٨:٧٩ برقم ١٥٢) .

(٦) هى أم هانئ ابنة على بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن بن عبد الملك ، =

والخضر بن محمد ، الشهير بابن المصرى(١) ، وزينب ابنة أحمد ١
الشَّوْبكى(٢) ، والقاضى سعد الدين سعد بن محمد بن محمد الديرى(٣) ، وصالح بن عمر البُلْقِينى(٤) ، وعبد الرحمن بن أحمد القُمُّصِىّ(٥) ، وعبد الرحمن بن على بن المُلَقِّن(٦) ، وعبد الرحيم بن

= الهورينية الأصل المصرية الشافعية ، وتسمى مريم أيضاً . ماتت فى الثلاثين من صفر سنة ٨٧١هـ (الضوء اللامع ١٢:١٥٦ برقم ٩٨٠) .

(١) هو خضر بن محمد بن الخضر بن داود بن يعقوب بن أبى سعيد ، البهاء أبو الحياة الحلبى ثم القاهرى الشافعى ، ويعرف بابن المصرى . مات فى ذى القعدة سنة ٨٧٠هـ (الضوء اللامع ٣:١٧٩ برقم ٦٩٧) .

(٢) هى زينب ابنة أحمد بن محمد بن موسى ، أم حبيبة ابنة الشهاب الدمشقى الشوبكى المكى . ماتت بمكة فى العشرين من شوال سنة ٨٨٦هـ (الضوء اللامع ١٢:٣٩ برقم ٢٣٢) .

(٣) هو سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح بن أبى بكر ابن سعد ، القاضى سعد الدين شيخ المذهب أبو السعادات النابلسى الأصل ، المقدسى الحنفى نزيل القاهرة ، ويعرف بابن الديرى ـــ نسبة لمكان بمردا جبل نابلس ، أو الدير الذى بحارة المرداويين من بيت المقدس ـــ مات فى تاسع ربيع الآخر سنة ٨٦٧هـ (الضوء اللامع ٣:٢٤٩ برقم ٩٣٩) .

(٤) هو صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ، القاضى علم الدين أبو البقاء بن السراج الكنانى العسقلانى البلقينى الأصل القاهرى الشافعى . مات فى خامس رجب سنة ٨٦٨هـ (الضوء اللامع ٣:٣١٢ برقم ١١٩٩) .

(٥) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد ، الجلال أبو المعالى بن الشهاب القمصى ـــ نسبة إلى منية القمص قرب منية بني سلسبيل ـــ المهدوى الشافعى . مات فى تاسع عشرى المحرم سنة ٨٧٥هـ (الضوء اللامع ٤:٥٠٠ برقم ١٥٦) .

(٦) هو عبد الرحمن بن على بن عمر بن على بن أحمد بن محمد ، الجلال أبو =

١ إبراهيم الأَمْيُوطِيّ(١) ، وعمر بن تقى الدين محمد بن فهد المكى(٢) ــ والدى ــ ، وقاسم بن عبد الرحمن بن الكُوَيْك(٣) ، وقاسم بن قُطْلُوبُغَا الحنفى(٤) ، ومحمد بن أحمد القَلْقَشَنْدِيّ(٥) ، ومحمد بن أحمد

=هريرة بن النور بن السراج الأنصارى الأندلسى الأصل ، المصرى الشافعى ، ويعرف ــ كجده وأبيه ــ بابن الملقن . مات فى ثامن شوال سنة ٨٧٠هـ (الضوء اللامع ١٠١:٤ برقم ٢٨٨) .

(١) هو عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى بن أبى المجد أحمد ، الزين أبو على بن الجمال بن العز بن البهاء ، اللخمى الأسيوطى الأصل ، المكى الشافعى ، ويعرف بابن الأسيوطى . مات فى سابع عشرى شعبان سنة ٨٦٧هـ (الضوء اللامع ١٦٦:٤ برقم ٤٣٨) .

(٢) هو عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمى المكى ، النجم والسراج أبو القاسم ــ والد العز عبد العزيز مؤلف هذا الكتاب ــ عمدة المؤرخين بعد التقى الفاسى . توفى فى سابع رمضان سنة ٨٨٥هـ (الضوء اللامع ١٢٦:٦ برقم ٤٠٩ . وانظر مقدمة المحقق لكتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى) .

(٣) هو قاسم بن عبد الرحمن بن محمد بن على بن أحمد ، الزين أبو محمد بن الشرف بن النجم بن النور ، القاهرى البرجوانى الشافعى القبانى ، ويعرف كسلفه بابن الكويك . مات فى شعبان سنة ٨٧٢هـ (الضوء اللامع ١٨٢:٦ برقم ٦٢١) .

(٤) هو قاسم بن قطلوبغا ، الزين ــ وربما لقب بالشرف ــ أبو العدل السودونى ــ نسبة لمعتق أبيه سودون الشيخونى ــ الحنفى ، ويعرف بقاسم الحنفى . مات فى رابع ربيع الآخر سنة ٨٧٩هـ (الضوء اللامع ١٨٤:٦ برقم ٦٣٥) .

(٥) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ، الجلال بن القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى . مات فى سنة ٨٥٥هـ (الضوء اللامع ٢٩٤:٦ برقم ٩٨٠) .

ابن عماد الأَقْفَهْسىّ(١) ، ومحمد بن عبد الرحمن السَّخَاوِىّ(٢) ، ١
ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن إمام الكاملية(٣) ، ومحمد بن محمد الزِّفْتَاوِىّ(٤) ، وتقى الدين محمد بن محمد بن فهد(٥) ، ومحب الدين

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبى ، الشمس أبو الفتح بن الشهاب ، الأقفهسى القاهرى الشافعى ، ويعرف — كأبيه — بابن العماد . مات فى خامس ربيع الأول سنة ٨٦٧هـ (الضوء اللامع ٢٤:٧ برقم ٥٠) .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن محمد ، شمس الدين أبو الخير وأبو عبد الله ، السخاوى الأصل القاهرى الشافعى ، ويعرف بالسخاوى ، الحافظ المؤرخ ، له الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، والتبر المسبوك فى الذيل على السلوك ، والجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، والتحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، وغير ذلك من المؤلفات فى شتى الفنون . مات فى المدينة المنورة فى الثامن والعشرين من شعبان سنة ٩٠٢هـ (وانظر الضوء اللامع ٢:٨ — ٣٢ ومقدمة جـ ١) .

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن يوسف بن منصور ، الكمال أبو محمد بن الشمس بن التاج بن النور ، القاهرى الشافعى ، يعرف بابن إمام الكاملية . مات فى خامس عشرى شوال سنة ٨٦٤هـ فى سفره إلى الحج عند ثغرة حامد (الضوء اللامع ٩٣:٩ برقم ٢٥٩) .

(٤) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، ناصر الدين أبو اليمن بن الشمس بن الجمال بن الشهاب الزفتاوى الأصل ، القاهرى الشافعى . مات فى تاسع جمادى الأولى سنة ٨٧٦هـ (الضوء اللامع ١١٦:٩ برقم ٣٠٢) .

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمى ،، تقى الدين . جد المؤلف . مات فى سابع ربيع الأول سنة ٨٧١هـ (الضوء اللامع ٢٨١:٩ برقم ٧٢٧) .

محمد بن محمد بن الشِّحْنَة[1] ، وهاجر ابنة محمد القُدْسِيّ[2] ، ويحيى بن [محمد بن] إبراهيم الأقصراى[3] ، ويحيى بن محمد المُنَاوِيّ[4] .

وذكره شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوى فى تاريخه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع[5] . وقال : أَجَلّ بنى أبيه ، وأقربهم إلى خلافته ، ولد سنة إحدى وستين وثمانمائة ، إما فى ربيع أو بعده ، وأمه شريفة من بنى حسن . ودخل القاهرة فى سنة ثمان وسبعين ،

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن أيوب بن محمود ــ شحنة حلب ــ بن الختلو بن عبد الله ، المحب أبو الفضل بن المحب أبي الوليد ، الحنفى ، ويعرف بابن الشحنة كسلفة . مات فى سابع رمضان سنة ٨٧٧هـ (الضوء اللامع ٩:٢٩٥ برقم ٧٥٥) .

(٢) هى هاجر ابنة محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن على بن أبي الطاعة ، المكثرة أم الفضل ، وتسمى عزيزة لكن اسمها هذا هجر . ماتت فى سادس المحرم سنة ٨٧٤هـ (الضوء اللامع ١٢:١٣١ برقم ٨٠٧) .

(٣) هو يحيى بن محمد بن إبراهيم الأقصرائى ، الأمين أبو زكريا بن الشمس أبي محمد ، الأقصرائى الحنفى القاهرى ، ويعرف بالأقصرائى . مات فى سادس عشر المحرم سنة ٨٨٠هـ (الضوء اللامع ١٠:٢٤٠ برقم ١٠٠٨) .

(٤) هو يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام ، الشرف أبو زكريا ، الحدادى الأصل ، المناوى القاهرى الشافعى ، ويعرف بالمناوى . مات فى ثانى عشر جمادى الثانية سنة ٨٧١هـ (الضوء اللامع ١٠:٢٥٤ برقم ١٠٣٣) .

(٥) الضوء اللامع ٣:١٤ برقم ٥٥ .

ومعه قاضي مكة البرهان بن ظهيرة ؛ فأكْرَمَ السلطانُ فمن دونه مَوْرِدَهُمَا ، بعد خدمة طائلة من أبيه وغيره ، وأشركه مع أبيه ، ورجع متزايد العز ، واستمر يتزايد فى الترق حتى صار مرجعاً فى جل الأمور ، وربما سافر لدفع العدوّ ويرجع مسروراً محبوراً .

وقد رأيته غير مَرَّة ، ومنها فى زيارتى سنة ثمان وتسعين ، وقصدنى بمجلس جلوسى ، فسَلَّم علىَّ بأدب وسكون ، وكان معه حينئذ عَجْلَان وأبو القاسم وإبراهيم[1] وعلى ؛ من بنيه ــ جَمَّلَهم الله بحياته وحياة أبيه ــ .

وقد أجاز له خلق ذُكِرَ جمعٌ منهم فى أبيه .

وقال شيخنا السخاوى أيضاً فى كتابه / « التبر المسبوك فى الذيل على السلوك » للمقريزى ما ملخصه[2] : إن السلطان فى سنة سبع وسبعين أرسل للسيد محمد بن بركات كتاباً يلتمس منه حضوره ، وحضورَ القاضى الشافعى بمكة ، فجاء قاصدُه فى شَوَّالها [بكتاب][3] يتضمن الإجابة ، وأنه مُجَهِّزٌ ولده السيد بركات نيابة ٢٢٠ظ

(١) لم يرد إبراهيم هذا فى المرجع السابق .

(٢) الجزء المطبوع من التبر المسبوك يقف بالتاريخ عند تولية الأشرف إينال العلائى لسلطنة مصر فى ١٧ من ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ . أما الخبر المشار إليه هنا فهو يقع فى سلطنة الأشرف قايتباى المحمودى التى ابتدأت من شهر رجب سنة ٨٧٢هـ وانتهت فى ذى القعدة سنة ٩٠١هـ .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

عنه ، ومعه القاضى ، ويسأل فى معاملتهما بما يليق بالشيم الكريمة ، والمراحم الناشئة عن القلوب السليمة ، وفى الإنعام بإرسال ابن عمه رُمَيْثَة ؛ ليكون على جارى عادته عنده ، مُكَرَّماً مَرْعِيَّ الجانب ، آمناً على نفسه ، وأن يُقَرِّر فى إمْرَةِ كلٍّ من المدينة والينبوع بعض من يختاره ممن هو فى جهته ، ويطمئن بجلوسه بساحته .

ففرح السلطان — فيما بلغنى — بمجيئهم ، ثم جاءت المطالعات منه ومن غيره صحبة مُبَشِّر الحاج أيضاً بتوجُّهِهِم ؛ فشرع الأعيان من المباشرين وغيرهم فى التأهب للإقامات ، فكان أقصى ما انتهى إليه المسيرُ بها الأَزْلَم ، ثم لا زالت تترادف عليهم شيئاً فشيئاً لا سيما في العقبة وما يليها ، وذلك قدر زائد على الوصف . وقُيِّد للسيد إلى البويب[١] فرسٌ من الإسطبل السلطانى ، بسرج ذهب ، وكنبوش زَرْكَش[٢] ، وللقاضى مِنْ كاتِب السِّرِّ[٣]

(١) البُوَيْب : نقب بين جبلين ، وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر (معجم البلدان لياقوت) ومحطة يرجع منها المودعون لحجاج مصر ، وهى بعد بركة الحجاج أول منزلة ينزل فيها الحاج المصرى بعد خروجه من القاهرة (درر الفرائد المنظمة ٤٥٥ ، ٤٧٠) .

(٢) الكنبوش : هو غطاء يجعل تحت سرج الفرس ، وقد يطلق عليه اسم الغاشية ، وهى الغطاء المزركش الذى يغطى ظهر الفرس ، والزركشة هى النقوش والزخرفة بالقصب المذهب أو بأسلاك الفضة (النجوم الزاهرة ٩:٧٦ هامش ، والسلوك ١/١:٢١٤ هامش) .

(٣) هو زين الدين أبو بكر بن مزهر ، وترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ١١:٨٨ برقم ٢٣ .

بغلةٌ فى عِدَّة خيول منه ومن غيره للأخوين والولد ، ومن شاء الله من جماعة القاضى . ودخلوا فى أُبَّهَةٍ زائدة ، بعد أن أَمَرَ السلطانُ الأمراء كَجَانِبَك الفقيه[1] أمير آخور ، وتَمُرْ حاجب الحُجَّاب[2] ، وتِمْرَاز الشمسىّ[3] ، وخايِرْبَك من حَدِيد[4] ، وغيرهم من المقدمين فمن دونهم . وكان اجتماعهم به بين البُوَيْب وبِرْكَة الحاج .

ولما حَلَّ ركابهم بالبِرْكة ، وذلك ضحى يوم السبت ثالث عِشْرِى المحرم سنة ثمان وسبعين مُدَّ لهم من قبل السلطان سِمَاط هائل مع المشروب والفواكه ، ثم ساروا إلى المكان المأمورين بالنزول

(١) هو جانبك بن ططخ الظاهرى جقمق ، ويدعى بالفقيه . مات فى رجب سنة ٨٨٣هـ (الضوء اللامع ٣:٥٣ برقم ٢١١) . وأمير آخور : هو المتولى لشئون إسطبل السلطان (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٤٧) .

(٢) هو تمر من محمود الظاهرى جقمق . مات فى صفر سنة ٨٨٠هـ (الضوء اللامع ٣:٤٢ برقم ١٧١) وحاجب الحجاب هو الذى يتولى تقديم من يعرض ومن يرد إلى السلطان ، وإليه عرض الجند ، والإنصاف بين الأمراء والجند بنفسه أو بمراجعة النائب (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٩٧) .

(٣) هو تمراز الشمسى الأشرف برسباى العزيزى أمير سلاح . ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٣:٣٦ برقم ١٥٢ ، وأرخ لحياته حتى ربيع الثانى سنة ٨٩٥هـ ولم يذكر وفاته . وأمير السلاح هو المتولى لشئون السلاح خاناه السلطانية ، والمقدم على السلاحدارية من المماليك السلطانية (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٤٥) .

(٤) هو خاير بك الأشرفى برسباى من حديد . يقول السخاوى : من حتيب لا حديد كما هو على الألسنة . مات فى مكة ودفن بالمعلاة فى ربيع الأول سنة ٨٨٧هـ (الضوء اللامع ٣:٢٠٧ برقم ٧٧٨) .

فيه ، وهو تُرْبَة السلطان التى آسْتَجَدَّهَا بالصحراء(١) ، قريباً من تُرْبَة الشيخ عبد الله المنوفى . وفى يوم الأحد رابع عشرى المحرم سنة ثمان وسعين طلع إلى القلعة أمير المحمل بَرْسْبَاى(٢) صحبة السيد بركات ، وعالم الحجاز القاضى برهان الدين بن ظهيرة ، وولده الجمالى أبو السعود ، وأخواه الكمال أبو البركات والفَخْر أبو بكر — وهو أصغرهما وأعلمهما — وجماعة من بنى عَمِّه وأقاربه(٣) . فأكرم السلطانُ تلقِّيهم ، وأُلْبَس السيّد بركات كاملية مخمل أحمر كفوى(٤) بسمّور ، والبرهان كاملية بيضاء بسمّور ، وكُلًّا من إخوته

(١) تربة السلطان بالصحراء : يراد بها مجموعة المبانى التى أنشأها السلطان الأشرف قايتباى بصحراء العباسية حيث القرافة الكبرى ، وهى عبارة عن تربة لنفسه ، ومسجد ، وسبيل ، ومكتب ، وساقية ، والمسجد من المبانى الرائعة الملوكية ، وقبته من أجمل القباب ، وهو كثير الرخام كثير الزخارف على منبره وجدرانه ، وأرضه مرتفعة يصعد إليها بدرج ، لا يزال أكثر هذه المجموعة قائماً حتى الآن ، وقد أوقف على هذه المبانى وصيانتها وإقامة الشعائر والتدريس وحفظ الكتب أوقافاً جليلة ، وقد أورد على مبارك ما تضمنته الوقفية فى الخطط التوفيقية ٥:٦٩ — ٧١ .

(٢) هو برسباى الشرفى يونس الدوادار ، أستادار الصحبة ، وأمير المحمل سنة ٨٧٧هـ . مات فى حلب سلخ ربيع الآخر سنة ٨٧٨هـ (الضوء اللامع ٣:١٠ برقم ٣٩) .

(٣) وقد ذكر بعضهم النجم بن فهد فى إتحاف الورى ٤ لوحة ٦١٤ .

(٤) كاملية مخمل أحمر كفوى : الكاملية ثوب ضيق الأكمام يلبس فوق القباء كأنه معطف ، به فتحة من منتصف الظهر حتى حافة الذيل ، والمخمل : هو ما يسمى حالياً بالقطيفة ، والسمور : هو فرو حيوان من رتبة السنانير ، والكفوى : يقول الدكتور على طرخان : لعله نسبة إلى مدينة كيفا الواقعة بين آمد وجزيرة ابن =

وولده كاملية بسمور . وعـادوا صحبـة المَهْمَنْـدَار[١] يعقـوب شاه ، ومعهم طائفـة قليلـة ، منهم : البـدر بن مُزْهِـر ناظـر الخاص[٢] . ثم أدركهـم أبـوه الزينـى كَاتِبُ السِّرِّ ، وابـــن الأمينـــى الأقصرائى[٣] ، وآخرون من الفقهاء والنُّوَّاب والتُّرك ، من داخل المدينة ، ثم من باب النصر إلى تُرْبَة السلطان التى استجدها .

وكان يومـاً مشهـوداً ، فأقامـوا بها فى ضيافـة منشئهـا ــ على الوضع ــ مُدَّة ثلاثـة أيـام ، والمَهْمَنْدَار المشارُ إليـه : هو المتعاطى لأجـل وظيفتـه ، وإلَّا فهـو توريـزى[٤] ، والنـاس / من كل طائفـــة ٢٢١و

=عمر بديـار بكـر (هامش النجـوم الزاهـرة ١٥:٢٧) ويقـول مايـر فى الملابس المملوكيـة ٣٦: وكان عنـده قبـاء من الصوف مبطـن بمخمـــل أحمر من كفـــا KAFFA . وانظـــر التعريـف بمصطلحات صبح الأعشى ٢٨٥ ، والمعجم الوسيط١:٤٤٨ . ودولـــة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ــ النظم السياسية ص ٤٠ .

(١) المهمنـدار : هو الـذى يتلقـى الوافديـن على السلطـــان ، وينـــزلهم إلى دار الضيافة ، ويقوم بشئونهم ويتركب من لفظين : مهمن : ومعنـاه الضيـف ، ودار : ومعنـاه ممسك . والمراد المتصدى لشئون الضيف (صبح الأعشى ٥:٤٥٩) .

(٢) هو محمد بن أبى بكر بن محمـد بن مزهـر ، ولى نظر الخاص بعـد التـاج بن المقسى ، وناب عن والده فى كتابة السر بالديار المصريـة ، ثم استقـر بها بعـد موتـه سنـة ٨٩٣هـ ، ولم ترد وفاته فى ترجمته (الضوء اللامـع ٧: ١٩٧ برقـــم ٤٦٥) . وناظـــر الخاص : هو الذى ينظر فى خاص أموال السلطان (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٣٤٣) .

(٣) هو أبو السعود البـدر محمـد بن الأمين يحيـى بن محمـد بن إبراهيم الأقصرائى الأصل القاهرى الحنفـى ، باشر تدريس الأشرفيـة وغيرهـا ، وكان من أعيـان القـوم . مات راجعاً من مكة فى ذى الحجة سنة ٨٧٩هـ (الضوء اللامع ١١:١١٤ برقم ٣٥٧) .

(٤) يعنـى أنه توريزى الأصل ، أو تبريـزى ذلك لأن المهمنـــدار المشار إليـــه هو=

يهرعون إليهم للسلام مع طيب الكلام . ثم تَحَوَّلوا يوم الأربعاء سابع عِشْرِيه لبيتٍ بالقرب من جامع البشيرى[(١)] ببركة الرَّطْلِىّ[(٢)] ، كان ينسب لابن الأهناسى ، وهو الآن مضاف لأمّ الجمالى ناظر الخاص[(٣)] ، بعد تردد الأعيان فيما بينهم فى مكان لائق بهم ، يسع أتباعهم وجمالهم وغير ذلك ، إلى أن اخْتِيرَ هذا لكثرة أماكنه ، وسعة رحابه وفضله ، وكونه متنزهاً ، وأشباه هذا . فاستوطنوه إلى حين سفرهم .

ورسم السلطانُ للسيد بألف دينار برَسْمِ النفقة ، وبمائَتَىْ إردب فول ومثلها شعير ، وبمائتى حمل تبن . وكذا أنعم عليه فى رمضان بألف دينار أيضاً برسم النفقة فيه ، وبحَلْوَى وغير ذلك .

= يعقوب شاه بن أسطا على الأرزنجانى ثم التبريزى ثم القاهرى . وانظر الضوء اللامع ١٠:٢٨٠ برقم ١١٠٤ .

(١) جامع البشيرى : هو المسجد الذى جدده الصاحب الوزير إبراهيم بن بركة سعد الدين القبطى المصرى المعروف بابن البشيرى ، وكان جيد الإسلام . توفى فى صفر سنة ٨١٨هـ (الضوء اللامع ١:٣٣) .

(٢) بركة الرطلى : كانت بجوار الخليج الناصرى قرب المقس ، وسميت بذلك لأنه كان بها رجل يعمل الأرطال التى توزن بها الأشياء ، وكانت تسمى أيضاً بركة الحاجب ؛ لأنها كانت بيد الأمير بكتمر الحاجب أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، وتسمى أيضاً بركة الطوابين ؛ إذ كان الطوب يعمل بها ، وهى من منتزهات القاهرة ، وخصوصاً أيام الفيضان (خطط المقريزى ٢:١٢٥ ، ١٦٢ ، والخطط التوفيقية ٣:٧٢ ، ٧٣) .

(٣) أى أم الجمال يوسف بن عبد الكريم بن بركة ، الجمال الكريمى ، ناظر الخاص ، ويعرف بابن كاتب جكم ؛ لكون جده كان كاتباً عنده ، مات فى ذى الحجة سنة ٨٦٢هـ (الضوء اللامع ١٠:٣٢٢ برقم ١٢١٢ ، وبدائع الزهور ٣:٩٣) .

وَسِيقَ لهم فى طول مُدَّة إقامتهم من الضِّيَافَات والتقادم ــ لا سيما عند القدوم والتوجُّه ــ من كل أحد ما لا يُحْصَى ، وقَــرَّرَ لهم للشافعىّ من الصُّرَرِ ــ فضلاً عمّن دونه ــ ما لم أَضْبِطْ تَفْصِيلَه ، وبلغنى أن العلمى بن الجيعان[١] رَتَّب لهم فى كل يوم خمسمائة رغيف ، وثلاثة أرؤس غَنَم ، ونصفَ قنطار عَسَل ، وَوِيبَة أُرْز ، كل ذلك سوى الحَطَب والشيرج والسُّكر وغيرها ، فالله أعلم .

وطلعت تقدمة السيّد فى يوم الأحد مستهل صفر ، وفيها برقع الكَعْبَةِ ، وخمس حُجُورَات نَجْدِيَّات ، وحَبَّات لؤلؤ لا أعلم عددها ، وذهبٌ نَقْدٌ ، يقال ثلاثة وعشرون ألف دينار ــ أظن الثلاثة من التقدمة والباقى مما ٱلتزم به ــ إلى غير ذلك من البَيَارِمِ[٢] والشاش[٣] ، والهدايا اليمنيّة والهنديّة ، والتحف التى لم أعرف تفصيلها .

وكذا تقدمة القاضى وهى ــ فيما عدا الذهب واللؤلؤ والخيول ــ على النصف من تقدمة السيد ، وفيها مصحف شريف .

---

(١) هو علم الدين شاكر بن عبد الغنى بن شاكر المصرى ، ويعرف بابن الجيعان ، وهو من بيت رياسة ووجاهة ، ولهم الحل والعقد فى الدولة فى الباطن ، وإن كان لغيرهم فى الظاهر . مات سنة ٨٨٢هـ بمنزله ببركة الرطلى بالقاهرة (الضوء اللامع ٣: ٢٩١ برقم ١١١٧) .

(٢) البيارم : نوع من الثياب (السلوك للمقريزى ٤/٢:٩٧٧ ، ٩٧٨) . ويقال هى نوع من الأزر (إنباء الغمر ٣:٤٠٢) .

(٣) الشاش : هو الموسلين الرفيع الطويل الطى يلف حول العمامة كلباس=

وتقدمة الكمال ، وهى على النصف من أخيه .

وسُرَّ السلطان — فيما بلغنى — كثيراً ، مع كونه كان فى ذلك اليوم فى غاية التقطب . وأنعم على المباشرين للتقدمة بمائة وخمسة وثمانين ديناراً ، تفصيلها : لقاصد السيّد مائة ، ولقاصد الخيل خمسة عشر ، ولقاصد القاضى — وهو رئيس الفراشين — عمر بن بَيْسق نصف ما لقاصد السيّد ، ولقاصد الكمال وهو شمس الدين الحائكى عشرين .

ثم صعد السيد والقاضى وأخواه وابنُه والجماعة فى اليوم الذى يليه بالتهنئة بالشهر ؛ فَرَحَّب بهم .

ولما كان يوم السبت رابع عشره طلعوا أيضاً ؛ فأعيد القاضى لقضاء مكة ، والكمالُ لقضاء جُدَّة ، والفخرُ لما كان معه من أنظار وغيرها ، ونزلوا وقد أُلْبِسَ الشريفُ أطلسين[1] بحياصة[2] ذهب

= للرأس ، ومنه نوع به نقوش من الحرير الملون (الملابس المملوكية ٥٤، ١٠٥ ، ١٤٠) .

(١) الأطلس : نسيج من الحرير اللامع ، وقد يكون مبرقشاً بزخارف من الخطوط المتموجة ، يطلق عليه اسم أطلس متمر ، ويمثل خلعة الطبقة الأولى من أعيان الدولة ، وانظر الملابس المملوكية ٢٧، ٤٢ ، ٤٩ ، ١٠٥ .

(٢) الحياصة : وهى المنطقة أو الحزام للعسكريين ، وكانت تصنع من معدن ثمين ، وأفخرها ما كان من الفضة المذهبة ، وقد صنعت فى بعض الأحيان من الذهب الخالص المرصع بحجر اليشم ، والسلطان هو صاحب الحق الوحيد فى منح الأحزمة (الحوايص) إلى الأمراء العظام كجزء من ثياب التشريف (الملابس المملوكية ٤٧ — ٥٠) .

وشاش بطرفين[١] ، والقاضى تشريفاً وابنه كاملية بسمّور ، وكلٌّ من أخويه تشريفاً ، وهم فى أبّهَةٍ جليلةٍ وزُيِّن لهم ببعض الأماكن ، ومعهم القضاة الأربعة ، وكاتب السرّ ، وناظر الجيش ، وناظر الخاص . ورافقهم حاجب الحجاب من خوخة أَيْدَغْمُش[٢] إلى بيته ، ومن لا يحصى . بل ركب الأمينى الأقصرائى[٣] بغلته ، ووقف بالقُرْب من مسجده ليتلقاهم ويكون معهم ، فما مَكَّنه القاضى ؛
٢٢١ظ فرجع من جامع سُنْقُر[٤] / ، واستمر مَن عداه معهم إلى أن وصلوا

(١) شاش بطرفين : أى فى طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان ، مع نقوش باهرة من الحرير الملون (الملابس المملوكية ١٠٥) .

(٢) خوخة أيدغمش : الخوخة هى باب صغير وسط باب كبير ، يسمح بمرور الأفراد من البشر ، وهذه تنسب إلى الأمير علاء الدين أيدغمش الناصرى ، ترقى حتى صار والياً على دمشق ، وتعتبر هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة ، يخرج منها إلى ظاهرها عند غلق الأبواب ليلاً ، أو فى أوقات الفتن . ويصار منها إلى الدرب الأحمر واليانسية ، ويسلك إليها من داخل القاهرة ، إما من سوق الرقيق أو من حارة الروم (خطط المقريزى ٢:٣٦٧ ، ٣٦٨) ويقول المرحوم محمد رمزى فى تعليقه على النجوم الزاهرة ١٠:١٠٠ : خوخة أيدغمش هى بذاتها باب حارة الروم ، وكانت بلصق حمام أيدغمش . وانظر الوافى بالوفيات ٩:٤٨٨ ، والدليل الشافى ١:١٦٧ .

(٣) هو يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد ، الأمين أبو زكريا ابن الشمس أبى محمد الأقصرائى الأصل ـــ نسبة لأقصرا إحدى مدن الروم ـــ القاهرى الحنفى ، كان يحظى بإجلال الملوك له ، وللناس به جمال ، وظل على جلالته إلى أن مرض ، ومات فى المحرم سنة ٨٨٠هـ (الضوء اللامع ١٠:٢٤٠ برقم ١٠٠٨) .

(٤) جامع سنقر : هو جامع آق سنقر مشد العمائر الذى توفى سنة ٧٤٠هـ ، أنشأه فى سنة ٧٢٥هـ بسويقة السباعين على البركة الناصرية قرب قنطرة آق سنقر التى =

إلى محل إقامتهم . فكان يوماً مشهوداً .

وأدركهم الأمير تِمْرَاز الشمسى بأثرهم فسلّم ورجع ، وكذا غيره من الأمراء والفقراء من المشايخ والطلبة وسائر الناس من التجار وغيرهم . وما أظن كبير أحد تخلَّف عن السلام عليهم .

وجُهِّزَ قاصدٌ إلى مكة للإعلام بالولاية والعزل ، وكان مُدَّةُ سَيْرِهِ ثلاثةَ عَشر يوماً ، وجاءت الأخبارُ بأنه كان وصوله مكة فى ليلة الأحد سادس ربيع الأوّل . وحصل للناس هناك سرور كبير ، واحتفلوا بتزيين مكة وجُدَّة أسبوعاً . وبعد هذا — بل وقبله — تُكُلِّمَ فيما رامه السيد من أَمِيرَى المدينة والينْبُوع ، وكذا فى صرف ابن أبى اليُمْن عن قضاء المالكية بمكة ، والسلطان يُجِيبُ : بأنه لا بُدّ لعزلهم مِنْ ذَنْب ، ويقال إنه تكرَّرَ التعرُّض لانفصال مُغُلْبَاى باش الترك عن مكة ؛ لعدم مَشْيِهِ على سَنَنِ مَن كان قبله . فلم يُوَافق ، بل قيلَ إنه أُلْقِىَ بمجلِسِ السلطان ورقةٌ ؛ فتُطُلِّب من رماها ، وكان حاضراً فبَرَزَ وقال : إنها مُرْسَلَةٌ معه من ابن الشيخ عبد الكبير ، وأنه لم يَجِدْ من يوصِّلها ، وهى أمانة . فوُجِدَ مَضْمُونُها التشكِّى من الأمير . وكذا أكثروا من التوسُّلِ إلى السلطان فى الأمر بإرسال ابن عمّ السيدِ : رُمَيْثَة بن أبى القاسم بن حسن بن عجلان معهم ،

= على الخليج الكبير ، ولا يزال موجوداً ويعرف اليوم بجامع أبى طبل نسبة إلى الشيخ محمد أبى طبل المدفون به . وانظر الخطط التوفيقية ٣ : ٩٠ ، ٥ : ٢٠ ، والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٤ تعليق المرحوم محمد رمزى .

وهـو يحيـل عليـه وعلى رِضَاه ، بل أُمِـرَ كلٌّ من الأقصرائى وحـاجب الحجّاب ــ فى وقتين مختلـفين ــ بالتكلّـم معـه ، وهـو لا يُذْعِـن . وكان من قولـه للأقصرائى : أنـا مقيم هنـا ولست آمِنـاً على نَفْسِى ، فكيفَ بى هناك ؟! وذكرَ أنّ له مُدَّة مَدِيدَة لم يَدْخُـل مكـة . فقـال له : هذا يَتَـرَتَّبُ عليـه فسادٌ ، وأنـا أستفتـى العلمـاء فى إخـــراجك قهـراً . فقـال : ولـو استفتـــيت ــ أو كما قال ــ وبمقـــتضى هذه الإحالات من السلطان ، وعدم البتِّ بسفـرِه فَهِـمَ مَنْ فَهِـمَ إنما هو معهـــم فى الظاهـــر ، إلى أن كان فى يوم الثلاثـــاء ثانى رجب ، فاستدعى السلطانُ بالسيديـن وبالقـاضى وجماعتهم . فجلسَ السيِّـدُ بركات عن يمينـه ثم القـاضى ثم بقيَّـة الجماعـة على مراتبهم . والسيـد رُمَيْثَـة على يساره ، ثم كاتب السرِّ ثم الشَّرَف الأَنْصَارِىّ[1] والـدوادار الثانى ، وشاهين الجمـالى شاد جُدَّة[2] فى آخريـن ، وذلك بالحوش ،

(١) هو موسى بن على بن محمـد بن سليمـان شرف الديـــن التتـــائى القاهـــرى الشافعى ، ويعـرف بالأنصارى ، سافـر فى التجـارة إلى الحجـاز وغيره ، وداخـل الدولـة ، وكان رسولاً مِن السلطـان جقمـــق إلى الشريـــف بركات بن حسن ، وتـــولى الجوالى ، والكسوة ، والبيمارستان ، والخانقاه السعيدية ، وجامع عمـرو ، ووكالـة بيت المال ، وكان كفئاً فى عمله ، وانفصل عن الأعمال فى آخره ، وسافر إلى مكة سنة ٨٨٠هـ وعـزم على الاستيطان بها ، وتوفى فى سابع عشر صفر سنة ٨٨١هـ (الضوء اللامع ١٠: ١٨٤ برقـم ٧٨٠) .

(٢) هو شاهين الجمالى يوسف بن كاتب جكم ناظـر الخاص ، رقى حتـى عمـل شادية جدة سنين ، ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٣: ٢٩٣ برقم ١١٢٣ ، وشكـر سيرته ، ولم يذكر وفاته .

وجىء بالمشروب ثم بالحَلْوى ، ثم مدّ السلطان [سِمَاطاً][١] وأكـلَ منه طائفةٌ تِلْـوَ أخرى ، بحيث لم يتخلـف عن الأكل منـه أحـدٌ من الأتبـاع : الكـبير والصغير . والسلطـان جالس إكرامـاً للسيـد والقـاضى ، وأقبـل عليهمـا إقبـالاً كُلِّيًّـا ، وأكثر من محادثتهمـا ، وربما تكلّم مع رُمَيْثَة .

ولما انتهى السِّمَـاط صعـد إلى المقعـد المطـلّ على الحوش ، واستدعى بالسيدين والقـاضى وأخويـه وبعض الجماعـة ، وتكلّـم مع رُمَيْثَـة بنـفسه وبجماعتـه ليسافـر ؛ فصَمَّـمَ على الامتنـاع ؛ فأظهـر السلطان السخط منـه . ثم ألـبس السيـد بركات والقـاضى والكمـال كَوَامِلَ الشتاء بعد أن كانت كوامِـلَ السفـر . وانفصلـوا عن ذلك . ثم بعـد أيـام ؛ وذلك يوم الجمعـة تاسع عشره . جُهِّـزَ رُمَيْثَـةُ إلى الإسكندرية ليقيم بها تطميناً لخاطر السيد ، بعد الإنعام عليه بثلاثمائة دينار يتجهز / بها ، سوى [الراتب][٢] الشهـرى له ، وهـو ستـون ٢٢٢و
ديناراً . وسافر هو وجماعة من أتباعـه إليها . وحينئـذ حَثَّ السلطـانُ على إيـراد المتأخـر مما التـزم به ، وهـو قدر كبير إن لم يكـن قدراً مستأنفاً .

وقبـل ذلك بأيـام ــ وذلك يوم السبت سادسه ــ ركب السلطان للرِّماية من نصف الليل على العادة . ثم رجـع قبـل العصر

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) إضافة على الأصل .

١ طارقاً جامع آل ملك(١) إلى باب النصر(٢) إلى بين القصرين(٣) إلى باب زويلة(٤) فى أُبَّهَةٍ زائدة ، وبين يديه الأمراء الأربعة : لَاجِين ، وتَمُر ، وتِمْرَاز ، وخيربك ، والخاصكية ، والمماليك على العادة ، والطبردارية(٥) والشاوشية(٦) والأرطان(٧) ، ومعه السيد بركات وعليه

---

(١) جامع آل ملك : أنشأه الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ، ثم نائب السلطنة بالديار المصرية ، مات مقتولاً بالإسكندرية فى جمادى الآخرة سنة ٧٤٧هـ ، وكان واقعاً فى شارع نجم الدين تجاه جامع الخواص من الجهة الشرقية بجبانة باب النصر بالقاهرة ، وقد اندثر ، وأقيم على أرضه قبور (تعليق المرحوم محمد رمزى على النجوم الزاهرة ٩:٢٠٨ ، وانظر النجوم أيضاً ١٠:١٧٥ ، ١٧٦ ، والخطط التوفيقية ٢:٣) .

(٢) باب النصر : هو أحد أبواب القاهرة المعزية ، وكان يسمى باب القوس ، وهو دون باب النصر الحالى الذى بناه أمير الجيوش سنة ٤٨٠هـ (هامش المرحوم محمد رمزى على النجوم الزاهرة ٤:٣٨ ، ٣٩) وبه ينتهى شارع القاهرة الأعظم ــ المعز لدين الله حالياً ــ من جهة الشمال . ولا يزال موجوداً حتى وقتنا هذا .

(٣) بين القصرين : المراد القصر الكبير والقصر الصغير اللذان أنشأهما جوهر الصقلى عند فتح مصر لسادته الخلفاء الفاطميين ، وانظر الخطط للمقريزى ١:٤٥٧ ، والنجوم الزاهرة ٤:٣٤ ، والخطط التوفيقية ٢:١٤ ، ١٥ .

(٤) باب زويلة : ويقع فى سور القاهرة المعزية القبلى ، بناه بدر الجمالى أمير الجيوش سنة ٤٨٤هـ ورفع أبراجه ، ولما بنى المؤيد شيخ المحمودى مسجده داخل باب زويلة سنة ٨١٩هـ هدم الجزء العلوى من بَدَنَتَى الباب المذكور ، وأقام منارَتَى مسجدِهِ فوقهما ، وهذا الباب لا يزال موجوداً ، ويسمى بوَّابة المتولى ؛ لأن متولى حسبة القاهرة كان يجلس بهذا الباب لتحصيل العوائد والرسوم من التجار وأصحاب الأملاك (خطط المقريزى ١:٣٨) .

(٥) الطبردارية : هم حملة الأطبار ، وهى آلات حربية تشبه الفئوس (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٢٨٨) .

=

خلعته التى لبسها ثانى الشهر . واحتفل الناس يومئذ بالزينة ، وكان فى ذلك مضاهاة لما وقع لجدِّه السيد بركات مع الظاهر جقمق — رحمهما الله — حتى وصل السلطان إلى الصوة(١) ؛ فدخل من الباب الذى جُدِّدَ إصلاحه بها ؛ فُتِحَ له عند وصوله إليه ، وبمجرد دخوله منه أُغْلِقَ . والعسكر كلهم مشاة إلا الأمراء الأربعة وصاحب مكة(٢) ، وكاتب السرّ وابنه ، والشرف الأنصارى فإنهم ضربوا حلقة عظيمة حول الباب ، فلما وصل إليهم قابلهم ، وأطرق لهم رأسه ؛ فطأطئوا كلهم له دفعة واحدة ، ثم طلع ، وتفرق الناس بعد ذلك .

وكذا لما فتح سَدّ(٣) النيل المبارك ، وذلك يوم الأحد سادس

= (٦) الجاوشية والشاوشية : واحدها جاويش أو شاويش ، واللفظ تركى يعنى الجندى الذى يسير أمام السلطان أو الأمير فى مواكبه للنداء وتنبيه المارة (المرجع السابق ٨٢) .

(٧) الأرطان : كذا بالأصل ، ولم أقف على مدلول هذا اللفظ ، ولعله يعنى الجنود الأعاجم الذين يرطنون بكلام لا يفهم بين أبناء العربية .

(١) الصوة : اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة شمال قلعة القاهرة ، فيما بين القلعة وجامع الرفاعى (هامش النجوم الزاهرة ١٢ : ١٨٦) .

(٢) أى السيد بركات بموجب إشراكه مع أبيه فى إمرة مكة .

(٣) فتح سد النيل : يراد سد خليج مصر — خليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — وكان يحتفل به فى مصر عند وفاء النيل ، فيخرج السلطان أو من ينيبه فى موكب عظيم من القلعة ، وينزلون إلى النيل فى الشوانى والحراريق ، وغيرهما من المراكب ، ويتجهون إلى المقياس بجزيرة الروضة فيخلقونه بالخلوق — المسك والكافور والزعفران — ويصلون بعض الركعات تطوعاً ، ثم يبحرون إلى فم الخليج ؛ فيفتحون السد الذى عليه لينطلق الماء فيه ، وهذا إعلان بوفاء النيل . ثم يعودون فى الموكب بين أفراح العامة ولهوهم =

ربيع الأول أركب السيد تلك الليلة والجماعة ــ ما عدا القاضى ــ مع كاتب السرّ فى مَرْكَبٍ ، وفيها النجمى بن حِجّى[(١)] للتفرُّج ، واستمروا حتى فُتِحَ السَّدُّ من الغَدِ .

وفى أوائل رجب برز الأميرُ شاهين الجمالىُّ شادُّ جُدَّة إلى المطرية[(٢)] بالقرب من مسَلَّة فرعون ، فأضاف السيِّدَ والقاضىَ وجماعتهما هناك ، وعادوا آخر النهار .

ثم فى أوائل شعبان عَدّى بهم إلى الجيزة فأراهم الأهرام ، وصَعَدَه السيِّدُ والقاضى فمن دونهما ، وجماعتهما .

[وبرز بهم][(٣)] إلى الخانقاة السرياقوسية[(٤)] فى العشر الأخير

= إلى القلعة . وتخليق المقياس من عهد الفاطميين ، أما الاحتفال بوفاء النيل فهو من عهد الفراعنة قبل الإسلام بزمن سحيق . وانظر خطط المقريزى ١٠٤:١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٣٩:٢ ، ٢٧٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ .

(١) هو يحيى بن محمد بن عمر بن موسى بن حجى ، نجم الدين . توفى فى ربيع الأول سنة ٨٨٨هـ (الضوء اللامع ٢٥٢:١٠ برقم ١٠٣٠) .

(٢) المطرية : من القرى القديمة . بها يزرع شجر البلسان ، يستخرج منه نوع من الدهن الطبى ، وتقع فى شمال شرق القاهرة ، وتعتبر من ضواحيها ومنتزهاتها ، ومحلها كانت تقع مدينة هليوبوليس القديمة ــ عين شمس ــ وكان بها آثار فرعونية منها مسلتان أقامهما الملك سيزوستريس أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية لم يبق منهما إلا واحدة ، وتسمى مسلة فرعون ، وانظر خطط المقريزى ٤٢٦:١ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٨:٧ هامش ، والخطط التوفيقية ٤٧:١٦ .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

(٤) الخانقاة السرياقوسية : الخانقاة كلمة فارسية تعنى الدار التى يخلو فيها الزهاد للعبادة ، وهذه الخانقاة أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى فضاء شرقى =

من رمضان لملاقاة العسكر الذى القصد الأهم منه باشه الدوادار الكبير .

وقبل ذلك فى شعبان برز إلى الصحراء للقاء الأتابك ؛ فإنه كان قد تقدم العسكر ، وزاروا كثيراً من مشاهد الصالحين ، والآثار الشريفة .

وممن استضافهم المحيوى الكافياجى(١) والبرهان الكركى الإمام(٢) ، ثم الدوادار الكبير فى يوم الأحد سابع عشر شوال . وألبسَ السيّدَ والقاضى والكمالَ كوامل بسمّور ، ثم الأتابك فى اليوم

= بلدة سرياقوس وبدأ فى عمارتها سنة ٧٢٣هـ ، وجعل فيها مائة خلوة لمائة متعبد ، وبنى إلى جانبها مسجداً وحماماً ومطبخاً ، واحتفل بافتتاحها يوم السابع من جمادى الآخرة سنة ٧٢٥هـ ، وأوقف عليها الأوقاف الكافية ، وأقبل الناس على البناء حولها والسكنى بجوارها حتى صارت بلدة كبيرة ، وقد اندثرت الخانقاة . وسرياقوس إحدى قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية على عشرين كيلاً من القاهرة فى الشمال الشرقى منها ، وكان السلطان والأمراء يسرحون إليها للرياضة والتنزه (النجوم الزاهرة ٩:٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٤٤ هامش ، والخطط للمقريزى ٢:٤٢٢ ، والخطط التوفيقية ١٢:٢٠) .

(١) هو محمد بن سليمان بن سعيد بن مسعود ، المحيوى أبو عبد الله الرومى الحنفى ، ويعرف بالكافياجى . توفى فى جمادى الثانية سنة ٨٧٩هـ (الضوء اللامع ٧:٢٥٩ برقم ٦٥٥ ، وبغية الوعاة ٤٨ ، وحسن المحاضرة ١:٣١٧ ، وشذرات الذهب ٧:٣٢٦) .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن إسماعيل ، البرهان أبو الوفا وأبو الفضل ابن الزين المقرى أبى هريرة ، الكركى الأصل القاهرى الحنفى ، إمام السلطان ، ويعرف بابن الكركى ، توفى فى سنة ٩٢٢هـ (الضوء اللامع ١:٥٩ ــ ٦٤ ، وشذرات الذهب ٨:١١٢) .

الذى يليه ، وألبسهم أيضاً كوامل .

وفى يوم العيد طلعوا فصَلُّوا العيدَ بالقلعة ، ووقف السيد بركات فوق الأتابك عن يمين السلطان ، وابن الظاهر خُشْقَدَم عن يساره ، وألبسه مُتَمَّراً(١) بطراز زركش ، وقُيِّدَ له ـــ فيما قيل ـــ فرس بسرج وكنبوش . وألبس كُلًّا من القاضى وأخيه الكمال كاملية بسمّور . ولم يفتهم من المشاهد إلا المولد السلطانى ، واعتذر السلطان عن عدم الإذن لهم فى حضوره بغيبة العسكر ، الذى الرغبة فى شهوده مع حضورهم أكثر .

وأحضر الشهاب الشَّاوِىّ إليهم ، فقرأ عليه الجمالى أبو ٢٢٢ظ السعود بن القاضى / ثلاثيات الصحيح ، فسمعها السيدُ والجماعة ، ما عدا القاضى والكمال .

ولما كان فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال صعد السيد والقاضى والكمال بعد أن خُلِعَ أميرُ الينبوع سبع ، واستقر عوضه من سأل السيد راعى الحجاز فيه ، وهو صُقَيْر ، على أن يحمل خمسة عشر ألف دينار . وانفصل قاضى المالكية ابن أبى اليمن ، بواسطة سؤال مُغْلْبَاى ، وإلا فالسلطان لم يَنْجَرّ معهم في عزله ، وأعيد عوضه المحيوى عبد القادر ؛فألبسو ـــ كما قدمت ـــ كوامل

(١) المتمر : ويعنى به خلعة من حرير صنع فى الإسكندرية منسوج بالذهب يعرف بالمتمر ، وهو من خلع التشريف التى يختص بها نواب السلطان وكبار الأمراء المقدمين (خطط المقريزى ٢:٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وصبح الأعشى ٤:٥٣ ، والملابس المملوكية ١٠٥ ، ١٠٦) .

السَّفَر . ويقال : إنه أرسل السلطان للسيد ـــ قبل ذلك ـــ فَرَساً بسرج وكَنْبُوش ، وجُهِّزَت خِلْعَةُ أبيه مع فرس أيضاً .

وركبوا من بركة الرَّطْلِى ليلة الأربعاء على المشاعل[1] إلى تُرْبَة الشرف الأنصارى[2] ، ثم ساروا منها إلى بركة الحاج ، وسافروا ظهر يوم الأربعاء العشرين منه فى ركب مستقل . يتقدم الأول فيه شاهين الجمالى شاد جُدَّة ، وخلق ممن له عادة بالتوجه معه وغيرهم .

وشيَّعهم الدوادار الكبير ، وناهيك بهذا عند أربابه فضلاً عن من دونه . انتهى كلام شيخنا السخاوى .

قلت : واستمروا مسافرين حتى وصلوا مكة ليلة الثلاثاء رابع عشرى القعدة ، بعد أن مُدَّ لهم بالوادى سِمَاطٌ حسن . ولما دخلوا مكة طافوا وسعوا ، وخرجوا فى ليلتهم إلى وادى الزَّاهر الكبير ، وباتوا فيه إلى الصبح ، وخرج للقائهم السيد محمد ؛ فألبسه الأمير شاهين الجمالى خلعة ، وكذا ابنه السيد بركات ، والقاضى برهان الدين ، وولده وأخواه ، خلعة خلعة ، وألبس القاضى برهان الدين وأخاه فخر الدين طَيْلَسَاناً طَيْلَسَاناً ، ودخلوا جميعاً مكة ثم المسجد الحرام ، وجلسوا بالحطيم إلا السيد محمد فإنه فارقهم من المسعى ، ومضى لبيته ، وعاد إليهم وهم بالحطيم ، وقرئ به خمسة مراسيم : اثنان

(١) أى على ضوء المشاعل .

(٢) سبق ترجمته فى ص ٥٤ ت ١ ، وله مجموعة من المبانى بصحراء العباسية ـــ فلعلها المقصودة هنا ـــ (الضوء اللامع ١٠ : ١٨٤ برقم ٧٨٠) .

للشريف ، وثلاثة للقاضى برهان الدين وأخويه . وهى تتضمن : وصول السيد بركات نائب أبيه ، وأَعَدْنَا القاضى برهان الدين إلى قضاء مكة ، والنظر بها ، ونظر الأوقاف ، وأخاه القاضى كمال الدين إلى قضاء جُدَّة وخطابتها ، وأن يحكم بمصر وحيث حَلّ ركابُه ، وأخاه الخطيب فخر الدين إلى نظر رباطَى السِّدْرة[1] وكُلَالة[2] وأوقافهما ، وصار السيد بركات لكونه نائب والده يلبس معه الخِلْعَة ثانياً . وكلما قدم أمراء الحاج ، ونائب جُدَّة يكون معه لابساً وملاقياً .

ولما حجّ السلطانُ فى سنة أربع وثمانين لاقاه أبوه إلى بدر ، فتخلّف عنه ولاقى نائب جُدَّة وأميرى الحاج المصرى من غير مخالفة لأبيه ولا حظر ، بل فى هذه السنة لاقى أميرَ الشامىّ ، وخَلَعَ عليه ، وكان والده بلا خلعة راكباً مع العَسْكَرِ بَيْنَ يديه ، وذلك تعظيمٌ لولده ليراه السلطانُ ويجعله الخليفة من بعده . وصارَ والدُه يندبه فى جميع مهماته ، ولغزو العرب المناقين والمخالفين فى سائر جهاته :

فمن ذلك فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين توجه للشرق لغزو

---

(١) رباط السدرة : ويقع بالجانب الشرقى من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد من باب بنى شيبة ، كان موقوفاً سنة أربعمائة ، ولا يدرى الفاسى من وقفه . وموضعه هو دار القوارير التى بنيت فى زمن الرشيد على ما ذكر الأزرقى (شفاء الغرام ١:٣٣٠) .

(٢) رباط كلالة : ينسب للشيخ أبى القاسم بن كلالة الطبيبى بالمسعى ، وتاريخه سنة ٦٤٤هـ قرب الرباط المعروف برباط العباس بالمسعى (شفاء الغرام ١:٣٣٣) .

عرب مُطَيْر ؛ فأُنْذِرُوا وفَرُّوا ، ورجع سالماً[١] .

وفى رمضان منها / توجه لسَايَة فأرضاه بعض أهل الفُرْع بمال ، وأبى بعضُهم ؛ فقطع لهم نخيلاً كثيراً ، يقال إنه أكثر من أربعة آلاف نخلة[٢] . ٢٢٣و

وفى صفر من سنة ثمان وثمانين وصل مكة ومعه بعض إخوانه ، وجمع كثيرٌ من العسكر والأعراب بقصد غزو الحُنَيْش بالشرق — وهم فخذ من ناصره عرب بجيلة — واسم شيخهم بريمان ؛ فإنه سمع أنهم بالوطاة ، فذهبوا إليهم فظفروا بفريقين إلا فريقاً للحُنَيْش شيخهم هو فيهم نَجَوْا ، وغنموا الآخرين ، وقتلوا جماعةً . ونهبوا حِلَّةَ الفريقين ، وغنموا إبلاً وشاءً كثيراً ، وتقاسموا ذلك ، وعادوا لمكة[٣] .

وفى شعبان منها وصل أيضاً لمكة ومعه العسكر بنيَّة التوجّه إلى الشرق للغزو ، فتوجّه إليهم وغزاهم ، وأخذ منهم خمسة وعشرين قطيعاً ، وهربوا ، وآدَّعى بعض أهل الشرق أن لهم مالاً عندهم[٤]

(١) بلوغ القرى فى ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لوحة ١٠و ، وفيه مع أنه وإياهم فى صلح ، لكن قيل إنه طمع فى مالهم لكثرته .

(٢) المرجع السابق لوحة ١٢ظ .

(٣) المرجع السابق لوحة ١٤ظ ، وانظر ما مضى فى تاريخ الشريف محمد بن بركات أخبار سنة ٨٨٨هـ جـ ٢ ص ٥٤١ من هذا الكتاب .

(٤) أى عند الذين غزاهم السيد بركات (بلوغ القرى لوحة ١٨و) .

وديعة ، فجاء بعضهم بالبيِّنة ؛ فأُعْطِىَ مَالَهُ ، ثم عاد إلى مكة فى رمضان .

وفى يوم الثلاثاء مستهل ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين توجّه ومعه العسكر للغزو بالشرق ، ومعه صاحب ينبع : دَرَّاج ويَحْيَى بن سبع بن هجان ، فانتصر وغنم وصُولِحَ وكان مما غنم نحو سبعين من الإبل وأعطاها ليحيى بن سبع ، ثم عادوا لمكة[1] .

ولما طال تمنع آل جميل[2] بجبلهم توجّه إليهم السيد بركات فى شعبان من سنة أربع وتسعين ، وفَرَّق العسكر عليهم ثلاث فرق ؛ فاحتاطوا بالجبل ، وحشروهم إلى رأسه ، وأحرقوا لهم ثلاث مقارى[3] ، يقال إنها تساوى ألف دينار . فلما رأوا ذلك عرفوا ألا ملجأ لهم إلا الله ومراحمه ، فنزل إليه جماعة ـــ كما تقدم فى أبيه ـــ فطَوَّقهم بالحديد ، وصالحه جماعة من العربان . وعاد لمكة . وصالحوا على مال وحبسوا حتى أَتَوْا بالمال . فمات بعضُهم بالحبس . وتسحَّب جماعة منهم ، فأُدْرِكَ بعضُهم وحُبِس حتى

(١) بلوغ القرى لوحة ٣٧و .

(٢) آل جميل : أحد فرعى هذيل ، ولها فروع كثيرة ، وكل قبائلها تسكن وادى نعمان ، وتمتد ديارهم من نعمان فى الشمال إلى مشارف وادى يلملم . آخذة من السراة مائلة إلى الطائف ، على عشرين كيلاً منها ، ثم تميل على تهامة إلى درب العرفات ودرب اليمن (معجم قبائل الحجاز) .

(٣) مقارى : جاء فى بلوغ القرى لوحة ٤٨و « وهى محال النحل » ولعلها الأماكن التى توجد بها الخلايا التى يفرز فيها النحل عسله ، أو لعلها الخلايا نفسها .

أكملوا ما عليهم .

وفى ذى القعدة من السنة توجه فى عسكر إلى الشرق لغزو عرب الروقَة[١] من بنى لام ، ويقال إنهم لم يجدوهم ، إنما وجدوا عرباً من ناصرة[٢] وعرب سبيع[٣] ، فغنموا إبلاً كثيرة يقال إنها ألف ، وشياهاً كثيرة جداً . ثم عادوا لمكة .

وفى ذى القعدة من سنة خمس وتسعين اشتكى فرقة من الحبوش ــ وهى جزل ــ على السيد بركات : أن نائب جُدَّة تَنَم منعهم من اللعب بالشُّبَيْكَة ليلاً لقربهم من بيته . فأمرهم باللعب عند بيته بأجياد ، وهو محل لعب سَحَرْت ، فما سمحوا بذلك[٤] ، وتَعَبُّوا بالسلاح . فلما دخلوا أجياد خرجوا عليهم واقتتلوا ، وجرح بعضهم بعضاً ، فسمع السيد بركات [بذلك][٥] فأرسل أخاه هيزعا ليكفّهم فما قدر على ذلك [لالتحامهم فى بعضهم بعضاً وكثرتهم][٥] ، وصاح لهم[٦] ، فخرج إليهم ومسك نقيبين

---

(١) وعبارة بلوغ القرى لوحة ٤٩ظ « لغزو عرب من بنى لام الروقة » وانظر فى الروقة معجم معالم الحجاز .

(٢) ناصرة : أحد فروع بلحارث القاطنة جنوب الطائف ، وتنقسم ناصرة إلى ثلاثة فروع رئيسية : الحسكان ، والشعيث ، والموسى ، وديارهم تجاور بنى سعد من الجنوب ، وهى أدنى بلاد بلحارث إلى الطائف (معجم قبائل الحجاز) .

(٣) سبيع : انظر فيها المرجع السابق .

(٤) وعبارة بلوغ القرى لوحة ٥٥و « فلما سمع السحرت بذلك تعبوا لهم بالأسلحة » .

(٥) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٥٥و .

=

لسَحَرت ، وذهب بهما إلى درب المعلاة فشنقهما وعاد ، ونفى شيخهم بَدْرَهَجِين فتى والده .

وفى ربيع الأول من سنة اثنتين وتسعمائة توجه السيد بركات من جُدَّة بالعساكر إلى والده ــ وهو ببَدْر ــ لغزو بنى إبراهيم ؛ فإنهم جاءوا بمرسوم ليسكنوا بلادهم السويق ، فامتنع الشريف محمد منهم ؛ فبذلوا / له قدراً مَا رَضِيَه[1] فأرسل طلب العساكر من مكة ٢٢٣ظ
فتوجهوا له[2] ، فلما وصل العسكر أرضاه بنو إبراهيم ، وسكنوا

= (٦) فى المرجع السابق « فصاح إلى أخيه : أننى قد عجزت ، وإن كانت البلاد لهم فاتركهم يقتتلون فى بعضهم بعضاً ، وإن كانت البلاد لك فانزل إليهم واستبقهم فنزل وركب فرسه وخرج إليهم وصاح عليهم فتفرقوا » .

(١) وفيما سبق جـ ٢ ص ٥٩١ « أنهم سألوا الشريف فى الإقامة على تعجيل خمسة آلاف دينار وإعطاء ألفين فى كل سنة . فامتنع إلا إن كانوا يعطون الفرس والدروع ، فامتنعوا وقالوا : بيننا وبين العرب عداوة .. ثم وقع الاتفاق على أن يعطوه ستة آلاف دينار فى هذه السنة ، وأخذ كثيراً من خيلهم ودروعهم بألفين ، وترك لهم ألفاً ، وعلى أن يعطوه فى كل سنة ثلاثة آلاف دينار » .

(٢) وفى بلوغ القرى لوحة ٩٣و « وفى هذا اليوم والذى بعده نادوا بمكة للحسنيين والعجلانيين وجميع العساكر بالبروز إلى جدة والتوجه إلى ينبع لأجل بنى إبراهيم ؛ فإنهم استولوا على بلدهم السويق بمرسوم سلطانى ، فسألوا الشريف فى الإقامة على تعجيل خمسة آلاف دينار ، وإعطاء ألفين فى كل سنة فامتنع إلا إن كانوا يعطون الفرس والدرع ، فامتنعوا وقالوا : بيننا وبين العرب العداوة » . وفى لوحة ٩٤و فى أخبار جمادى الأولى سنة ٨٩٢هـ « وفى ليلة الخميس ثانى عشر الشهر وصل السيد الشريف صاحب مكة المشرفة جمال الدين محمد بن بركات وولده السيد زين الدين بركات وجماعتهما بعد أن زار السيد جمال الدين محمد جده المصطفى صلى الله عليه وسلم مرة ثانية بعد صلحه هو وبنى إبراهيم على ستة آلاف دينار فى هذه السنة ، وأخذ كثيراً من =

البلاد . وعاد الشريفان ـــ نصرهما الله ـــ والعسكر لمكة فى جمادى الأولى .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشر المحرم من سنة ثلاث وتسعمائة توفى والده (١ السيد الحسيب النسيب الشريف ١) جمال الدين محمد بن بركات ـــ تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان ـــ وكان ممن حضر مشهده الأمير الكبير أُزْبَك الظاهرى . فرام الأمير كتابة محضر حينئذ بالمعلاة للسيد بركات ، واستدعى إليه القاضيين الحنفى والمالكى ـــ وكان الشافعى عنده ـــ ثم ترك ذلك ، وأرسل السيد بركات قاصده القائد سعيد بن يحيى الحسنى البركاتى بلا محضر إلى السلطان يخبره بذلك . وذلك فى ثانى يوم الدفن .

وفى هذا اليوم نادى منادى السيد بركات ـــ نصره الله تعالى ـــ بأن الرسم الذى على بَجِيلَة يترك ولا يبقى أحد يأخذ منهم شيئاً ، وهو على كلّ حِمْلٍ نصف أشرفى ـــ جزاه الله خيراً ، ووفقه لكل جميل(٢) .

وفى ثالث يوم من الموت مَدَح السَّيد بركات الشريفُ الأديبُ

= خيلهم ودروعهم بألفين وترك لهم ألفاً ، وعلى أن يعطوا فى كل سنة ثلاثة آلاف دينار ، وعاد غالب العسكر قبلهم » .

(١) فى الأصل « السعيد السيد الشهيد » والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٠٠و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٠٠ظ .

الأجل ، رفيع القدر والمحل مجد الدين جَرَّاح بن شَاجِر بن حسن السليماني الحسني ، الزيدي الجازاني ، بقصيدة ذكر فيها إقامته بالأمر بعد والده ، مطلعها :

أصبح المُلْكُ مُشْرِقاً مُسْتَنِيـرَا
ضاحكاً بَعْدَ غمِّهِ مسرورا
كان قد هدَّت الحوادثُ رُكْناً
منه بالأمس وَٱنْثَنَى معمورا
رَحِمَ اللهُ سَيِّداً سلَّه منـ
ـه ولَقَّاه نَضْرَةً وسرورا
وَجَزاهُ عن الرعيَّة خيراً
يَرْتَضِيهِ وَجِنَّةً وحريرا

ومنها :

يا هلالاً مضى وخلَّف شمْساً
أشرقت بعده على الخلق نورا
لا تَخَفْ نَكْبَةً على بَرَكَاتٍ
إن رَبِّي أعطاهُ مُلْكاً كبيرا
أصبح اليومَ للخلافةِ أهْلاً
بعد رَبَّته وَٱصْطَفَتْهُ صَغِيرا
غلقت بابَ سِرِّها وَٱجْتَلَتْهُ
وَبَنَتْ خَنْدَقاً عليه وسُورَا

أرْكَبَتْــهُ مِنَ المعالِــى سَرِيـــراً
وَمِــنَ المَجْــدِ أفرَشَتْــهُ حصيرا
ثُم قالتْ له رضيتُك زَوْجـــاً
وَوَلِيًّـــا وَقَلَّدَتْـــهُ الأُمُورَا
فاق فيها عَبْــدَ الملــيكِ بن مَرْ
وَانَ وَسَادَ الرشيــدَ والمنصورَا
إن يكونــوا تقدَّمــوه وُجُـــوداً
وأَتَــى بعدهــم سِرَاجــاً مُنِيــرَا
فَلَــهُ فَضْلُ جَدّه خاتم الــرُّسْـ
ـل على الأنبيَــا وكَــانَ أخِيــرَا
لو دَرَى المُــلْكُ أنَّــه سَيَليــهِ
لَمْ يُطَاوِعْ كسْرَى وَلَا أزْدَشِيــرَا /
قامَ بالأَمْرِ للعِبَــادِ إمَامــاً ٢٢٤و
وَبِتَدْبيرِهِـــمْ خَبِيراً بَصِيـــرَا
وَسَعَى فى صَلَاحِ كُلٍّ فأضحــى
سَعْيُــهُ عِنــدَ رَبِّــه مَشْكُــورا
فَمُوَالِيـــهِ سوف يَكْسِبُ خيراً
ومُعَادِيــهِ سوف يَدْعُــو ثُبُــورا
ومنها :
أشرَقَتْ شمسُ عَدْلِــهِ للبرايـــا
عَمَّتْ البَــدْوَ منهمُ والحضورا

واطمــــأنت نفوسُهُـــــم وَدَرَوْا أنْ
لَيْسَ إذْ قَامَ يُظْلَمُــــــــــون نَقِيرا
أغْمَدَ الدهرُ صَارِمــــاً من أبيـــهِ
وَآنْــتَضَاهُ مِنْ غِمْــدِه مشهــــورا
ولئـن غَاضَ مِن مُحَمَّـــدٍ بَحْـــرٌ
فَبَنْوهُ الكــرامُ أضْحَــوْا بُحُـــورَا
وإذا غَابَ مِنْـــــهُ بَدْرُ تَمــــامٍ
فلقـد خلَّـفَ الشمـوسَ البُـــدُورا
يآبـــنَ بنتِ النبـــــيّ أحمَدَ إنى
لكَ ما زلتُ حَامِـــداً وشَكُــــورَا
أسْأَلُ اللهَ أنْ يُخَلِّـــدَ مُلْكـــــاً
أنتَ فِيـــــهِ بِفَاطِـــــرٍ والشُّورَى

وفى ليلة الاثـنين ثانى عشر صفـر جاء قاصد من جُدَّة وأخبر بوصول الأمير طرابية أمير أخور ثالث ، ومعـه المماليـك ، بمراسيم فيها طلب الأمير الكبير أزبك معزوزاً مكرماً[1] .

وفى أول ليلة الثلاثاء ثانيه وصل السيد بركات وإخوانه مكـة ، وبين المغـرب والعشاء وصل الأمير المذكـور ومعـه تسعـة مماليـك ، بعضهـم من جهـة الأمير الكـبير ، واثنـان منهم من مماليـك الأمير أقْبَرْدِى الدوادار مَنْفِيَّان ، فطافوا وسلموا على الأمير الكـبير بالمسجـد

(١) بلوغ القرى لوحة ١٠١ظ .

الحرام ، وخرجوا للمسعى[١] .

ثم فى صبحة الليلة المذكورة اجتمع الأمير الكبير أُزْبَك والسيد بركات وإخوانه والقاضيان الشافعى والمالكى ، والباش ، والمحتسب ، والأمير الواصل وغيرهم بالحطيم تحت زمزم ، وقرئ مرسومان : أحدهما للأمير الكبير ، والثانى للسيد محمد ، ومضمونها : الرضا على الأمير الكبير ، وساعة وصل مرسومنا إليكم يُصَلِّى ويطوف ويسعى ، ويَحْلِفُ لنا على الحَجَر الأسود ، ويُكْتَبُ بذلك ورقة . ففعل ، وحلَّفه القاضى الشافعى ، ولبس الشريفُ خلعة والده[٢] .

وأخذ الأمير الكبير يتجهَّز ؛ فأرسل إليه السيد بركات مائة جمل بأرحالها وسبعين ناقة بأكوارها ، ففرق منها على الخاصكية والمماليك المتوجهين معه ، واحتاج إلى جمال يوم السفر أيضاً ؛ فأمر له بعشرين جملاً ، وأعطاه خمسة عشر مُوَلَّداً للشدّ ، ثم زاده عشرة من أهل مكة ، وخمسة عشر قوّاساً[٣] . فتوجه يوم الجمعة ثالث عشرى صفر .

وتوجه السيد بركات وإخوانه وعسكره إلى فريقهم ، وعاد الشريف وإخوانه إلى مكة ليلة حادى عشر ربيع الأول ، وزاروا

(١) المرجع السابق ١٠١ و .

(٢) المرجع السابق مع اختلاف يسير فى العبارة .

(٣) أضاف المرجع السابق لوحة ١٠١ظ « واستخدم هو حجاجاً » .

المولد ، وعادوا ثانى ليلتهم[١] .

وفى مغرب ليلة الأحد سابع عشر الشهر وصل / القائد ٢٢٤ظ
سعيد بن يحيى قاصد السيد بركات بعد موت والده ، وأخبر بوصول القاضى كاتب السرّ البدرى مُزْهِر بحراً ؛ لأجل تقليد السيد بركات ، ومعه الشريف عَنْقَاء بن وُبَيْر المتَسَحِّب فى الموسم إلى مصر ، وقاصد الشريف فى الموسم أحمد بن نصر[٢] .

وفى عشاء ليلة الأحد غرة ربيع الآخر وصل قاصد الشريف أحمد بن نصر متقدماً عن القاضى كاتب السرّ من خَبْتِ البَزْوَاء[٣] ، وكانوا قد وصلوا إلى ينبع بحراً ثم ركبوا بَرًّا[٤] .

وفى ليلة الثلاثاء ثالث الشهر وصل مكة القاضى كاتب السرّ البدرى بن مُزْهِر ، وطاف وسعى ماشياً ، وسكن ببيت الخواجا إبراهيم بن الزَّمن عند باب الصفا ، ووصل السيد بركات وإخوانه

(١) بلوغ القرى لوحة ١٠٢و .

(٢) المرجع السابق .

(٣) خبت البزواء : الخبت : المطمئن من الأرض ، والسهل فى الحرة ، والوادى العميق الذى ينبت ضروب العضاه .

والبزواء ــ حالياً ــ : صحراء جرداء ساحلية ، بها طريق إلى مستورة ، وخبتها يسمى حالياً خبت الفريش ، وكانت قديماً قرية بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودّان وغيقة ، وكانت منازل بنى صخرة بن بكر بن عبد مناة ، رهط عزة صاحبة كثير (معجم معالم الحجاز ١:٢١٧ ، ٣:١٠١ ، ١٠٣ ، وعلى طريق الهجرة ١٨٩) .

(٤) بلوغ القرى لوحة ١٠٢ظ .

فسلّموا عليه ببيته بعد الصبح[١] .

وفى ثانى يوم ـ نهار الأربعاء رابع الشهر ـ حضر القاضى كاتب السرّ ، والسيدان بركات وهزّاع ، وقاضيا القضاة الشافعى ، والحنفى الجديد النُّوَيْرِىّ على بن أبى الليث بن الضياء ، والباش والمحتسب وغيرهم بالحطيم تحت زمزم . وقرئت المراسيم : للقاضى كاتب السرّ مرسوم ، وللسيد بركات مرسومان ، وللقاضيين مرسومان . فمرسوم القاضى كاتب السر يتضمن : الوصية به وأن إليه[٢] أمر جميع الحجاز فى الولاية والعزل ، وأن جميع الأمور معذوقة به . والأول من مرسومى الثانى يتضمن الإذن له فى تولية المدينة للشريف فارس بن شامان ، وفى تولية ينبع للشريف درّاج . والرابع للشافعى ، وهو يتضمن : استمراره فى جميع وظائفه بمكة وَحْدَه . والخامس يتعلق بالقاضى الحنفى النويرى بن الضياء ، وهو يتضمن : استقراره فى قضاء الحنفية بمكة ، وتدريس المدرسة الأشرفية ، والحضور بها عن قريبه الشرف أبى القاسم بن الضياء ، ولَبِسَ كلُّ واحد من السيد بركات وأخيه السيد هَزَّاع والقاضيين الشافعى والحنفى ، والباش ، والمحتسب ، والخواجا عبد الرحمن بن الطاهر ؛ خلعة خلعة ، والقاضى الحنفى عليه طرحة . وبعد الفراغ من ذلك

(١) المرجع السابق .

(٢) كذا فى الأصل وبلوغ القرى لوحة ١٠٣و ، والمقصود أن للسيد الشريف بركات أمر جميع الحجاز إلخ .

دخل الشريفان الطواف ، وطافا والرئيس أبو عبد الله يدعو للسيد بركات فى كل شوط فوق ظلّة زمزم إلى أن فرغا ، ومشيا وجميع الحاضرين إلى باب الصفا . وقَدَّم القاضى كاتب السر فرسين [للسيد بركات وأخيه هزاع][(1)] ، ولكن فرس السيد بركات أعظم ، وبسرج مُغَرَّق وكنبوش عظيم ، فركباهما وصعدا إلى المدعى على عادة أمراء الحجاز ، وانقلب العسكرُ والعوامُّ أمامهماوخلفهما ، ثم عادا إلى بيتهما ، وتوجّه القضاةُ والفقهاء مع قاضى القضاة الشافعى للسلام على السيد بركات وأخيه ، وكان يوماً مشهوداً حصل به البهجة والسرور لجميع الناس ، فالله يحفظه ويديم أيامه الزاهرة ، ويجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة .

وأنشد الشعراء فى مدح السيد بركات وتهنئته بالولاية ، ولبس الخلعة عدَّة قصائد ، ومما اطلعت عليه قصيدة الفقيه الفاضل الأوحد
٢٢٥و الأصيل عز الدين محمد ابن الشيخ شرف / الدين أبى القاسم بن مجد الدين أحمد ابن قاضى القضاة عز الدين العقيلى النويرى[(2)] ،

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٠٣و .

(٢) هو محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ، العز أبو المفاخر بن الشرف أبى القاسم بن المحب النويرى المكى الشافعى ، ولد فى شعبان سنة ٨٦٩هـ بمكة ، واشتغل بالفقه والعربية ، ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٨:٥٨ برقم ٨٦ وقال : « لازم القاضى ـــ قاضى قضاة الشافعية ـــ فى سنة ٨٩٩هـ . وزارنى فى المدينة ، وقرأ على بالروضة الشريفة » ولم أقف له على تاريخ وفاة ، لأننى لم أعثر له على ترجمة وافية فيما تيسر من المراجع .

وهى :

السعدُ جَاءَ إلى الأعْيـان ينتـدبُ
يابنَ الكِرَامِ الذى تَسْمُو بِهِ الرُّتَبُ
يا ضَيْغَماً قد حَوَى فخـراً ومَكْرُمَـة
يا سيـداً قد غدا ينبـو به الحسَبُ
يا مالكـاً قُلِّـدَ التشريـفَ فِى حَرَمٍ
خَرَّت لِهَيْبَـةِ ذاكَ العُجْـمُ والعـربُ
يا كافِـلَ المُـلْكِ فى مَبْـدَا شبيبتـه
فلا يدانيهِ فى العليـــا سواك أبُ
كفَـلْتَ خيـــرَ بلاد الله فاتَّضَعت
لك الشوامـخُ والأفـلاكُ والسحبُ
حَمَـــيْتَ جيرانَـــه والزائريـــن له
براحةٍ منك يُسْتَشْفَـى بها الـوَصِبُ
فَأضْحَى الحطيمُ يُنَادِى فى المَلَا عَلَناً
هذا المليكُ الذى يُدْفَعْ بِهِ الـنَّصَبُ
هَذَا الهُمَامُ الـذى إنْ سَلَّ صَارِمَـه
هَوَاصِرُ[1]الأسْدِ من بَأسَاهُ تَضْطَرِبُ
هَذَا الذى تَحْذَرُ الأعـداءُ سَطْوَتَهُ
وكُـلُّ ضِرْغَـامٍ فى ألحاظِـــهِ شُهُبُ

(١) فى الأصل « خواص » ولعل الصواب ما ذكرته .

هَذَا الذى حَصَّنَ الأمْلاكَ ساعِدُه
بأسْهُمٍ لم يَزَل فى حَدِّها العَطَبُ
سَارَتْ لِخِدْمَتِهِ الأفْلَاكُ طَائِعَة
عَلَى صَوَافِنَ كالعِقْبَان إذْ تَثِبُ
قَوَانِصٌ قَدْ عَلِمْتُم من عَزَائِمِهِ
سَوَابِغُ المجدِ عَ الأذْيَالِ تَنْسَحِبُ
فَهُوَ الذى نُصِبَتْ رَايَاتُ نُصْرَتِهِ
على السُّهَا ونجوم الأفق ذى[1] طُنُبُ
وَهُوَ الجَوادُ الذى مَنْ أَمَّ ساحَتَه
يُعْطَى السَّوابقُ مِن نَعْمَاهُ والذَّهَبُ
يا زينةَ العِقْدِ قدْ وَافَتْكَ أرْبَعَةٌ
النصرُ والبِشْرُ والإسْعَادُ والأدَبُ
بركات سلطاننا الميمون طَالِعُهُ
الألْمَعِيّ الذى يَنْجَح بِهِ الطَّلَبُ
رَقَى ذُرَى العِزِّ فى أيَّامِ شبَّتِهِ
فأنْجُمُ السَّعْدِ فِيمَا رَامَهُ نُجُبُ
([2]أما تَأثَّرَ أقْواماً[2]) له سَلَفُوا
عَنْهُم بكُلِّ جميلٍ جَاءَت الكُتُبُ

(١) فى الأصل « هى » ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) فى الأصل « اما يلقوا ما نرا » ولا معنى له ، ولعل الصواب ما أثبته .

فدُمْ سَعِيداً قَرِيرَ العَيْنِ فى رَغَدٍ
مِنَ المَعَاشِ هَنِيٍّ لَيْسَ يَنْقَلِبُ
ومَنْشِئُ المَدْحِ عزُّ الدين عَبْدُكُمْ
مِنْ نَسْلِ قَوْمٍ لَهُمْ فِى وَصْفِكُمْ خُطَبُ
أَلْقَوا الذى لَكُمُ فى حَضْرَةٍ شَرُفَتْ
عَلى مَنَابِرِ عِزٍّ زانَهَا النَّسَبُ
أَقْسَمْتُ بالبيتِ والأركانِ قاطِبَةً
والمَشْعَرَيْنِ وسَفْحٍ حَوْلَهُ رَحبُ[1]
لَمْ أَقْضِ بعضَ الذى أَوْلَيْتَ مِن نِعَمٍ
لكِنَّ هَذَا مُؤَدّى بعضَ مَا يَجِبُ
ثُمَّ الصلاةُ على المختارِ مِنْ مُضَرٍ
مَا لَاحَ فِى الأُفْقِ بَرْقٌ أو سَرَتْ رُكُبُ / ٢٢٥ظ

وفى يوم الخميس ثانى[2] عشر شعبان اجتمع السيد بركات وبعض إخوانه والقاضى كاتب السر والقاضى الشافعى بالحطيم ، وقرئ مرسوم القاضى كاتب السرّ ، وفيه : الثناء عليه ، وذكر قضية العامرى[3] ، وأنْ يُمْسَك ويُرْسَل ، وأن القاضى الشافعى يُحَاسَب

(١) هنا قسم بغير الله تعالى . والقسم بغيره لا تقره شريعة الإسلام .

(٢) كذا فى الأصل . وفى بلوغ القرى لوحة ١٠٥و « وفى يوم الخميس ثانيه » .

(٣) هو شمس الدين محمد العامرى مؤدب ولد الخواجا على بن الناصرى ، وملخص قضيته : أن كاتب السر بدر الدين بن مزهر ذهب إلى جدة ، وقام بضبط مال الخواجا على بن الناصرى ، وحمل بعض صناديق مرجان ، وبطط زئبق ، وشكاير فضة=

على مال الأيتام ، ويصلنا بالقوائم فى الموسم ، وبما جعله السيد بركات ١
للخزانة ، ولبس كاتب السر خلعة ، ومشوا معه إلى باب داره ، فألبس خلعته السيد بركات ، فركب هو وإخوانه وتوجّه إلى بيته ثم سافر إلى أهله(١) .

=وغير ذلك إلى سكنه ببيت القاضى الشافعى ــ وكان قبل ذلك ضبط ماله بمكة ــ ولما سمع الناس بذلك أنكروه وظنوه افتياتاً . وفى يوم السبت ثانى عشرى ربيع الثانى جاء شمس الدين العامرى متسلحاً بخنجر وبيده سيف ، متدرعاً بقوسين ونشاب إلى الإمام الشافعى بالمسجد الحرام ، وهو داخل إلى الصلاة ، وهاش على الإمام يريد منعه من الصلاة ؛ ليقيم الناس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما فعله كاتب السرّ فى مال الناصرى ، فقام إليه الباش وكلمه ، وطلب منه الانتظار حتى يصلى الناس ، وصاح الإمام بالناس يطلب سلاحاً ليقاتل به العامرى ، وزعم أنه كفر ، وأنه حلّ قتله ، ورجع إلى خلوته . وفى سابع جمادى الأولى عاد القاضى كاتب السرّ إلى مكة ، واجتمع عنده بالمسجد الحرام القضاة الثلاثة والباش ، وتكلموا فى أمر العامرى الذى أنكر على كاتب السرّ ، وإذا به يدخل عليهم ، وينكر على كاتب السر فى وجهه ، فدعا كاتب السر الشهود ؛ فأنكر العامة عليه وكبروا ، فخرج هو ومن معه ، فرموهم بالحصباء ، حتى إن بعض قناديل المسجد تكسر من الحصباء ، ودعا العوام للباش وشكروا القاضيين الشافعى والمالكى ، وذكر كاتب السر للباش ــ مع رسول ــ بأن القاضى الحنفى أخبره عنك أنك قلت إذا وصل كاتب السر من جدة أركب إليه إلى باب الشبيكة وأمنعه من الدخول . وذلك بحضور القاضى الشافعى ، وأنه قال نعم . فأنكر الباش ، وأنكر القاضيان ، وحلفا أن ذلك لم يحصل ، ثم انفصل المختلفون على صلح . وفى أول شعبان وصل خبر بعزل باش المماليك الترك . وفى ثانيه ــ صوابه ثانى عشره ــ قرئ مرسوم فى اجتماع مع صاحب مكة بالمسجد الحرام فيه عزل الباش أبى يزيد الصغير ، ومسك مباشره وابن شقيرة ووضعهما فى الحديد وإرسالهما (بلوغ القرى لوحة ١٠٣ ، ١٠٤) .

(١) بلوغ القرى لوحة ١٠٥و .

وفى ليلة الأربعاء عاشر رمضان وصل مكة القاضى شمس الدين محمد بن وفا الصيرفى بردَدَار[1] القاضى كاتب السرّ ، على أن يكون نائباً بجُدَّة . وفى صبيحتها وصل السيد بركات وجماعة لأجل العرضة ؛ فحصل اجتماعه بالقاضى كاتب السرِّ البدرى بن مُزْهر ، وسمعنا أنه طلب منه المبلغ الملتزم به للسلطان لأجل ولايته ، فأوعد بالمتحصل من بندر جُدَّة ، وما يفضل يكمله ، فأبى إلا وزنه وصمّم على ذلك ، وتعذرت العرضة ، ثم وقع الاتفاق فى يوم الجمعة ثانى عشر الشهر بلبس الخلعة يوم الأحد[2] .

وفى صبح يوم السب ثالث عشر الشهر خرج إلى الزاهر الصغير [صاحب مكة الزينى][3] بركات ، وأخوه السيد هزَّاع ، والقاضى كاتب السرّ ، وبَرْدَدَاره الذى جعله نائب جُدَّة الشمسى ابن وفا ، والقضاة الثلاثة والأمير شاهين الجمالى ، وصاحب المدينة فارس بن شامان والباش والمحتسب ومشدّ الحوش الشمسى بن الزمن وغيرهم . فلبس الشريفان وكاتب السرّ وبَرْدَداره — وجعله نائب جدة — والقاضى الشافعى والأمير شاهين والمحتسب وصاحب المدينة . وقال كاتب السرّ للباش : ما جاء لك خلعة ؛ فإنك معزول ، ولكن نلبسك خلعة . فرضى ، ثم إنه انغاظ وتكلّم وسلّ

(١) البردار : هو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان متحدثاً على أعوانه والمتصرفين فيه (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٦٢) .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٠٥و .

(٣) إضافة للتوضيح .

النمشة[١] على كاتب السرّ ، ثم فارقهم وعاد إلى مكة قبلهم هو وجميع الترك ، ثم دخل الباقون بعده فى أُبَّهَة عظيمة إلى أن وصلوا مع القاضى كاتب السرّ إلى بيته ، ثم توجهوا مع السيد بركات إلى بيته وانصرفوا[٢] .

وفى يوم الخميس ثالث عشرى الشهر[٣] وصل الخبر إلى مكة أنه وصل بحراً إلى جدة خاصكى من مصر يقال له سنباى ومعه ثلاثون أو أربعون مملوكاً بسبب ما أشيع بمصر عن مكة أن القاضى كاتب السرّ شُوِّشَ بها ، ثم وصل لمكة ، ووصل لها السيد بركات وأخوه السيد هزَّاع لملاقاة هذا الأمير .

وفى يوم الجمعة ثانى ذى القعدة عرضوا له بعد أن خرجوا له إلى الزاهر ، فخلع الأمير سِنْبَاىْ على الشريفين ، والقاضى كاتب السرّ ، والقاضى الشافعى ، وصاحب المدينة فارس بن شامان ، والباش أبى يزيد ، ولبس سِنْبَاى أيضاً خلعة ، ودخلوا مكة جميعاً ، والمنادى ينادى : يا معشر الناس كافة ، مَنْ ظُلِمَ مَنْ قُهِرَ من حُكَّام
البلد مثل سلطنةِ الحجاز أو كاتبِ السرّ ، أو باشٍ / أو محتسبٍ أو ٢٢٦و
غير ذلك فعليه بنائب السلطان . واستمر ينادى إلى أن دخلوا

(١) النمشة ، والنمجاة : خنجر مقوس يوضع فى الحياصة أو المنطقة ، وغالباً ما يكون للزينة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٣٥٢) ويقال لها الجنبية .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٠٥ظ .

(٣) أى فى شهر شوال كما فى بلوغ القرى لوحة ١٠٥ظ .

المسجد ، وبعد ذلك بالأسواق ، ولما سمع الخواجا ابن حاتم بالمناداة صاح وأكثر الكلام هو والعوامّ ، ثم سكتوا . واجتمع المذكورون بالحطيم خلا القاضى كاتب السرّ ففارقهم من المسعى إلى بيته ، ووصَّلَه إليه القاضى الشافعى ، وعاد إليهم إلى الحطيم ، فقرئت المراسيم ، وفيها : أننا سمعنا أنك أنت وأخوك هزّاع بينكما خلاف ، وينبغى أن تكونا على قلب واحد كما كنتما فى حياة والدكما ، ويكون السيد هَزَّاع معك نائباً كما كنت مع والدك . ويقال إنه جُعِلَ لهذا الأمير تسفيرٌ : عشرة آلاف ، وزعت على السيد بركات والقاضى كاتب السرّ والقاضى الشافعى(١) . والله أعلم بحقيقة ذلك .

ثم توجه السيد بركات وجماعته إلى الشرق ، وتوجه الباش أبو يزيد إلى الحجاز لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وبعد الزيارة توجّه إلى السيد بركات بالشرق ، فأعطاه عشر رواحل وعشرة جمال ، ويقال : وفرسين . وجاء شاكراً(٢) .

وفى ليلة الخميس تاسع عشرى القعدة توجه السيد بركات

---

(١) وفى بلوغ القرى لوحة ١٠٦و « وجعل لهذا الأمير تسفيرٌ عشرة آلاف : خمسة على صاحب مكة ، وألفان على القاضى الشافعى ، وألف على أموال الأيتام ، وألفان على القاضى كاتب السر » والتسفير : منحة كالحق أو الأجر على القيام بمهمته يأخذها من المنتفع بسفارته أو سفره .

(٢) المرجع السابق .

والقاضي كاتب السر [البدرى بن مزهر][١] ، والقاضى الشافعى [الجمال أبو السعود بن ظهيرة][١] للسلام على أمير الحاج جَانْبَلَاط [الأشرفى قايتباى][١] الملقب بالموتَّر ، فسلموا عليه وعادوا . ثم خرج السيد بركات للقائه صباحاً فخلع عليه وعلى أخيه السيد هزَّاع ، ودخلوا مكة . ثم فى آخر النهار أو الليلة التى تليه توجَّهُوا أيضاً للسلام على أمير المحمل الأمير تِنِبَك الجمالى ، وسلَّمُوا عليه وعادوا ، ثم خرجوا للقائه صباحاً فخلع على الشريفين ودخلوا مكة جميعاً . ثم اجتمعوا عند أمير الحاج بالمسجد الحرام فى أول ذى الحجة ، وقرئت المراسيم ، وبعدها خلع على السيد بركات ، وعلى أخيه السيد هزّاع .

وفى سادس الشهر خرج للقاء أمير الحاج السيد بركات وأخوه السيد هزَّاع ، والقاضيان كاتبُ السِّرِّ والشافعى ، وتكلّم الأميرُ على السيد هَزَّاع كلاماً كثيراً من جهة أخيه ، وخوّفه من العصيان ، والله الموفق[٢] .

---

(١) الإضافات عن المرجع السابق ١٠٦ظ .

(٢) يبدو أن المؤلف أدمج هنا خبرين فى خبر واحد ؛ فقد جاء فى بلوغ القرى لوحة ١٠٦ظ « وفى صبح يوم الخميس سادس الشهر — أى شهر ذى الحجة — خرج السيد بركات وجماعته للقاء أمير الحاج الشامى ، فخلع على الشريف — ولعل — على أخيه هزاع ، ودخلوا جميعاً إلى الأبطح ، ثم دخل مكة وعسكره ، والحاج الشامى قليل جداً ؛ لخوفهم من الطريق لما حصل لهم من العرب فى عودهم من مكة ، ودخل معهم الخواجا سراج الدين النيربى ليدولب القرب ، فأرسل إلى العرب وأخذ منهم جماعة يحجون =

وسافر القاضى كاتب السرّ لمصر مع الحجاج[١] .

وفى أوائل سنة أربع وتسعمائة توجّه السيد بركات وأخوه السيد هزّاع والعسكر إلى الشرق ، وعاد السيد هزّاع وحده إلى مكة ، بِنِيَّة الزيارة النبوية ، ثم سافر — وأظنه زار — ثم توجّه لينبع واستمر بها وأشيع عصيانُه بمكة ومصر[٢] .

وفى يوم الاثنين عشرى ربيع الأول وصل السيد بركات من الشرق إلى مكة[٣] .

وفى يوم الاثنين رابع عشرى جمادى الأولى أمر السيد بركات منادياً ينادى لجميع العسكر من ذوى حسن ، وذوى عجلان والعبيد والموالين والمحالفين بالمسير لحَلْى ، وأصرف عليهم ، وفى ثانى يوم خرجوا ؛ والسبب فى ذلك أن القِرب عسكر بلاد حلى خامروا على

= معه ، وجعل لهم على ذلك مبلغاً ، فوصلوا مكة سالمين ، ويعودون كذلك إن شاء الله تعالى .

وفى يوم الجمعة سابع الشهر اجتمع السيد الشريف بركات وأخوه هزاع والقاضيان كاتب السر والشافعى ، والحنفى ، وابن ضغيم عند أمير الحاج والمحمل تنبك الجمالى ، وولى ابن ضغيم المدينة وخلع عليه ، وحلف على الطاعة وعدم الخيانة » .

(١) وكان ذلك فى ثانى عشرى ذى الحجة ، وأضاف بلوغ القرى لوحة ١٠٧و « وأخذ معه الشريف عنقاء بن وبير ، ومالك بن رومى ، وقاصد صاحب مكة أحمد بن نصر الحسنى » .

(٢) وقد جاء هذا الخبر فى بلوغ القرى لوحة ١٠٧و ، فى أخبار سنة ٩٠٣هـ .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١٠٨و .

من بها من جماعة الشريف ـــ بل وأظن أنهم قتلوا بعض مَنْ هو عندهم ـــ ثم جاء ابن الشيخ ـــ بحلى ـــ عمر العمارى داخلاً على ٢٢٦ظ الشريف فى هذا الذنب ، فعفا عنهم / . ثم فى غيبة ابن الشيخ عند الشريف أخرجوا جماعة الشريف من البِلاد ، وولوا قَيْسَ بن محمد [بن][1] دُرَيْب ، المحبوس والده بمكة ، وكان ولده معه أيضاً ، فأرسلوا له خفية ؛ فذهب إليهم ، ولم يعرف أحد بتوجّهه ، وذُكِرَ لنا : أنهم تعدّوا على الجِلَاب أيضاً ، وأخذوا منهم مالاً ، فالله يكفى شر المفسدين ، ويجعل العاقبة إلى خير .

وفى يوم الجمعة ثامن عشر رجب أشيع وصول القاضى كاتب السرّ لمكة ، ثم تحقق يوم السبت وصول كتاب عن نائبه بجُدَّة ؛ الكريمى عبد الكريم بأنه وصل إليه كتاب منه من الأزلم . ثم وصل منه كتاب من الينبوع للسيد بركات ، وفيه تطييب خاطره . وقالوا : إنه جاء للصلح بينه وبين أخيه السيد هَزَّاع ، وذلك بإشارة الأمير الكبير أُزْبَك[2] ، وبعد أن جُعِلَ على السيد بركات مال كثير ـــ فيما يقال ـــ فإن أخاه السيد هزَّاع سعى فى البلاد بهذا المال ، وتقرَّر الحال على ذلك ، ووصل مع القاضى كاتب السرّ جماعة كثيرون ؛ منهم محتسب مكة جَنْدَر ، ومملوك لنائب جُدّة قايتْبَاى يقال إنه دَوَادَارُه ، وفارقه الأمير من ينبع ليأتى بحراً . وتوجه القاضى

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٠٩و .

(٢) فى الأصل وبلوغ القرى لوحة ١٠٩و « يزبك » .

كاتب السرّ ومن معه إلى المدينة .

ثم فى يوم الاثنين خامس شعبان دخل القاضى كاتب السرّ ومن معه الوادى . وكان قد توجّه له فى اليوم الذى قبله القضاة والخطيب وابن الطاهر ، وبعض تجار ، وسلموا عليه ، وكذا السيد بركات والقاضيان الشافعى والحنفى والباش ، وقرئ مرسوم السيد بركات[1] .

وجاء الخبر لمكة أن السيد هزّاعاً وصاحب يَنْبُع وعسكره وبنى إبراهيم وزُبَيْداً وصلوا عُسْفَان .

وفى صبح الخميس منتصف الشهر تَوَّجه القاضى كاتب السرّ إلى وادى مرّ للاجتماع بالسيد هزَّاع بوادى مَرّ ، وللتكلم فى الإصلاح بينه وبين أخيه صاحب مكة السيد بركات ، فى يوم الجمعة سادس عشر الشهر ، وكذا [أخبر][2] القاضى الشافعى أنه جاءه كتاب من القاضى كاتب السرّ يأمره والقضاة بالتوجه إليه . فتوجّه هو وغالب جماعته والقاضيان الحنفى والمالكى . وتوجه عسكر كثير من مكة والأعراب إلى الوادى ؛ فإنه نودى لهم بالخروج يوم الخميس قبله ، ويقال إنه أرسل لأهل الحجاز وأهل الشرق بالحضور ــ والله يقدر ما فيه الخير ــ وتوجه أيضاً شاهين الجمالى شيخ الخدام بالحرم

(١) بلوغ القرى لوحة ١٠٩ظ .

(٢) إضافة عن المرجع السابق .

النبوى ، والمحتسب جَنْدَر[١] ، ووافوا بالوادى السيد بركات ـــ وكان وصل إليه وحده ، ثم حضر إليه عياله ـــ يوم السبت واجتمع شورهم بإرسال كتاب من القاضى كاتب السرِّ إلى السيِّد هزَّاع يذكر له : أن الأمر الذى كان بينى وبينك يُفْعَل ، وتعَالَ وَحْدَك ومَنْ معك من أهل مكة ، ومن كان من غيرهم يتوجّه ؛ لا يحيى بن سبع ولا بنو إبراهيم . وإن لم ترضوا بهذا ما يحصل خير . فردّ السيد هزَّاع الجواب : بأنه سامع ومطيع ، وأنه ما يجىء إلا بمن معه . فكتب القاضى كاتب السرِّ ليحيى بن سبع بأنه يروح [إلى][٢] بلاده ، ولا يدخل بلاد السلطان / إلا بإذن . ثم توجَّه القاضى كاتب السرِّ ٢٢و لمواجهة السيد هزَّاع ومعه أحمد بن نصر ليلة الأحد ثامن عشر الشهر ، فلاقاه السيد هزَّاع فى أثناء الطريق ، وهم نازلون على بئر عُسْفَان ؛ فكلَّمه القاضى كاتب السرِّ أن يفعل له ما كان بينه وبينه . فقال : ما يفعل ([٣]هذا ويرد من معه[٣]) . وذكر أن الجوع يضطره على هذا وغيره .

ثم وافقه على العود إلى ينبع هو ومن معه ، وحَلَّفه القاضى كاتب[٤] السرِّ : أنه لا يخون ولا يُشَوّش ، وطلب منه شيئاً فاعتذر . وأنه يأخذ له من السيد بركات شيئاً . ثم عاد فى يومه ، وحلَّف

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٠٩ظ « حيدر » .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) عبارة بلوغ القرى لوحة ١٠٩ « ما يفعل هذا لأجل رد من معه » .

(٤) فى الأصل « صاحب » والمثبت عن المرجع السابق .

السيد بركات وإخوانه أنهم لا يشوشون عليه . وكلَّمه له فى شىء ، فوقع الاتفاق على قدرٍ ، فأحاله به القاضى كاتب السرِّ على نائبه بجُدَّة كريم الدين ، وكان مالك بن رومى عند السيد بركات فتوجّه إلى السيد هزَّاع ؛ فصار زُبَيْد كلهم معه . وتوجّه له أيضاً السيد إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان ، ثم عاد فى وجه كاتب السرِّ ، فأراد بعض الشرفاء(١) التشويش عليه ــ ومنهم(٢) السيد أبو القاسم بن السيد بركات ــ فَرَدَّه(٣) والده وتهدَّد الآخرين ؛ لأصل أنه فى وجه كاتب السرِّ .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء عشرى الشهر وصل لمكة القاضى كاتب السرِّ ، ومعه الأمير شاهين والمحتسب ، وبعدهم القضاة الثلاثة(٤) .

وفى ثانى تاريخه أرسل السيد هزَّاع ورقةً للقاضى كاتب السرِّ ، ويقال إنه كتب فيها : إن بنى إبراهيم قالوا : لا بدّ لهم من مواجهة السيد بركات بالقتال ــ قاتلهم الله ــ وأنهم ما رضوا إلا بهذا . فتوجّه القاضى كاتب السرِّ له فى يومه ، وواجه الشريفين كلَّ واحد على انفراده ، وأصلح بينهما إلى أن يرجع الحاج ، وأمَّنَ كلَّ

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١١٠و « بعض العسكر » .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « ومعهم » .
(٣) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « فضربه » .
(٤) أضاف بلوغ القرى لوحة ١١٠ و « وجماعة القاضى الشافعى » .

واحد منهما صاحِبَه وجماعَتَه ، وحَلَفَا على ذلك ، وكتب كلُّ واحد منهما خَطَّه بذلك ، أو بالتأمين وحده ، ونزل السيد هزَّاع بخُلَيْص عند زُبَيْد مع تأمينهم أيضاً ، ويتقاضى هو وهم حوائجهم من البلدين مكة وجُدَّة ، بل والحجاز وبَجِيلَة — والأمر لله ما شاء فعل[1] — .

وتوجه السيد الجازانى لأخيه السيد هزَّاع ، ثم أمّه زينة بنت رُومى ، وأخته دلال[2] .

وفى يوم الأحد مستهل شوال وصل الخبر لمكة أن نائب جدة الأمير قايِتْبَاىْ وصل لجدة بحراً فى يوم السبت الذى قبله[3] .

وفى ليلة الخميس خامس الشهر وصل مكة السيد بركات لأجل ملاقاة النائب .

وفى آخر يومها وصل ناظر جُدَّة ابن السُكَّر واللَّيْمون . وفى عشاء ليلة الجمعة سادس الشهر وصل مكة نائب جُدَّة قايتباى ، وطاف وسعى ، وسكن ببيت نائب جُدَّة[4] .

وفى صبيحتها خرج إلى الزاهر للعرضة ، وتوجّه إليه صاحب مكة السيد بركات وعسكره ، والقاضى كاتب السرّ ، والقاضى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١١٠ظ .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « وسكن بيت شميلة » .

الشافعى ، والأمير شاهين الجمالى ، والباش ، والمحتسب جَنْدَر ، وابن الطاهر ، وابن المحتسب . فخلع على الثمانية خِلَعاً ، ودخلوا جميعاً ، ولم تُقْرَأ المراسيم ، ثم بعد صلاة الجمعة اجتمع السيد بركات والقاضى كاتب السرّ ، وقضاة مكة ، والأمراء : نائب جدة وناظرها ، وشاهين ، والباش ، والمحتسب ، وقرئ مراسيمُ أربعة : للشريف ، ولكاتب السرّ ، وللشافعى ، وشاهين . وأحضر / ابن ٢٢٧ظ السّكّر واللّيْمُون مرسوماً امتنع نائب جُدَّة وبعض أخصائه من قراءته . وفى المراسيم : التوصية على النائب — وعلى المتحصل — وأنه الأمير ، وابن السُّكَّر واللَّيْمُون الناظر والصيرفى(١) .

وفى ثانى يوم أصلح القاضى كاتب السرّ بين نائب جُدَّة وناظرها ، وسافروا فيه إو فى ثانيه ، ثم سافر السيد بركات إلى جُدَّة ، بعد أن جاءت ورقةٌ من ينبع أن السيد هزّاعاً وبنى إبراهيم وصاحبَ يَنْبُع يحيى بن سبع حاصروا القوادَ الذين ببلدهم الجديدة عند ينبع ، وهم من جهة السيد بركات ، وانتصف منهم القوّاد إلا أنهم فى ثانى يوم منعوهم الماء لكثرتهم ، وجلسوا عليه ، فرأوا الغلب [ففروا](٢) ، وكان القتل فى أعدائهم أكثر ، فدخل بعض جماعة منهم على الصيادلة(٣) فأمَّنُوهم ، وكانوا حملوا معهم من مالهم وأثاثهم

(١) المرجع السابق .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١١٠ظ .

(٣) الصيادلة : بطن من بنى إبراهيم بن مالك بن جهينة ، منازلهم حول أم لج (معجم قبائل الحجاز) .

ما قدروا عليه ، وهذه عادة بينهم . ثم إن الباقين ــ بعد ثلاثة أيام ــ تعبوا من العطش ؛ فنزلوا إليهم واستسلموا لهم ؛ فمنُّوا عليهم ، وأخذوا جميع أموالهم ، فبيعت بأرخص الأثمان ، وهُدَّ جميعُ حِصْنِهم ــ ولا قوة إلا بالله ، والله يصلح بين المسلمين ، ويقمع المفسدين ، ويقدر ما فيه الخير ــ .

وفى الموسم لاقى السيدُ بركات أميرَ الأوَّل الناصرى [محمد][(1)] بن العلائى على بن خَصْبَك ، وخلع عليه ، ثم أميرَ الحاج قَرْقَمَاس [من ولى الدين][(1)] رأس نوبة النُّوَب ، وأميرَ الشامى تَمُرْبَاى[(2)] أبا قورة وخلعا عليه . واجتمع السيد بركات بأمير حاج المحمل فى آخر اليوم ، وفى ثانى يوم ، وتكلموا فى وصول السيد هزَّاع لمكة ــ وهو بِخُلَيْص ــ فأُرْسِلَ أخو الأمير ألماس والسيد أبو القاسم ابن السيد بركات ، فلما وصلا إليه حضر مع أخي الأمير وتخلَّف بخُلَيْص السيد أبو القاسم ، واجتمع الشريفان عند أمير الحاج ، ووقع الوفاق بعد مجلس طويل ، على أن الشريف هزَّاعاً يكون له رسمُه دون من فى خدمته ، وينزل مع أخيه السيد بركات حيث نزل ، ويكون فى طوافه ومعه فى كل شيء إلا فى المسير إلى أهل حَلْى .

وألبسهما أمير الحاج خلعتين ــ والله يديم الوفاق ، ويكفى

(١) إضافة عن درر الفرائد المنظمة ٣٤٨ .

(٢) فى الأصل « طرباى » والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١١١ظ ، ومفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ٢١٨ ، وهو تمر باى القجماسى الشهير بأبى قورة .

المسلمين شر ما هم عنه غافلون ــ . وسافر مع الحاج القاضى كاتبُ السرِّ .

وفى أوائل المحرم سنة خمس وتسعمائة أرسل السيد بركات تجريدة لحَلْى للقِرَب مولدى [صاحب][1]حَلْى ابن يعقوب . فبلغنا فى يوم الخميس ثامن عشر الشهر أنهم تلاقوا مع القِرب عسكر حلى على غرة قبل أن يتكامل جيش السيد بركات ــ إنما سبق الخيالة قبل رجالتهم ورجالة أولئك أكثر بكثير ، فقُتِلَ جماعة من الخيالة وهم : الشريفان واضح بن زاهر بن أبى القاسم بن حسن بن عجلان ، ومحمد بن على البونى النموى ، وعبد الكريم القاضى ، ومنصور وبشير عَبْدَا السيد بركات ، وعبد الله شيخ النوبة ، وراجح بن فلاح ، وجُرح الشريف عَنْقَاء وولده بساط ولَحَّاق الشريف ، ومبارك بن سباط ، ومسعود عبد شامان ، وقتل جماعة من الرجل . وتحاجز الفريقان . ويقال إن هؤلاء طُرِدُوا عن مخيمهم فنُهِبَ بعضه ، وتأخروا عنه محلهم كثيراً ، وأرسلوا للسيد بركات يطلبون نجدة ويكون الرجل أكثر ، ولم يتحقق إلا ما / جزمنا به . ويقال إنه كان فى نية السيد ٢٢٨و
بركات التوجّه إليهم بنفسه[2] ــ فالله ينصره ويقدر له الخير ــ .

---

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١١١ظ ، وهم من قبائل الشقيق ، وفيهم مشيخة القبائل (بين مكة واليمن ٢٣٦) .

(٢) فى الأصل بعد هذا اللفظ كلمة « فلم » ولعلها « فلم يفعل » والمثبت عبارة بلوغ القرى لوحة ١١٢و .

وفى جمادى الثانية وصل السيد بركات قاصد من مصر ، ثم وصل هو لمكة فى ظهر يوم الخميس حادى عشرى الشهر ، وقرئ مرسومه فى يوم السبت ثالث عشرى الشهر بالحطيم ، بحضور بعض القضاة والباش والمحتسب . وفيه : وصول قاصدكم ومكاتباتكم ، وأحطنا بذلك علماً ، ووصل الحاج وهم شاكرون . ولبس خلعته وسافر فى ذلك اليوم(١) .

وبعد ذلك تجهَّز السيد بركات ، وسافر بعساكره لحَلْى ؛ فالتقى معهم وكسرهم .

وفى يوم الخميس ثامن شوال وصل قاصد من السيد بركات من حلى ، وأخبر بنصره عليهم ، وقتل بعضهم ، ومسك بعضهم ، ومنهم : قيس بن محمد بن دُرَيْب الذى وَلَّوْهُ عليهم ، وأمر بنفى الجميع فى الجلاب إلى اليمن ، وأخذ الفرس والدرع والسيف ؛ وذلك بدَخَالَةِ المشايخ ، ونودى بزينة مكة سبعة أيام(٢) .

وقال فى ذلك الأديب الجليل الشريف جرّاح بن شاجر بن حسن بن أحمد بن أبى القاسم الحسنى الغسانى الجازانى مهنئاً للشريف بركات بقصيدة مطلعها :

قَلْبِى عَلَى جَمْرِ الغَضَى يُقَلَّبُ
مُذْ هَجَرَتْنِى وَجَفَتْنِى زَيْنَبُ

---

(١) بلوغ القرى لوحة ١١٣و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١١٤ظ .

ومنها :

أبـا زُهَيْــرِ النَّـــدب مَنْ دَانَتْ لَهُ
وسوَّدَتْـــــهُ مُضَرٌ ويَعْــــــرُبُ
مناهـــج الحقِّ به واضحـــةٌ
والعجـــمُ تَحْتَ أمْـــرِهِ والعَـــرَبُ
الـوَاهِبُ الخَيْـلَ المَذَاكـى شُزَّبـاً
تُنْـجِبُ مِنْ عَطَائِـهِ وتُــرْكَبُ
والنَاجِـر الكُـومَ المَتَالِـى لِلقِـرَى
كأنَّمـــا فوقَ ذُرَاهَـــا قَتَبُ
لا عَيْبَ فيـــه غير أنَّ وَفْـــدَهُ
يَسْلُـو عن الأهـــل فلا يَغْتَـــرِبُ
كلّ غداةٍ يُحَكَّمُـــونَ فى القِـــرَى
وفى العَطَـا لَوْ طَلَبُـــوا مَا طَلَبُـــوا
مَكَّنَهُـــم مِنْ مِلْكِـــهِ لا مُلْكِـــهِ
وقـال مهمـــا شئتُـــمُ فاكْتَسِبُـــوا

ومنها :

مُجَاهِـــد لولا ظُبَـــا سُيُوفِـــهِ
وخيلُـــه وسُمْـــرُه واليَـــــلَبُ[١]

(١) اليلب : الفولاذ من الحديد ، جلود تخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة ، وجفن من لبود حشوها عسل ورمل (المعجم الوسيط) .

وَذَبُّـــــــه عن بيضَةِ الإسلام لَمْ
يَهُـنَ الضعيـفَ مأكَـــلٌ ومَشْرَبُ
روّاح بَيْـــــنَ المَرْكَبَيْـــــنِ تَارَةً
مَفْـــرَشُهُ سَرْجٌ وطَـــــوْراً قَتَبُ
ولم يَزل يَغْـــدُو ويَسْرِى قائـــــلاً
لا ينتـــجُ الراحـــةَ إلا التَّـــعَبُ
إذا آمْتَطَـــــى جوادَه لِرَاحـــــةٍ
تَحْسُدُهـــا(١) ناقتُـــهُ وتَـــغْضَبُ
حتى استقَادَ(٢) اليمَـن الأقصَى لَهُ
والشامُ والشرقُ مَعـــاً والمغـــــرِبُ

ومنها :

لَقَـــدْ غزَا حَلْيـــــاً مُجَـــرِّداً
عَزَائِمـاً تَمْضِى وتَنْبُوا الـقُضُبُ / ٢٢٨ظ
رَايَاتُـــــه خافقـــــة يَحُفُّهـــــا
مِن خُشُنِ الغُـــــلْبِ كِرامٌ نُجُبُ
قَد آنْتَضَاهُـــمْ فَهُـــم سُيُوفُـــــهُ
وَهَـــل سُيُـــوفٌ غَالَبَتْهـــا قِرَبُ

---

(١) أعاد الضمير مؤنثاً على جواد ، لأنـه يقـال للفـرس ذكـراً كان أو أنثـى جواد (المعجم الوسيط) .

(٢) استقاد : ذَلّ وخضع (المعجم الوسيط) .

دَوَّخَهُــم إذْ جَهِلُــوا مِقْدَارَهُــمْ
وَٱرْتَكَبُـوا مِنْ جُرْمِهِـمْ ما ٱرْتَكَبُـوا
نَاهِــيكَ أنَّ سَعْــدَهُ خَيَّرَهُــمْ
لَا هُمْ لَقُوا الحَـرْبَ وَلَا هُمْ هَرَبُـوا
لكنَّهُــمْ لَوْ قَاتَلُــوهُ قُتِلُــوا
جَمِيعُهُــم أو غالَبُــوه غُلِبُــوا
ولــو أرادُوا هربــاً مِنْــهُ لَمَــا
نَجَـوْا وهَـلْ يَنْفَـعُ مِنْـهُ الهَـرَبُ
لَمَّــا تَرَاءَتْ لهم جُنُــودُهُ
وَحَصْحَصَ الحَقُّ وحـقّ الطَــلَبُ
طارُوا قُلُوبــاً فالكــبير ذَاهِــلٌ
مِمَّـا دَهَاهُــمْ والصَّغِيــرُ أشْيَبُ
وأقبلــوا والرَّجَــا يَقُودُهُــم
وخَوْفُــه يَسُوقُهُــمْ ويَضْرِبُ
واعتصمــوا حينئــذٍ بِحِلْمِــهِ
وعَفْــوِهِ فَأُعْتِقُــوا وَٱنْقَلَبُــوا
لَكِنَّــه طَهَّــرَ مِنْهُــمْ أرْضَهُ
فَٱمْتَـلَأَ البحـرُ بِهِـم والــخُشُبُ

ومنها :

خليفـــةَ اللهِ جَزَاكَ اللهُ عَنْ
نَصْرِكَ للإِسلام مَا تَسْتَــوْجِبُ

ويابْـنَ بِنت المُصْطَفَـى فَلَـــمْ تَزَلْ
في اللهِ تَرْضَى أبــداً وتَــغْضَـــبُ
لَوْ كَانَ ذو القَرْنَيْـنِ حيًّـا باقِيــاً
أَلْقَى إليكَ المُـلْكَ وَهْـوَ مُعْـجَبُ
وقـــالَ هذا الفَاطِمِـــيُّ والـــذى
طاعَتُـــه فرضٌ علينـــا تَجِبُ
يَا مَلِكَ الدُّنْيَـا وأَهْلِيهَـا مَعـــاً
ومَـنْ هوَ الصَّقْـرُ وكُــلٌّ خَرَبُ(١)
يا مَاجـــداً إذا أَرَدْتُ مَدْحَـــه
يُمْلِي عَلــيَّ مَجْـدُهُ فأَكْــتُبُ
ويَطْـرَبُ الطِّـرْسُ لِرَقْمِـيَ اسْمَـــه
وهـــو جمادٌ فيكـــادُ يَلْـــعَبُ
أَنْتَ جوادٌ وأَنـــا أديبُــــــهُ
ومِـنْكَ لِي الجُـودُ ومِنِّـي الأَدَبُ
وأنشد فِيكَ غِائبــاً وحَـــاضِراً
قَصائِـداً تَبْقَـى وتَفْنَـى الحِـــقَبُ

---

(١) الخرب : هو ذكر الحبارى (المعجم الوسيط) وهو طائر لا يصيد .
وجاء فى شعر المتنبى يمدح سيف الدولة :

فلا تَنَلْكَ الليـــالى إن أيـــديها إذا ضربت كسرن النبع بالغـرب
ولا يُعِـــنَّ عدواً أنت قاهـــره فإنهن يصدن الصقر بالخَرَب

ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ١:٩٤ ، ٩٥ .

ولست أحصى عُشْرَ عُشْرِ العُشْرِ مِـ
ـن وَصْفِكَ والشِّعْرُ مَعاً(١) والخُطَبُ

وفى ليلة الأحد سادس عشرى ذى القعدة وصل السيد بركات إلى جُدَّة من حلى بعد أن كان عرَّج من أثناء الطريق ، وتوجّه لزُبَيْد وأراد أخذهم غرة لئلا يهربوا ، فسمع بهربهم بعد أن وصل إلى قرب خُلَيْص . فعاد إلى جُدَّة ولبس خلعته من نائب جدة فى يوم الأحد المذكور . ثم جاء إلى الوادى .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرى ذى القعدة أرسل أمير الحاج ورقةً مع قاصد له إلى السيد بركات / وفيها : أن زُبَيْد نَهَبُوا بعض ٢٢٩و
الأوَّل(٢) فى خَبْتِ البَزْوَاء ، وأن أخاه الشريف الجازانى وخاله مالك ابن رومى دخلا عليه فى الصُّلْح مع الشريف . فكتب له الجواب وعاد إليه فى الحال(٣) .

وفى ثانى يوم خرج لملاقاة الأمير الأول جَانْ بَلَاط الموتَّر ــ وهو أمير أربعين ــ إلى الزاهر ، فلما تلاقيا وقع بينهما كلام ، وأراد الشريف العود بلا لبس ، ثم خلع عليه وعلى أخيه السيد هَزَّاع ، ودخلوا جميعاً مكة ومعهم الباش قَانْصُوَه الجَوْشَن ــ أمير

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها « معى » بمعنى عندى .

(٢) الأول : أى الركب الأول من حاج مصر .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١١٥و .

عشرة ــ ومعه الحسبة ، ولاقى أمير حاج المحمل ــ أمير مجلس ــ قَانْصُوَه البُرْج ، وخلع عليه وعلى أخيه السيد هَزَّاع[(١)] ، وخلع على السيد بركات أول شهر ذى الحجة أيضاً ، ولاقى أمير الشامى السراجى عمر بن النَيْرَبِىّ وخلع عليه .

وفى سادس عشر الشهر[(٢)] اجتمع السيد بركات والباش قانصوه الجَوْشَنْ بدكة الشرابية عند باب السلام ، وقرئ مرسومه بالباشية والحسبة ، وألبس الشريف خلعة .

وفى سادس عشرى الشهر وَلَّى السيد بركات الحسبة طُوغَان ــ ويقال دوغان ــ التركى أحد مماليك أبيه ، وخلع [عليه خلعة][(٣)] وزف بها . ثم استناب مرشداً وخلع عليه خلعته وزَفَّه[(٤)] ، ولعل ذلك بإرضاء الباش ، أو برضاه إخراج الحسبة عنه .

وفى هذا اليوم سافر السيد بركات بأهله إلى الوادى ثم عاد لمكة مجرداً بِنِيَّة السفر لليمن فى خامس عشر صفر من سنة ست وتسعمائة[(٥)] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) أى شهر ذى الحجة كما فى بلوغ القرى لوحة ١١٥و .
(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت يستقيم به السياق .
(٤) بلوغ القرى لوحة ١١٥ظ .
(٥) المرجع السابق .

وفى يوم الثلاثاء ثالث ربيع الثانى سنة ست وتسعمائة جاء قاصدٌ من السيد الشريف الزينى بركات ، وأخبر بانتصار ولده السيد إبراهيم على القِرَب ، وأنه قتل منهم جماعة ـــ نصره الله وزاد فى خذلان المفسدين[١] ـــ .

وفى أواخر الشهر أيضاً جاء الخبر أيضاً بانتصار السيد بركات على بعض القِرَب وغيرهم ؛ فإنهم التجئوا إلى أهل حِصْن الرِّيش[٢] ونزلوا عندهم ، فحاصرهم الشريف وقتل منهم جماعة ، وهربوا ، ونهب شيئاً كثيراً بحيث إن الحَبّ بيعت الغرارة منه ـــ فيما يقال ـــ بربع دينار . ولما هربوا تبعهم بعضُ عسكر الشريف فرجعوا عليهم واقتتلوا ، ثم إنهم سألوا فى الصلح ، فأنعم لهم الشريف بأن يُسَلِّمُوا الخيلَ والدروعَ ، ومَنْ عندهم من القِرَب ، فأجابوا ، وخرج المخبر قبل تمام ذلك[٣] .

وفى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الثانية وصل قاصدُ

---

(١) بلوغ القرى لوحة ١١٦ظ .

(٢) الريش : واد يصب فى وادى حلى (بين مكة واليمن ١٩٠) والريش تقع ديارها إلى الشمال الشرقى من مدينة محايل ، ويشرف عليهم من الشرق جَبَل هَادَا ، وهو جبل أبيض منيف ، تراه من على الطريق ، وهو لقبائل بللّسمر ، ويحدهم غرباً آل دريب ، وجنوباً آل موسى ، وجنوباً شرقياً آل مشول . ومن قراهم : قرن الماء ، والحضن ، والكدس ، وحقو شعبين ، وكلها أودية تصب فى حلى ، ومنهم فروع كثيرة ، وقبائل الريش تتبع داعية عسير ، وتتبع محايل إدارياً (بين مكة واليمن ٣١٤ ، ٣١٥) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١١٦ظ .

الشريف القائد أحمد بن نصر إلى مكة ، وسمعنا أن السلطان ــ نصره الله ــ جَعَلَ للسيد الجازانى نَفَقَةً على أخيه السيد بركات ثلاثمائة دينار ، بسعاية أمير حاج المحمل ، وجاء مع القاصد بعض فِتْيَان الجازانى[١] .

وفى يوم الخميس ثامن عشرى شعبان وصل السيد بركات إلى مكة ، ومعه أولاده وإخوانه بِنِيَّة العَوْدِ إلى اليمن أيضاً[٢] .

وفى ليلة تاسع رمضان وصل مكة ــ بحراً ــ الأمير قَانْصُوَه البُرْج مَنْفِيًّا ، ومعه طَرَبَاى أمير آخور ثانى ، أخو نائب جدة تَنَم مرسَّماً عليه ، ومحتسب لمكة يقال له : آصْبَاى[٣] .

وفى صباحيتها خَرَجَ السيدُ بركات للقاء طَرَبَاى والمحتسبِ إلى الزاهر ، فَخُلِعَ عَليه ، ودخلوا مكة جميعاً ، وتوجّه كُلُّ واحد لبيته .

٢٢٩ظ ثم توجّه السيد بركات والقاضى / الشافعى للأمير طَرَبَاى ، فَقَرَءُوا مرسوماً للشريف ، وذكروا [أن به][٤] أنه على حاله ، وأن يكون نَظَرُهُ على طَرَبَاى وعلى قَانْصُوَه ، وأنه لا يَخْرُج من مكة إلا بمرسوم ، ويقال إن به أيضاً : أن الحجاز كُلَّه له : المدينة ومكة والينبع ، وأنه يفعل فى أخيه السيد هزَّاع ما أراد .

وفى ثامن عشرى الشهر توجّه السيد بركات إلى أهله باليمن ،

(١) بلوغ القرى لوحة ١١٧و .

(٢) المرجع السابق ١١٨و .

(٣) المرجع السابق ١١٨ظ .

(٤) إضافة عن المرجع السابق .

وتخلّف عنه أخواه السيد هزَّاع وحُمَيْضة إلى رابع شوال ، وأظهرا أنهما يريدان التوجّه لأهلهما باليمن ، ثم من أثناء الطريق عَرَّجُوا إلى جهة الوادى ، وجاءوا الحُمَيْمَة[1] بعد المغرب ، ونزلوا وصَلُّوا وتعشّوا ، وعلّقوا على خيلهم ، ([2] وهى سبعة عشر فرساً ، ورواحلهم ثنتان وأربعون[2]) ، غالبها مُرْدَفَة . وبلَغَ جماعةَ السيد بركات بمكة ذلك من قاصد أُرسِلَ خلفهم ؛ فاستفزعوا من بمكة ، وخرجوا فى طلبهم ، ومنهم الشريف عَجْلَان بن السيد بركات ، والشريف فارس بن شَامَان ، ثم رجع هذا لما لم يدركوهم . وتوجّه السيد عَجْلَان فى العسكر إلى جُدَّة خوفاً عليها وحِفْظاً لها .

واستمر السيد هزّاع ومن معه حتى وصلوا إلى زُبَيْد ، ثم إلى ينبع[3] .

وفى سادس عشر شوال ، وصل مكة السيد بركات وإخوته وعسكره[4] .

وفى ثانى يوم توجّه للشرق لغَزْو مُطَيْر [ومعه إخوته وعسكره][5] ـــ نصره الله تعالى ـــ فظفر بهم ، وكسب منهم جملةً

(١) الحميمة : قرية بوادى مر ، بين البرابر وسروعة ، وبها عين ماء عذبة ، وجميعها مزارع حب وأشجار فاغية (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١١٨ظ « ويقال إنها قريب العشرين ، ورواحلهم قريب الثلاثين) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١١٨ظ .

(٤) بلوغ القرى لوحة ١١٩و ، وفيه « وفى يوم الجمعة سادس عشرى » .

(٥) إضافة عن المرجع السابق ١١٩ظ .

من المال ، ووجـدَ بعضَهـم مُصَالَحاً فردَّ عليهم مالهم . وعـاد لمكـة [فى صبح يوم الأربعاء ثا][1] من ذى القعدة .

وفى ليلـة ثانيـه وصل إلى مكـة نائب جُدَّة قَايِتْبَـاى وناظرهـا وصَيْرَفِيُّهـا زيــن الديــن المحتسب[2] ، ففــى صباحــيتها خرج [المذكورون و][3] السيـد بركات لملاقاتـه إلى الزاهـر ، فخلـع عليـه ودخلوا مكة جميعاً .

وفى يوم الاثنين سابع عشرى ذى القعدة وصل أحـدُ قاصِدَى الأمير قَانْصُوَه البُـرْج اللذيـن كان أرسلهمـا إلى ينبـع لأمِيـرَى الحاجّ يسألهمـا مساعـدةَ الشريـف هزَّاع على أخيـه السيـد بركات ، وجـاءَا بأوراقٍ للأمير قَانْصُوَه ، ولـلأمير خَيـرْبَك ، ولنـائب جُدَّة قَايِتْبَـاى ؛ لكـل واحــدٍ بورقة من أمير حاج المحمـل سُودُون العجمــى أحــد المقَـدَّمين ، وكـذا من أمير حاج الأوَّل دُولَاتْ بَاى قَرْمُــوط الــوالى

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١١٩ظ .

(٢) أضاف المرجع السابق « وخرج للقائه قاضى القضاة الشافعى الجمـالى أبـو السعـود بن ظهيرة ، والبـاش قانصوه الجوشن ، والمحتسب أصبـاى ، وطربــاى ، وابــن الطاهـر ، ودخلـوا معـه إلى المسجـد ، ولما فرغ من الطـواف والسعى طلـع هو والأمـراء المذكـورون إلى الأمير قانصوه البرج ببيتـه بالصفـا . ويقــال إن نائب جدة سأل قانصوه البرج : هل يُلْبِسُ الخلـعَ التـى معـه لأربـابها ؟ فقـال له : إفعـل وعَـلِّ الجواب . ففــى صباحيتها خرج المذكورون والسيد الشريف للقائه إلى الزاهر ، فخلع على المذكورين ست خلع ، ودخلوا مكة جميعاً ، واستمروا إلى بيته خـلا السـيد الشـريف » .

(٣) إضافة عن المرجع السابق .

ـــ كان ـــ وورقة من السيد هزّاع . وفى كل ورقة الإخبار بان السلطان الملك الأشرف قَانْصُوَه الغُورِىّ أنعم على السيد هَزَّاع بولاية مكة المشرفة ، عوضاً عن أخيه السيد بركات ، وأنه لبس الخلعة باليَنْبُوع ، وأن السيد بركات على عادة أخيه من الرسوم ؛ فخاض الناس وفاضوا ، وزادوا ونقصوا : هل ذلك مُفْتَعَلٌ أو حقيقةٌ ؟ ولا يُشَكُّ أنه مُفْتَعَل . ولما سمع السيد بركات بذلك استعدَّ وجمع الجموعَ ، ونزل بأرض حَسَّان ، وجاءه خيل كثير من الشرق : بنى حُسَين[1] وعُدْوَان[2] وبَنِى سَعْد[3] .

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشرى الشهر نزل السيد بركات هو وجميع عسكره عند رأس الجَمُوم[4] ، وهم مستعدّون باللبس الكامل . فلما كان وقت الغداء الأكبر[5] أقبلَ الحاجُّ الأوَّل والمحملُ من جهة الطريق التى تلى أَبِى عُرْوَة ، ومعهم السيد هَزَّاع ، وجماعتُه : يَحْيَى بن سَبْع وجماعته بنو إبراهيم أهل السويق بينبع ، / وأخواه الجازانى وحُمَيْضَة ، ومالك بن رُومِى وجماعة زُبَيْد ، وهم ٢٣٠و

(١) بنو حسين : بطن من رحمان من وازع من البقوم (معجم قبائل الحجاز) .

(٢) عدوان : بطن من قيس عيلان بن مضر ، بلادهم أسفل وادى لية والعرج (معجم قبائل الحجاز) .

(٣) بنو سعد : بن بكر ، بطن من هوازن من قيس عيلان ، حضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزلون قرن المنازل ، وجنوب الطائف (معجم قبائل الحجاز) .

(٤) فى بلوغ القرى لوحة ١٢٠و « عند رأس عين الجموم » .

(٥) كذا فى الأصل وبلوغ القرى .

باللبس الكامل ، وكذا الأميران وأتْرَاكُهما والقَوَّاسَة ، والعبيد الذين مع الأميرين بالبُنْدُق وغيره .

ويقال إن السيد بركات سئل حينئذٍ فى ترك الحُجَّاج يشربون ويستقون ؛ فإن لهم يومين لم يشربوا . فلم يُجِبْهُم لذلك إلَّا إن كانت الولايةُ له . فبرز له حينئذ السيدُ هَزَّاع وجماعته ، وتخلَّف عنه التُّرْكُ والحجَّاج ، وقالوا له : بينك وبين أخيك . وآصطدم العسكران ؛ فهُزِم السيدُ هزَّاع وجماعتُه مَرَّتين أو ثلاثاً ، ولم يَرُدَّهُم إلا الحُجَّاج . فلما رأى الأميران غَلَبةَ الشريف هَزَّاع خَافَا عَلى نَفْسَيْهِمَا وعلى الحجّاج ، فبَرَزَا وعسكرُهما للمحاربة ، وتقدّم أهلُ النُّشَّاب والنَّفْطِ والبُنْدُق ؛ فَمَا حَمَل العسكرُ شيئاً من ذلك ، وولَّت خيلُ أهلِ الشرق[1] إلى جهة أبى عُرْوَة من غير أن يحاربوا شيئاً ؛ لا فى الأوَّل ولا فى الآخر ، وولَّى بقيةُ المشاة إلى النخيل ، وثَبَتَ السيد بركات وولداه السيدان أبو القاسم وإبراهيم ومعهم بعض العسكر ، وأبلوا ثلاثتهم بلاء حسناً ، فَقُتِلَ السيد أبو القاسم ولم يَعْرِف به أحدٌ من جماعته ، ثم فرَّ بقيَّة العسكر .

فلما رأى السيد بركات أن جميع العسكر هَرَبَ ما وسعه إلا آتِّباعهم إلى جهة أبى عُرْوَة ، وتبعه السيد هزَّاع وجماعتُهُ ، ثم تراجعوا

(١) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٢٠ « وعدوان وبنو سعد ومشاة هذيل وغيرهم » .

بعد أن تعبوا وأَيِسُوا . وانفصل الأمرُ عن جمعٍ كثيرين مقتولين من الفريقين ، لكن ليس من جماعة السيد هزَّاع مَنْ يُذْكر ، إلا أنه يقال : [القتل فيهم أكثر ، ويقال : إن](١) فيهم شريفاً خيَّالاً من بنى إبراهيم ، والجراحة فى كل من الفريقين كثير . وأما المقتولون من جماعة السيد بركات ممن يُذْكَر : فابنه السيد أبو القاسِم كما تقدَّم ، وعبده طرمُوه ، وعلى بن رشيد صاحب النقَّارة . ونهب القَوَّاسَة ومشاةُ السيد هزَّاع من بنى إبراهيم وزُبَيْد ثيابَ النساء(٢) (٣اللائى حضرن٣) الحرب على الشقادف ، ويقال إن ذلك بإذن السيد هزَّاع ، بل ونهبوا بيوتهم بالدكناء وبيوت أهل تلك القرى : الجموم ، والخضراء ، وأرض خالد ، وأرض حسان ، والدكناء ، وجميع ما لهم من الأموال(٤) ، ودخلوا مكة بالسلامة ، ومعهم الأمير الكبير تَنِبَك الجمالى ، وهو منفيٌّ .

ولما توجّه السيد بركات إلى جهة أبى عُرْوَة مال إلى البُرْقَة فى جماعة من العسكر ، وجلس بها إلى آخر النهار ، وتوجّه إلى الدكناء

---

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٢٠ظ .

(٢) المراد نساء السيد بركات كما فى المرجع السابق .

(٣) فى الأصل والمرجع السابق « الذين حضروا » .

(٤) أضاف هنا المرجع السابق « من البقر والحمير والعبيد والجوارى — إلا من هرب — وأخذوا أخت السيد بركات وهزاع « دَلَال » وهى بنت بكر ، ويقال غيرها ، وحظية للسيد بركات ، ووجدتا ثانى يوم بمكة عند بعض العسكر ، ونزل الحجاج بالجموم ورووا وحملوا » .

وأرض حسَّان ، وجلس بها ، وعلَّق على خيله ، وبات بها . ويقال إنه أرسل سأل أخاه الشريف هزَّاعاً فى أن يعطيه وَجْهاً شهرين أو ثلاثة ؛ فامتنع ، إلا إن كان يروح إلى اليمن أو الشرق ، وإلا ما يعطيه إلا ثلاثة أيام . فما قَبِلَ السيدُ بركات ذلك ، وتوجّه[1] إلى جُدَّةَ وجلس بها يوماً واحداً[2] ، وأخذ العسكرُ القافلة الواصلة من جُدَّة كلها أو غالبها[3] . ويقال إن الناس اشتكوا إليه[4] ذلك ، فقال : ادعوا على من فعل بكم هذا ؛ يشير لأمراء الحاج وغيرهم ،
٢٣٠ظ بل — والله — الدعاءُ عليهم وعلى / من راسلهم وغالَبهم .

ثم أرسل السيد بركات إلى نائب جُدَّة وطلب منه مالاً ، ولو على سبيل القَرْض . فامتنع ، فتوجّه إليه إلى جُدَّة ودخلها هو والعسكر صبح الجمعة ، وجلس عند بيت القاضى أبى البركات ، وأرسل لنائب جدة يطلبه ويطلب منه مالاً فامتنع أيضاً[5] ، وتكرَّر إرساله أيضاً لنائب جُدة فلم يجبه إلا وهو مُلَبَّس راكب بعد أن

(١) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٢٠ظ هنا « إلى الدكناء أو أرض حسان عند الشيخ عبد الكبير ، وجلس بها يوماً ، وعلق على خيله ، وبات بها ، ثم توجه » .

(٢) هو يوم الخميس مستهل ذى الحجة سنة ٩٠٦ (المرجع السابق) .

(٣) أضاف المرجع السابق « وفيهم ابن الطاهر ، ويقال إنه فقد له سبعمائة أو مائة دينار » .

(٤) أى إلى السيد بركات (بلوغ القرى لوحة ١٢٠ظ) .

(٥) أضاف المرجع السابق « ونهب العسكر كثيراً من البيوت ، وصار كثير من الناس بعد الغِنى فقيراً » .

أعطاه الأمان ، فسأله أن يخرجا جميعاً إلى ظاهر البلد ، فامتنع ، وسايره قليلاً وعاد بعد أن وعده بمال ــ وكان أَوْسَقَ ما يتعلّق به بالجلاب ــ وتوجّه السيد بركات هو وعسكره إلى العُدّ[1] ، والإرجافُ بمكة أنه يريد دخولها أو نهبها ، إلى خامس الشهر ، فخرج السيد هزّاع يريد التوجُّه إليه ، إلى أن وصل هو وعسكره إلى حَدًّا ، ثم إلى أن قاربوه ، فوقعت الرَّسْلِيَّةُ بين الشريفين[2] حتى اتفقا على أن يعطى السيد هزَّاعُ السيد بركات ألفى دينار ، ويعطى السيد بركات هَزَّاعاً وجهاً[3] إلى عاشر المحرم . فما رضى السيد بركات إلا بعد أن عَظَّموا الأمر عليه ، وأن الأتراك والقَوَّاسة والعبيد والرُّماة بالبُنْدُق مع السيد هزَّاع ــ والأمر على خلافه ــ وأن المَبْلَغَ يَجيئُهُ فى وقت مُعَيَّن ، وسألوه أن يرتحل من ذلك المحلّ إلى أبيار أَطْوَى ، فارتحل بعد أن أبردَ النهار ، ولم يفارقه السيد هَزَّاع حتى ارتحل .

وجاء الخبرُ إلى مكة بنُصْرَةِ السيد بركات ، فنهبَ عُرَيْبُ الدار وغيرُهم حَوائجَ بنى إبراهيم ، وتعلَّقَهم ، وقتلوا بعضهم ، ثم جاء بعد ذلك أوراقُ السيد هَزَّاع إلى الأمراء بأنه سُئِلَ فى الصلح فأجاب ، والأمر على ما ذكر أولاً .

---

(١) أضاف المرجع السابق « وبقفا كفه الشمال ضربة أو نشابة أزعجته » .

(٢) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٢١و « من الشرفاء وغيرهم » .

(٣) يعطيه وجهاً : أى يعطيه كلمة شرف بترك صور الخصومة بينهما فى تلك المدة . وانظر بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ١٢٧ هامش .

ثم فى يوم [الخميس][(١)] ثامن الشهر وصل السيد هزّاع وعسكره إلى مكة ؛ فنَهَب بنو إبراهيم سوقَ المَعْلَاة وبيوتاً لمن اتُّهِمَ وغيرهم ، ومسَكَ الشريفُ هزَّاع جماعة من الهذايلة وغيرهم ، وأمر بشَنْقِ بعضهم فافتدى نفسه بمالٍ له صورة ، وجعل على جماعة ممن نَهَب حوائج بنى إبراهيم أو اتُّهِمَ به مالاً .

وطابت أنفس أهل مكة بعدِ الوجوم ، (٢وأراد بعضهم التخلّف عن الحجّ٢) ؛ فنادى منادى السيد هزَّاع : بأن من تخلَّف يُنْهَب ولا يسأل ما يَجْرِى عليه . فسئل [السيد هزاع][(٣)] فى ذلك [فقال][(٣)]: المراد التجار وأهل البيع والشراء . وتخلَّف كثير من الناس .

ورسم السيّد هزَّاع[(٤)] على التجار بمنى ومكة يريد منهم مالاً يُرْضى الأمراء ، فلم يصلوا إلى جميع ما أُوعِدُوا به ، وسافروا وهم ساخطون . وكذا الأمير قَانْصُوَه البُرْج فإنه رام جِمَالاً ورَوَاحِل وغير

---

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٢١و .

(٢) وعبارة بلوغ القرى لوحة ١٢١و « وعزم كثير من الناس على الحج بعد أن كانوا عزموا على التخلف » .

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

(٤) وفى بلوغ القرى لوحة ١٢١و « وفى منى رسم الأمير قانصوه البرج على كثير من التجار ــ وأظنهم الشاميين ــ وأخذ منهم مالاً على جهة السلف ــ يعنى الذى لا يرد ــ وكذا السيد هزاع فعل ذلك ــ أظنه بمنى ومكة ــ وضج الناس من فعلهما ، وما وسعهم إلا رضاهما » .

ذلك . فلم يصله إلا بعض ما أراد ــ والفتنة كلها منه ؛ فإنه الذى جرأ الأمراء على ذلك ــ .

ولما توجّه الحجاج آختفى جماعةٌ من بنى إبراهيم مع المحمل وسافروا[1].

وكان السيد بركات لمَّا لَمْ يصله المالُ فى الوقت المعيّن زحف إلى جُدَّة ، فسمع السيد هزَّاع فأرسل له بالمال مع عَمِّه السيد إبراهيم ، فلم يَقْبَلْهُ السيد بركات ، وطلَبَ السيدُ هزَّاع من الأمير الباش المساعدة بنفسه وبالتُّرْكِ ، فأبى التركُ ، ثم طلب النجدة من الأمير الشامى[2] ، فما أسعفه . واستمر الإرجاف بمكة أن السيد بركات يريد دخول مكة ونهبها / .

فلما سافر الشامِيُّون فى يوم الاثنين تاسع عشر الشهر أظهر ٢٣١و
السيد هزَّاع أنه يريد التوجّه لأخيه ، وبَرَز . فلما أمسى الليلُ لحقَ الشاميين واختلط بهم .

وفى ثانى يوم بلغ السيد بركات فأمر تجريدةَ الخيل والرواحل ــ وهو معهم ــ وأخذ فى أثرهم ، وأرسل طلائع له ، فما وجدوا لأولئك أثراً ، فرجع فى آخر نهاره إلى سَرْوَعة ، وأرسل خيلاً لحفظ جُدّة ، ودخل مكة صُبْحَ يوم الخميس ثانى عشرى الشهر ، ولاقاهُ

---

(١) المرجع السابق .

(٢) فى مفاكهة الخلان ٢٣٩/١ هو « تمر باى القجماسى » وفى بلوغ القرى لوحة ١٢١و هو « قانصوه أبو قورة » .

إلى الزاهر الأمراء : نائب جُدَّة ؛ وألبسه خلعة عظيمة ، والباش ، والمحتسب ، والأتراك ، والقاضيان ؛ الشافعى وجماعته ، والمالكى ، وجميعُ العسكر بالسلاح الكامل ، وهم فى أُبَّهة وهيئة عظيمة ، ودخل السيد بركات المسجد الحرام من باب السلام ، ومعه المذكورون ، وطاف سبعاً بالبيت الحرام ، ومحمد بن الريس[1] ينادى له فوق ظُلَّه زمزم إلى أن تَمَّ أسبوعه ، وصلَّى خلف المقام ركعتين ، وعاد من باب السلام ، وركب الكُلُّ أمامه إلى أن وصل بيته بالسلامة . وانشرح الناسُ لذلك كثيراً ، وطابت أنفس الناس ــ ولله الحمد ، والله يديم للمسلمين الأمن ، ويذهب عنهم جميع المخاوف ــ وبعد تَوَطُّنِهِ مكة خرج بنفسه وأهله وعسكره إلى البَحْرَةِ بطريق جُدَّة .

وفى صفر[2] من سنة سبع وتسعمائة جاء نور الدين القبانى ناظراً وصيرفياً بجُدَّة ، بدل زين الدين المحتسب ، فلم يصل إلا بعد سفر المراكب ، فأصلح بينهما وأُعْطِىَ أربعة آلاف دينار[3] . ومعه مراسيم للسيد بركات مؤرخة بأثناء ذى القعدة ، وهذه المراسيم تدل

(١) فى بلوغ القرى لوحة ١٢١ظ « ومحمد بن الغنوى » .

(٢) فى بلوغ القرى لوحة ١٢٢و « فى ليلة الاثنين ثانى عشر الشهر [صفر] وصل نائب جدة قايتباى إلى مكة ، ومعه القاضيان زين الدين المحتسب ونور الدين القبانى ، وكان القبانى وصل فى هذا الشهر من مصر إلخ » .

وهذا يوضح من عاد عليه الضمير فى « بينهما » .

(٣) أضاف المرجع السابق « وبقى كل شيء على ما مضى » .

على أن أمراء الحاج افتعلوا ما أرادوا ، ولم يكن ذلك من السلطان .

وفى ليلة الثلاثاء سابع ربيع الأول وصل الخبر لمكة أنه وصل للسيد بركات صاحب مكة وهو بالبَحْرَة ثلاثة هَجَّانة[1] ، وأخبروه برضاء السلطان عليه ، وأنهم تقدّموا على عامر شيخ بَلِىّ ، وهو فى ركائب ستة فى دغيم[2] ، وأن بنى إبراهيم الذين بمصر مُسِكُوا وحُبِسُوا ، وأنكر السلطان على أميرى الحاج ما فعلاه . وأن ألماس الخاصكى واصلٌ فى البحر بالخلع والمراسيم ، ومعه عَشْرة مماليك وخمسون قوَّاساً للسيد بركات ، ثم وصله عامر ووصلت المراسيم التى معه والأوراق لمكة صبح يوم الثلاثاء . ويقال : إن جميع الحِجَاز للسيد بركات ، يُوَلِّى فيه من يشاء . ونُودِىَ فى البلاد بالزينة ، فزيّنت ، ثم وصل السيد بركات لمكة عصر يوم السبت حادى عشر الشهر ، وزار المولد الشريف بعد المغرب ليلة الثانى عشر[3] .

وفى ربيع الثانى وصل قاصدُ السيد بركات من مصر بحراً ، وأخبر أن قاصِدَيْن توجها فى بعض الجِلَاب إلى صاحب يَنْبُع ، وأن السلطان أرسل أميراً معه عشرة مماليك قاصداً السيد بركات ،

(١) الهجانة : جماعة من الجنود يركبون الهجن ، ويُكَلّفون عادة بحفظ حدود البلاد ، كما يكلفون ببعض المهام السريعة .

(٢) دغيم : كذا بالأصل وبلوغ القرى لوحة ١٢٢و ، ولعلها تصغير الدغم : وهو خليج فى البحر الأحمر عليه نخل وزرع جنوب مصب وادى الحمض بينه وبين أم لج ، سكانه جهينة (معجم قبائل الحجاز) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١٢٢و ، ظ .

ووصل الطور(١) .

وفى أوائل جمادى الأولى وصل الخبر للسيد بركات برًّا وبَحْـراً ، وهـو بالبحـرة أن السيـد هزَّاعـاً خرج من الينبـع فى عسكـــر كثير قاصداً مكة ، وكان خروجهم فى أواخر ربيع الثـانى ؛ فتحـرَّكَ السيـد بركات حينئـذ ، وطـلب بَاش / التـرك بمكـــة قَانْصُوَه الجَـــوْشَن ، ٢٣١ظ والمحتسب أُصْبَاى ، والترك جميعهم . فتوقَّفُوا إلا بمرسوم ، فيقـال إنهم أُرُوا مرسومـاً بذلك فأجابـوا . وكان رسولـه إليهم الشـــريف عَرَّار بن عِجْـل النَّمَـوِىّ ، وأعطاهـم شَيئـاً يسيراً وأوعدهـم ؛ فتوجهـوا فى يوم الخميس سادس الشهر ، فلاقاهـم الشريـف عَنْقَاء بحَدًّا(٢) . ثم فى يوم الجمعة وصلوا للسيد بركات بالبحرة ، فعمل لهم سماطاً عظيمـاً ، وأعطاهــم خيـلاً ودروعـاً . وفى آخـر النهار توجهـوا جميعـــاً لصوب الشام ؛ فعَدُّوا الشُّعْبَة(٣) ، ونزلوا ليلة الأحد بين الشُّعْبَة ودُغَيْم ؛ فرأوا نِيـرَانَ السيـد هزّاع وعسكـره تحت الحَـرَّة مقابلهــم ، فأوقـدوا نيرانهم هم الآخرون ، وصاروا يَتَرَائَوْنَ ذلك إلى آخر الليـل ، فألـبسوا جميعـاً وركبوا وتلاقوا وقت الصبح ، وتلاحم القتالُ بينهم ، وكان رَجْلُ السيد هزَّاع أكثر ، وقُتِـلَ من الفريـقين خلـقٌ كثير لا يُحْصَوْن ، غالبهم من

(١) المرجع السابق لوحة ١٢٣و .

(٢) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٢٣و « فيما يقال ، وأعطاهم خيلاً » .

(٣) الشعبة : عين صغيرة على ٢٨ كيـلاً من أم العيـال ، وهـى محطـة على طريـق الفرع بين بئر مبيريك والمدينة ، وكان بعض الجمالة يتجـاوزونها ليحطـوا فى الفـقير أو غيره من العيون (على طريق الهجرة ٩٤ ، ٩٥ ، ومعجم معالم الحجاز ٥:٦٦) .

رَجْل السيد بركات .

فلما رأى السيد بركات الغَلَبَةَ على أصحابه وخاف فناءَ العسكرِ ارتفع وولّى ، فوَلَّى بعده جميعُ العسكر ، ووصل الخبرُ لمكة بين الظهر والعصر من ذلك اليوم ، ونَهبَ جماعةُ السيد هزّاع جميعَ الحلة ، وما على النساء وجميع الجوارى ، والجمال والرواحل ، وما عليها ، وكان شيئاً كثيراً . وقُتِلَ من الفريقين جماعةٌ من شُرَفَائهم وغيرهم[1] ، ولكن فى جماعة السيد بركات أكثر ، واستمرّ السيد بركات وكثيرٌ من عسكره إلى أن وصلوا البَحْرَة[2] منزلهم ، فاستراحوا يسيراً وتوجهوا إلى جهة اليمن ، ووصلوا إلى اللّيث[3] . ويقال إنه رَدّ مشاته الحَرَّابَةَ ــ يقال حنقاً عليهم أو رحمة لهم ــ خشية من تعبهم .

وأما السيد هزّاع وعسكره ــ بعد أن نهبوا ، وتبعوا الهاربين قليلاً ، وقتلوا فيهم شيئاً كثيراً ــ جاءوا إلى البحرة على مَهْلِهِمْ فى يوم [الاثنين][4] عاشر الشهر ، فنهبوا جميع ما لقوه ، وكان شيئاً

(١) عبارة بلوغ القرى لوحة ١٢٣و « وقتل من جماعته [أى السيد بركات] كثير من شرفائهم وغيرهم ، وتلف لبعضهم بعض أيديهم وأرجلهم ، وأخفوا كثيراً من ذلك » .

(٢) البحرة : بلدة عامرة فى منتصف الطريق بين مكة وجدة . كانت تسمى القرين وظهرت بها عين غزيرة فسميت بحرة (معجم معالم الحجاز) .

(٣) أضاف المرجع السابق « ثم إلى حلى » .

(٤) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٢٣و .

كثيراً[١] . وما تحقَّقْتُ عِدَّةَ مَن قتل من عسكر السيد هزَّاع . والمعروف شيخا القرون الشريف زاهر بن كُبَيْش ، وولده حسن . والشريف شَهْوَان بن قَيْمَاز والد ظاهر ، وكان من حِزْب السيد بركات ثم غَلَبَ عليه أصحابُه وتوجّه معهم ، بعد أن كان أرسل له السيد بركات مبلغاً له صورة يصرفه على جماعته ، فأصرفه عليهم وما أفاد .

وأما المقتولون من عسكر السيد بركات فأخوه الشريف أبو دُعَيْج ، ومن الشرفاء ذوى أبى نُمَيّ من ذوى مبارك : أبو الغَوَايِر ولد الهذبانى ، ومن ذوى عاطف : ضَيْغَم بن صَخْرَة ، ومحمد بن سِبَاع ، وكُرَيْدِس بن هَجَّار ، ومن الحُجْرَان أبو سعد الحجر ، وأحمد بن محمد الحجر ، وأحمد بن غيث . ومن ذوى أبى سُوَيْد : مبارك بن مَيْلَب ، ومن ذوى راجح : أحمد بن جار الله ، ومن سَحَرَت الخيالة بلالُ الحُورَانى شيخهم ، وأحمد بن نصر ، وسعيد بن ألاى[٢] ، وجوهر أحمدى ، وبَرَكُوت خزانة ، وأحمد بن نسيم ، ومن يَلْبَن محمد بن على الزبيدى ـــ ماشى ـــ ومن النوبة الخيالة :

---

(١) وفى المرجع السابق « فنهبوا باقى الحلة وجميع البيوت الشعر ، وما على النساء الذين هناك ، وأخذوا الجوارى ـــ وأظن ـــ والعبيد . وكان شيئاً كثيراً ، ووصل الخبر إلى مكة بين الظهر والعصر يوم الأحد المذكور وزاد الناس ونقصوا فى عِدَّة القتلى خصوصاً جماعة السيد هزاع » .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٢٣ظ « وسعيد بدوى » .

ولدا ابـن عيسى ، وأحمد بن عايض ، ورَوْزَن بن شُكـر ، ومـن ذوى ١
حسن : محمـد الحلاوى / ، وعلى بن حسن بن حَزِيمَـة ، وقتـل من ٢٣٢و
التـــرك عشرة أو أكثر ، يقـــال إنهم ثلاثـــة عشر ، منهم المحتسب أصْبَـاى ، وتَنَم ، وبَلَبَاى الأحمدى(١) .

---

(١) أضاف المرجع السابـق ١٢٣ظ ، ١٢٤و « وفى يوم الثلاثـــاء حادى عشر الشهر وصل ابـن الشبيكـى صبـى السيـد جازان بأوراق منـه للقـاضى الشافعـى بالأمـان والاطمئنان ، وأن ينادى فى البلد بذلك ، فنودى فى شوارع البلد وأزقتها ، وطـابت أنـفس الناس ، وأن السيد هزاع وجميع العسكر مقيمون بالبحرة ولم يجاوزوها ، لكن فى نيته اتباع السيد بركات .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشر الشهر أيضاً دخل السيد هزاع جدة ، ونادى بالأمان والاطمئنان ..

وفى يوم الخميس ثالث عشر الشهر دخل مكة من باب الشبيكة السيـد جازان فى نحو ثلاثين فارساً ، وهو مرمل ، وهم يبيشنـون ، إلى أن وصلـوا لبـيت القـاضى ، فدخـل السيد جازان ، ثم دخل الباقون ، وغدَّاهم جميعاً ببيتـه ، وتوجـه منهم مفتـاح البطينـى إلى الباش يطلبون منه ومن الترك الخيل والـدروع التـى أعطاهـا لهم السيـد بركات ، فأحضروا تسعـة أفـراس ، وست زرديـات ، ونـودى فى البلـد بالأمـان والاطمئنـان . وأنعـم القـاضى الشافعى على السيد جازان بمبلغ له صورة ، وكسوة ، ومدَّ له سماطاً فى العشاء ، وفى ليلـة الجمعة رجعوا إلى أصحابهم بالبحرة .

وفى يوم الجمعة دعا الخطيب محمد بن أبى بكر النويرى فى الخطبة للسيد هزاع .

وفى يوم الأحد سادس عشر الشهر جاء الخبر أن السيـد هزاع واصل . ففـى آخـر اليوم أو أول ليلة الاثنين وصل للمختلع فخـرج بعـد المغـرب للسلام عليـه قاضى الـقضاة الشافعى وأولاده وأخواته فسلموا عليه وعادوا ، وأرسل له القاضى إلى هناك طبيخاً كثيراً .

وفى صبح يوم الاثنين خرج للقائـه إلى المختلـع أيضاً القـاضى الشافعـى وجماعتـه ، والقاضى المالكى ، والباش قانصوه الجوشن ، ودخلوا معه مكـة ، وهـو لابس خلعـة حمراء بطرازين وعمامـة شرب بلا طرز ، ولابس السيـد جازان خلعـة حمراء بلا طراز ، عملهـا له =

....

=قاضى القضاة الشافعى ، ومعه صاحب ينبع يحيى بن سبع وأخوه حميضة ومالك بن رومى وبنو إبراهيم وزبيد وخلق ، وفيهم بعض شرفاء مكة الذين كانوا مع السيد بركات ورجال ورواحل مردفة ، وكلهم بالسلاح وكثير من الخيل عليها الزانة ، وليس معهم أحد لابس درعاً ، بل رأيت خوذة واحدة . واستمروا إلى أن وصلوه بيته ، ودخل الناس المسجد الحرام ينتظرونه ليعود لقراءة المرسوم ، والطواف ، فأبطأ عليهم ؛ لضعفه وعدم قدرته على البروز ، فانصرف الناس وسلموا عليه ببيته فوجدوه طريحاً ملقى ، ثم قرئ مرسومه بحضرة القضاة والباش وبعض الفقهاء ، وفيه : نحن أنعمنا عليك بإمرة مكة ، ودَخَلْتَ مع الأمراء ، وعجبنا من خروجك ودخول الزينى بركات مكة . والمقصود العدل والأمان وأن تطيب الطرقات لقصادنا وغيرهم ..

[وفى يوم الجمعة حادى عشرى الشهر] جمع السيد هزاع التجار بحضور القاضى الشافعى ، ويحيى بن سبع صاحب الينبع وغيرهما ، وقال : إن بنى إبراهيم كنتُ أعطيتهم وجهى على أن ينهبوا مكة وجدة ، والآن صالحتهم على مال ، وسلطانكم بركات فتح هذا الباب ،ومقصودنا لهم المال . فقال له القاضى : أعطيتهم وجهك ؟ فقال : نعم ، والآن فإن أعطيتم وإلا أغلقت بابى ، وخلّيت بينكم وبينهم ، وأنا لو هدمت الكعبة ما قدرتُ على منعهم . فقال له ابن سبع : يا شريف لا يسمع أحد منهم . فقال : ما أحد حاضر منهم . فقال الخواجا شمس الدين الحموى : علينا وحدنا وإلا علينا وعلى غيرنا ؟ فقال السيد هزاع : عليكم وعلى غيركم » .

ثم أخذوا فى كتابة أسماء التجار وما يلتزم بدفعه كل تاجر ، وقالوا إن المبلغ المطلوب اثنا عشر ألف دينار وسبعمائة دينار .

وفى حادى عشرى جمادى الثانية سافر السيد هزاع إلى السمرات بين وادى الأبيار والعد ، وتتابع العسكر فى يومه والذى يليه ، وبقى بعض منهم أفراد يتتابعون ، وفُعِل بعده بل وقبله أفعال بالليل غير مرضية (بلوغ القرى لوحة ١٢٥و) .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشر رجب سنة ٩٠٧هـ مات السيد هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بالسمرات بين وادى الأبيار والعد ، وحمل فى فردة شقدف على رءوس الرجال إلى مكة ، فوصل به بعد العشاء ، وجهز بداره ، وحمل إلى المسجد=

واستمر السيد بركات باليمن إلى أن سمع بموت أخيه السيد هزَّاع فى رجب ، وخروج أخيهما السيد جَازَان وجماعته كَيَحْيَى بن سَبْع ، وبنى إبراهيم ، وزُبَيْد . فأرسل لمكة قاصداً اسمه حسن بن فلاح ، فوصل فى أوَّل شعبان ، وأخبر بوصوله ، وتَرادَفَتْ الأخبارُ بذلك ؛ فَسُرَّ المسلمون بمجيئه سروراً زائداً ، وخَطَبَ له الخطيبُ ثالث الشهر ، ووصل من الحجاز القائد جوهر الطويل ، والجمال

= قبل التسبيح ، ثم طيف به أسبوعاً ، وصلى عليه قاضى القضاة الشافعى بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ، ونادى الريس بالصلاة عليه فوق ظلة زمزم : الصلاة على السيد الشريف الحسيب النسيب زين الدين هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان صاحب الحجاز الشريف ، الصلاة يرحمكم الله ، وشيّعه القضاة والفقهاء والأمراء والترك والتجار ، وغرباء الناس ، وكان الجمع وافراً ، ودفن بقبة أبيه .

ولما نزل الناس من دفنه اجتمع السيد جازان والقضاة وكثير من الناس وفيهم خال جازان مالك بن رومى ، فتكلم بحضرة الناس القاضى وقال لبعضهم : أنتم راضون بالسيد جازان ؟ فقالوا : نعم . وقال مالك : إن هزاع لم يكن إلا بجازان ، وإن الأصل جازان ، وإن بركات ما بقى له إلا السيف ، وإنه خرج من البلاد ، ما بقى أحـــد يصل من الحجاج لمكة راضين . وقال القاضى الشافعى : فالبلاد فى وجه السيد جازان وبنى إبراهيم ؟ فقال من كان حاضراً من بنى إبراهيم : نعم فى وجهنا ، فتفرق الناسُ ، ونودى فى شوارع البلد : إن البلد لجازان بن محمد ، وأن البلاد وجميع العربان فى وجهه — وأظن أنهم يكتبون محضراً بذلك ويأخذون فيه خطوط الناس ويرسلونه مع قاصد لمصر ، وجميع التجار فى مدرسة السيد محمد بن بركات ولم يظهر بعضم — وجعل عليهم مالاً ، ثم فى يوم الجمعة ثامن عشر الشهر دعا الخطيب محب الدين النويرى للسيد جازان وسماه شهاب الدين أحمد ، ثم بعد الصلاة والدعاء طاف السيد جازان ، ودعا له سليمان بن داود الزمزمى — لغيبة الريس — على ظلة زمزم ، على عادة أمراء مكة (بلوغ القرى لوحة ١٢٥ظ ، ١٢٦و) .

محمد النقرى[١] ومعهما نحو عشرين فرساً ورجال كثير . وعرض لهم من بمكة من العبيد وأهلها ، ووصلوا إلى بيت الشريف بركات ، واستمر اللَّعِبُ عنده صباحاً ومساء من قبل الشهر[٢] إلى أن وصل الشريف بركات مكة فى يوم الأربعاء ثامن الشهر ، وخرج للقائه القضاة والأمراء إلى الزاهر ، فألبسه الأمير الباش خلعةَ السلطانِ ، ودخلوا مكة جميعاً ، واستمرُّوا إلى أن دخلوا المسجد من باب السلام[٣] ؛ فسجدَ الشريفُ شُكْراً لله تعالى ، ومَرَّغ خَدَّيْهِ على الأرض ، وطاف وهو لابس الخلعة ؛ فدعا له الرَّيسُ على ظُلَّة زمزم كالعادة . ثم بعد صلاته بالمقام جلس هو والأمراء ، وقاضى القضاة الشافعى بالحطيم تحت زمزم ، وقرئ مرسومه . وفيه ـــ بعد السلام والإكرام ـــ الاعتذارُ عما وقع من الأمراء من تَولية الشريف هزَّاع ، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا لَمَّا رأَوْهُ هو وابن سبع فى جمع كثير خافوا على الحُجَّاج ، ولم يكن هذا عن أمرنا ، وساءنا موت وَلَدِك . وكان ينبغى لَمَّا سَمِعْتَ بجمعهم توجَّهْتَ لهم . وقد جهزنا لك خلعة ومرسوماً على يد الأمير ألماس أحد أمراء الطبلخاناة ، والتوصية به ، وشَافَهْنَاه بما يُشَافِهُكَ به ، فلتَقَرَّ عَيْناً ولتَنْشَرِح صَدْراً . وتاريخ المرسوم ثامن ربيع الآخر . وبعد قراءته دخل السيد بركات الحِجْرَ

(١) النقرى : واحد النقرة ، بطن من رفاعة من مالك (معجم قبائل الحجاز) .

(٢) أى قبل شهر شعبان سنة ٩٠٧هـ (بلوغ القرى لوحة ١٢٦و) .

(٣) فى المرجع السابق « من باب بنى شيبة » .

وصلّى به ركعتين ، وتوجَّه إلى داره والناس مشاة أمامه ، وأظهـروا من السرور والفـرح ما لا يُعَبَّر عنـه ، ودعـوا له غَيْبَـةً وحُضُوراً ــ والله يسدِّده وعلى أعدائه ينصره ــ ثم جمع التجارَ وطـلبَ منهم مالاً قرضاً كعادة سلفه ؛ فأجابوا ، وكَثَّرَ على بعضهم فاشمأزوا ، ثم خُفِّفَ عنهم فأذعنوا .

وفى عصر يوم الثلاثاء حادى عشر شوال سنة سبع وتسعمائة مات السيّد الشريف الحسيب النسيب عز الدين عَجْلَان ابن السيد الشريـف زيـن الديـن بركات صاحب التـرجمة ، وجُهِّـزَ فى الحالى ، وصلّـى عليـه ــ بين العصر والمغرب عنـد باب الكعبـة ــ قاضى القضاة الحنفى النورى على بن الضياء ، ونادى الريس علىٌّ بن عبـد الله على ظُلّـة زمـزم بالصلاة على السيـد الشريـف الحسيب النسيب السعيـد الشهيد عَجْـلَان ، وحـزن النـاس عليـه ، وشيّعـه الخلـقُ من القضاة والأمراء والفقهاء والعسكر ، ولم يتخلف أحـد ، وطلـع والـدُه راكباً لتوعُّكِهِ ، وهو صابر محتسب ، ودُفِـنَ خارج قُبَّـة جده السيـد الشريف محمـد ، مما يلى الحجـون ، وعمـل به رَبْعَـة بالمسجـد الحرام والمعلاة ، وانتاب الناسُ الطلوع صباحاً ومساءً ، ورثـاه جماعـةٌ / من ٢٣٢ظ الشعراء منهم : الشيـخ عبـد السلام الزرنـدى المدنى نزيـل مكـة[1] ،

---

(١) هو عبد السلام بن عبد الوهاب الزرندى المدنى ، نزيـل مكـة ولـد فى جمادى الأولى سنة ٨٣٥هـ بالمدينة ، وكان جيد الخط ، ونظـم الشعـر وتـكسب بهمـا . مات فى مكة سنة ٩٠٩هـ (التحفة اللطيفة للسخـاوى ٩:٣ برقـم ٢٦٠٨) ووفاتـه إضافـة من قارىء قطعاً لأن السخاوى مات سنة ٩٠٢هـ .

وأثابوهم بما أعجبهم ، وكان وجعه الدَّفّ[١] ، وهو أكبر أولاد أبيه ، وأثنى عليه الناس خيراً لرياسته وحشمته وتودُّدِهِ — رحمه الله تعالى ، وعوضه فى شبابه الجنة ، وأنال والده الصبر وأجزل له الثواب والأجر — .

وفى أول ذى القعدة سافر السيد بركات وعسكره إلى جُدَّة ، لأجل التوجُّه لزُبَيْد ، وخلّف أخاه السيد قَايِتْبَاى بمكة ، ثم لحقه ، وجاء له عسكرٌ من عَرَب اليمن : دوس ، وأوس وغيرهما إلى مكة ، وهو بجُدَّة ، فأرسل لهم الشريف عنقاء فوجدَ بعضَهم يضارِبُ مع عبدٍ للمحتسب ، فشكوه له ؛ فضربه وأرضاهم ، فلم يُقْنِعْهُم ذلك ، وتوجّه جماعةٌ منهم لربع التوريزى ، فخرج لهم جماعة من الترك فتناوشوا وإيَّاهم ، ورموهم بالنُّشَّاب ؛ فقتلوا جماعة[٢] وجرحوا جماعة ، فهرب العربُ ، ونهبوا بيوتاً وغيرها ، وطلعوا على جبل أبى قبيس ورموا بالمقاليع ، فجاء الشريف عنقاء وابن قُنَيْد ؛ فرَدَّ الترك والعرب بعد أن أرضاهم الشريفُ عنقاء بأن قال لهم : الشريف يعطيكم دِيَةَ المقتولين . وتوجَّه بهم إلى الوادى ، فسمعوا أن الشريف توجّه إلى عُسْفَان ، وأن نِيَّتَه التخلُّف عن الحج ، فعادوا إلى مكة .

(١) الدف : يقال رماه الله بذات الدف ، أى بذات الجنب ، قرحة تصيب الإنسان فى داخل جنبه عند أطباء العرب . وفى الطب الحديث التهاب بالغشاء المحيط بالرئة (المعجم الوسيط) .

(٢) زاد بلوغ القرى لوحة ١٢٨و « لعلهم أربعة » .

وكان السيد بركات قد توجّه هو وعسكره من جُدَّة فى يوم الجمعة عشرى الشهر إلى أن وصلوا لِعُسْفَان ، فأرسل أخاه السيد قَايْتْبَاى فى خيل وغيرها لعربٍ من زُبَيْد حوالَى رَابِغ ، فما وجدوا أحداً — فيما يقال — إلا رجلين فقتلهما ، أو رجلاً من مشايخهم القواد فمُسِكَ وجِىءَ به ، ووجدوا بعض حَبٍّ فأخذوه وعادوا[1] .

وكان مع السيد قريبُ[2] يحيى بن سبع : عامر بن شَقْمَق ، ففارقه وتوجّه لملاقاة الحجاج يتعرّف خبرهم ويُعَرِّفه بذلك . فلما كان ببدر ظفر به السيد جازان وجماعته ، وقالوا هذا من جهة السيد بركات ، وجاءوا به لأمير الحاج فوضعه فى الحديد إرضاء لهم . ووصل السيّد بركات — فيما يقال — عن الحجاج أوراقٌ ومراسيم ، وأن البلادَ له ، وأن ابن سبع وبنى إبراهيم لم يواجهوا الحاج ، ولم يتحقق شىء من ذلك . ثم عاد الشريف إلى الوادى ، فأرسل لعياله فتوجَّهُوا إليه ، وهو غير آمنٍ من الحجاج — والله يؤمنه — .

وفى سابع عشرى ذى القعدة وصلَ إليه وهو بالوادى قاصدٌ من ابن خلف الله الإبراهيمى ، وهو مع الحجاج من بدر ، أو من قريب يحيى بن سبع المسوك ، وأخبره بأن الحجاج قليل ، وأن البلادَ لَكَ ، ولكن أخافَ الحُجَّاجَ جازانُ وجماعتُه زُبَيْد ، ويحيى بن

(١) بلوغ القرى لوحة ١٢٨و .

(٢) فى المرجع السابق « عامر بن شقمق ابن عم يحيى بن سبع » .

سبع وبنو إبراهيم : فألبسوه الخلعة ، وهم سائرون مع الحجاج فى جمع كبير جداً ، ويأمره بالاحتراس ، وأن يكون بمكة ، وفى نِيَّتِهِم نَهْبُ جُدّة أو الحُجَّاج أو مَكَّة ــ والله يَرُدُّهم خائبين ــ . فعاد الشريفُ إلى مكة ، ووصلها ليلة السبت ثامن عشرى الشهر ، وهو ضعيف جداً[1] ، واستمر الشريف بمكة وعنده عسكر كثير جداً ، ولما وصل سبق الحاج أخبروا أن قُريبَ يحيى بن سبع أطلقه أمير
٢٣٣و الحاج ، وتأثر / الشريفُ جازان وجماعتُه لذلك ، وعرفوا أنها مكيدة من أمير الحاج ، فتكلَّموا معه فى مساعدتهم على السيد بركات ، فقال لهم : روحوا قاتلوه وحدكم ، ونحن ما لنا دخل بينكم ، ومن غَلَب ولَّيْنَاه . فخافوا من المكيدة ورجعوا[1] إلى خُلَيْص ، بعد أن كانوا جاوزوا عُسْفَان ووصلوها . وكان عند أمير الحاج ــ رهينةً ــ الشريفُ محرّم ابن السيد هزَّاع ، وعندهم دوادارُ الأمير وغيرُه ، فأطلق أميرُ الحاج ابنَ السيد هزَّاع ، وأطلقوا هم الآخرون الدوادارَ بعد ذلك . ولحق الأميرُ بمكة ومعه الشيخ أبو شَامَة[2] لأجل الصلح ، فطلبوه[3] على أشياء غير ممكنة ، فما رَضِىَ السيد بركات إلا بما يمكن ، فعاد الشيخ أبو شامة للسيد جَازَان بغير صُلْح ، ودخل الحاج كلُّهُ فى يوم الاثنين سلخ ذى القعدة ، فخلَعَ على

(١) بلوغ القرى لوحة ١٢٨و .
(٢) أضاف المرجع السابق « وكان تعصب على بركات كثيراً » .
(٣) أى الصلح على أشياء غير ممكنة (بلوغ القرى لوحة ١٢٨و) .

السيد بركات كلٌّ مِن أمير الأول·وأمير المحمل[١] .

ولما لم يحصل للسيد جازان وجماعَتِهِ من أميرى الحاج غرضهم ، ووصلهم الحجاجُ الشاميون طلبوا منهم مالاً كثيراً ؛ فامتنعوا من إعطائهم ، فتقاتلوا هم وإياهم قتالاً كثيراً ؛ فقتل جماعة من الفريقين ، ونَهَبُوا الحاجَّ جميعَه إلا قليلاً سلَّمهم الله تعالى . ومن لم يُقْتَل قصدَ مكة ، فمات كثيرٌ منهم عطشاً وتعباً ، ولم يسلم إلا القليل[٢] ، ولم يُسْمَع بأَبْشَع من هذه الحادثة ــ والله قادر على أن ينتقم منهم ، وقد فعل ، ولله الحمد ، فإن الله يُمْلِى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه ــ .

وحجّ الناسُ بخير ، وسأل أمير الحاج السيد بركات أن يسافر معه هو وعسكره لينبع ، فسافر وهو وَجْعَان ، ولَمَّا وصلوا ينبع تقاتلوا ــ وكان أولئك خلقاً كثيراً ــ فانكسر الأمراء والحُجَّاج ، ونَهَبُوا الحاجَّ المصرىَّ أيضاً نهباً فاحشاً ، ومُسِكَ السيد إبراهيم ابن السيد بركات وهو جريح ، وبقى عندهم بينبع حتى مات شهيداً ــ عَوَّضه الله الجنة فى شبابه ــ وقُتِلَ جماعةٌ من العسكر ، وتخلّف

(١) وكان أمير الأول محمد بن على بن خاص بك ، وأمير المحمل الأمير اصطمر من ولى الدين أمير مجلس (بلوغ القرى لوحة ١٢٨و ، ودرر الفرائد المنظمة ٣٤٩ ، وبدائع الزهور ٤:٢٨) .

(٢) وفى بلوغ القرى لوحة ١٢٨ظ « وكانت الواقعة يوم الأربعاء ثانى ذى الحجة سنة ٩٠٧هـ » . وانظر درر الفرائد المنظمة ٣٥١ ، ومفاكهة الخلان ١:٢٦١ ، وبدائع الزهور ٤:٣٦ .

بينبع جماعةٌ منهم ، وعاد الشريف وهو ضعيف ، وكم لله عليه من فضل بنجاته من كل شدة أعظم من الأخرى ، وما هذا إلا لبَرَكَتِه وحُسْن نِيَّتِهِ وطَوِيَّتِهِ ، ومحبة الناس له ، وكثرة دعائهم .

ووصل لمكة فى ليلة السبت رابع المحرم سنة ثمان وتسعمائة ، وهو فى غاية الضعف ، فالله يعافيه ويشفيه ، ومن الأعداء والسوء يَقيه ، والعاقبة للمتقين .

ووصل عسكر الشريف بحراً وبَرًّا ، ومات بعضهم فى الطريق من العطش[1] ، وأخذ السيد بركات العُشُور ، ثم الزكاة من التجار بالطيّب وغيره ، وأصرف على العسكر — فيما سمعنا — للخيال خمسة عشر — الحاضرين والغائبين بينبع — وأعطى لهم ذلك ، وللراجل خمسة[2] .

وفى ثامن صفر من سنة ثمان وتسعمائة جاء الشريفَ أوراقٌ من ينبع كدَّرَت عليه ، يقال إن فيها : أنهم واصلون للصلح ، ويكون الصلح بمكة[3] .

ثم فى ليلة حادى عشر صفر وصل لمكة الشريف محمد بن عنقاء متقدماً عن السيد جازان وعسكره من قُدَيْد ، فتوجّه السيد

(١) بلوغ القرى لوحة ١٢٨ظ ، ودرر الفرائد المنظمة ٣٥١ ، ٣٥٢ ، وبدائع الزهور ٤:٣٧ ، ٣٨ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٢٩و .

(٣) المرجع السابق .

بركات فى ليلته ـــ ومعه أهلُهُ ومن تبعه من إخوانه وعسكره إلى جهة اليمن ، ثم سمعنا / فى أواخر جمادى الثانية أنه سار من الجبالة ـــ أو ٢٣٣ظ
إلى الجبالة[١] ـــ وفى نيته المجىء لمكة ، وأن جميع العرب خرجوا معه إلا القِرَب[٢] .

ولما توجّه السيد بركات لليمن دخل السيد جَازَانُ مكة ؛ فحصل بها الغلاء والخوف والتشويش على أُنَاسٍ كثيرين ، وغُرِّموا مالاً ، وَغَزَا الشريفُ العُرْبَان ، وخامر كثيرٌ منهم وقطعوا الطرقات بحيث توصَّلُوا إلى مكة وجبالها ، حتى على جبل أبى قُبَيْس ، ونهبوا أشياء ، وطلع لهم الحاكمُ وأخذ منهم وَجْهاً يوماً وليلة ، وأعطوهم حِمْلَىْ تَمْرٍ وحِمْلَ زَبِيب[٣] .

وكان الشريفُ جازان وعسكرُه بالعُقيشية[٤] ، فسمع فى يوم الاثنين عاشر رجب بأن أخاه السيد بركات توجّهَ لجهة عَرَفة على قَصْد دخول مكة من أعلاها ، فعاد الشريفُ جازان وعسكره إلى مكة بعد الظهر ، واستقبلوا وادى مِنى ، فصادفهم السيد بركات

(١) الجبالة : واد من روافد وادى جازان (بين مكة واليمن ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٣١و .

(٣) المرجع السابق لوحة ١٣١و ، ظ .

(٤) العقيشية : كذا فى الأصل والمرجع السابق . ولعلها العكيشية وهى على سبعة أكيال من أول طريق مكة ـــ اليمن المار بالخبت ، على يسار الطريق المزفت قرب المكان الذى تحجز فيه سيارات الحجاج القادمين من اليمن (بين مكة واليمن ١٣ ، ٣٦١ ، ومعجم معالم الحجاز) .

بعسكره بالمنحنى[١] ، فلما تقابلوا انخزل عن السيد بركات جماعةٌ يميناً وشمالاً ، أخذ الشرفاء ذوو أبى نمىّ إلى جهة جبل حِرَاء ، وبقى فرقةٌ يسيرة وَقَعَ القتلُ فيهم ، فما أمكن السيد بركات إلا العَوْد لمِنَى ، فتبعه جماعةٌ لمنى ، ثم المزدلفة ، ثم لعرفة ، ثم للأراك ، ثم لمَّا فاتهم عادوا لمكة ووصلوها ليلاً ، ونَجَّاهُ الله كعادته ، ونُهِبَ جميعُ ما كان معه من حَبّ وسَمْن وأثاث وجمال ودقيق . ومِمَّن قُتِلَ من جماعة السيد بركات بَدْرُهَجِين ، ولَحَّاق ، ومحمد بن خُرْص بن جَمَّاز الحميضى ، وحتايت بن سيف بن شُكْر ، وربيع وأخوه : مولدان للسيد إبراهيم بن بركات[٢] ، وخفر جماعة من الرجال . وممن دخل بأمان الشريف فارس بن شامان ، ومسعود بن قُنَيْد ، وأخوه ، وكان معهم الرضىُّ بن الحناوى ، والسراج عمر بن محمد بن سليمان النجار ؛ فرسم عليهما وغُرِّما مالاً . وكان عسكر السيد جازان فى قِلَّة ، وسمعنا أنهم قالوا : كنا مخايرين نتوجَّه للوادى من الحجون أو من غيره .

ثم عاد لمكة السيد جازان وعسكره ، ثم توجَّهُوا لليمن لقصد السيد بركات ، فخالفهم السيد بركات ، وجاء من طريق أخرى فى

(١) وفى بلوغ القرى لوحة ١٣١ظ « عند سبيل الزمامى ، نصف طريق منى بين سبيل جانبك وسبيل الكواز .

(٢) أضاف المرجع السابق « ودخل عياله : أم الكامل فى شقدف ، ونزلت عند أختها أم المسعود ، وسُبِىَ ما عداها من سراريه » .

عشرين فارساً . إلى أن جاء للشرفاء ذوى أبى نُمَىّ وهم نازلون بأهليهم باليمن ؛ فأخذ منهم عشرين فارساً أيضاً . وجاء إلى حلة السيد جازان وزُبَيْد وهم بالقُرْبِ من وادى الآبار ؛ فنهبوها خلا ما لزينة[1] فأجار عليه السيد بركات ولم يأخذوا إبلهم ؛ فإن أخاه الشريف راجحاً قال للسيد بركات أنا حَالَفْتُهم .

ووصل مكة فى عصر يوم الجمعة حادى عشر رمضان ، وسُرَّ الناس بقدومه وأظهروا ذلك ، وهرعوا للسلام عليه — والله يجعل عاقبته إلى خير — وتوجّه فى يومه هو والأميران الباش ، والمحتسب إلى المسفلة والشبيكة ، واتفق رأيهم على حفر خنادق ، فأمر بها بالشبيكة ، فحُفِر خندقٌ بالقرب من بيت الجمال الطنبداوى ، وخندق عند دار الهجن ، ثم فى ثانى يوم توجَّه هو والأميران أيضاً إلى أعلا مكة ، وأمروا بحَفْرِ خندق عند مسجد الراية وما يليه من سوق الليل .

ثم فى يوم الثلاثاء ثانى عشرى الشهر وصلَ الخبرُ أن / الشريف جازان وصل هو وعسكره العقيشية ، وهى ساعة من ٢٣٤و
مكة ، فتحزَّبَ الشريفُ والأمراء والأتراك وأهل البلد ، ومَنْ قدم

(١) زينة : كذا فى الأصل وبلوغ القرى لوحة ١٣٢ظ . ولعلها زينة أخت مالك بن رومى والدة الشريف جازان بن محمد . وانظر بعض خبرها فى بلوغ القرى لوحة ١٣٨ظ . أو لعلها قبيلة من القبائل . لكن لم يتيسر الوقوف عليها فيما تيسر من المراجع .

عليهم من العربان ــ وكانوا كثيراً ــ فخرجوا بأجمعهم وقت الظهر إلى الخنادق التى بالمسفلة عند درب اليمن ، وجلسوا هناك ، وباتوا عندها فى الليل ، فلما أصبحوا جاءوا حتى بزُمْلِهِم[1] [خلفهم][2] وأوقفوهم قرب بركة الماجِن[3] ، وتقدّموا ، فلما قاربوا الخندق صاح الناس عليهم من كل جانب ، وترَامَوْا بالنُّشَّاب والحَصَى والبُنْدُق ، فلم يجدوا مجالاً ، ولم يخرج لهم واحد إلا المحتسب أبا يزيد وقَانْصُوَه الفَاجِر أحد المقدمين على خيلهما ، والأمير بَكْتَمُر باش على قدميه ، وكذا أخوه الظاهر قانصوه وغيرهما ، ورَدَّهم النَّاسُ بالنشاب والحصى ، وتقرَّب بعضهم ، فاقتلع بَكْتَمُر باش بقَنْطَارِيَّته[4] ثلاثةً أو أكثر ، قتل أحدهم ، وهو أحمد بن حرام من بنى خالد ، خِصِّيص الشريف جَازَان ، فأخذ دِرْعَه وخُوذَتَه ولبسهما ، وركب فرسه وهى من مراكب السيد بركات ، أُخِذَت بينبع ــ فيما يقال ــ وهرَبَ اثنان ممن اقتلعهم فسلما ، وأُخِذَت فرساهما ، وقُتِلَ زُبَيْدَىّ خيَّال

---

(١) الزمل : الرفقة والعيال والأحمال (المعجم الوسيط) .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٣٢ظ .

(٣) بركة الماجن : كانت تسمى بركة باب الماجن لوقوعها عند باب مكة المعرف بباب الماجن بأسفل مكة ، لا تزال موجودة ومعروفة ، ويسقى منها بعض أحواض الزراعة الصغيرة الموجودة بالمسفلة ، وينتفع بها بعض أصحاب مصانع الطوب (شفاء الغرام ١ : ٢٤٠ والهامش) . ومكانها الآن حدائق ومنتزهات (المحقق) .

(٤) القنطارية : نوع من الرماح مدهون مذهب كان يستعمله الصليبيون (الملابس المملوكية ٦٧، ٨٣ . والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٢٧٧) .

معزَّى ، ثم غَرَّرَ المحتسبُ أبو يزيد بِنَفْسِهِ لأجل إغْرَارِ الوالى بمكة له ، واسمه دُغَيْم قال له : عَلَيْهِم ، وبَقِىَ معه إلى أن أبْعَدَهُ عن الناس ، فضَرَبَ رجلَ فَرَسِهِ ، وقال لجماعة الشريف جازان : دُونَكُمْ . فقُتِلَ وأُخِذَ دِرْعُه وخُوذَتُه ، وهرَبَ دُغَيْم إلى الشريف جازان ، ولم يُقْتَل غيرُه ، وغيرُ شريفٍ مصرى صَيْقَلِىٍّ[١] من عسكر أهل مكة . وأما جماعة السيد جازان فقُتِل الاثنان المتقدمان ومُبَارَك الثمانى ابن عم جَرْشَان الإبراهيمان الحليفان . والجراحات فى كل من الفريقين ، ولكنها في عسكر الشريف جازان أكثر ، ويقال إن فيهم وفى خيلهم من قُتِل أيضاً ، وتشوَّش التركُ الذين ما أُذِن لهم السيد بركات فى خروج العسكر لهم[٢] ، ولما طال الحالُ جاء مُلْحم وأشار على أصحابه بالرجوع ؛ فرجعوا وقت الضحى العالى إلى الزاهر الكبير عند الجُوخِىّ[٣] ، ورَوَوْا واستراحوا ، ثم رحلوا إلى بئر شُمَيْس ، ونزلوا عندها ، وامتدوا إلى شاقة القصر[٤] ، ووعدهم

---

(١) صيقلى : أى صقال يجلو السيوف ويصقلها (المعجم الوسيط) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٣٣و « وتشوش الترك لكون الشريف لم يخرج هو وجماعته لهم » .

(٣) الجوخى : هو السبيل المعروف بسبيل الجوخى ، أمر بعمارته المقتدر العباسى ووالدته ، والآبار التى وراءه ، وتصدقا بها ، وكان ذلك فى سنة ٣٨٢هـ (شفاء الغرام ١:٣٣٩) .

(٤) شاقة القصر : لعل المراد قصر بن عامر ، ويقول ياقوت فى معجم البلدان ٩٧:٧ : من نواحى مكة . ويقول البلادى فى معالم مكة : الشواهد تدل على أنه من=

مُلْحم أنه يُحَصِّل لهم نفقة شهر ، ويعودون [بعد ثلاثة أيام][(١)] إلى الزاهر ، وتوجّه لجُدَّة لذلك ، وأرسلوا مُسْتَفْزِعاً لينبع الشريف هجّان بن هُوَيْمِل الإبراهيمى ، فجاءهم فى عسكر كثير ، وغار عسكرهم على الأودية فنهبوها ، وصرموا دُقْستَهم[(٢)] ، وعاد منهم إلى السيد بركات الشريف بساط بن عَنْقَاء . وبعض العبيد والرُّمَاة .

ولما انهزم السيد جازان وعسكره عادَ السيد بركات إلى بيته قُرْبَ العصر فى ركبة هائلة ، بعد أن وصل إلى الشُّبَيْكَة ، وأرسل بعض العسكر إلى المعلاة ثم عادوا له ، واستمرّ كلّ ليلة يبيت هو والباش والتركُ والقوّاسة وغيرهم بالشبيكة أو المسفلة ، والعَسَسُ عَمَّال ، وأصلح باب الشبيكة وسوَّره ، بل عُمِلَ له باب أُخِذَ من

=الجحفة ، وهى بعيدة عن مكة . والشاقة هى مسيل الماء . وانظر فيها معجم معالم الحجاز .

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٣٣و .

(٢) الدقسة : بالضم : حب كالجاورس ، والجاورس : حب معروف يؤكل مثل الدهن ، واللفظ معرب كادرس . وهو ثلاثة أصناف أجودها الأصفر (تاج العروس ج ر س ، د ق س) .

وأضاف بلوغ القرى لوحة ١٣٣و « وأغار جمع من الخيل والرجالة على أبى عروة والروضة ، ونهبوا جميع ما فيها من حب وثياب وعبيد وإماء وسلاح ، وحملوا ذلك على جمال جاءوا بها معهم ، وذهب بعضهم إلى الخيف ولم يكن بها إلا السقاة ففروا ؛ فأخذوا ما فيها من حب ، وأرادوا الخروج من البلاد فكر عليهم السقاة فهربوا وقتل منهم ثلاثة أو أربعة ، وأخذوا فرساً ، وعوروا جملين أو ثلاثة ، ثم عاد الآخرون عليهم فهربوا ، وقتل منهم واحد أو اثنان ، وصار المنافقون يرجفون فى البلاد المرة بعد الأخرى ، فأمر الشريف العسكر بالخروج إلى مكة ليظهر قوته للعدو . والله بالغ على أمره » .

مِنًى من بيت القاضى الشافعى ، وحُفِرَ خَنْدَقٌ بالمعلاة محاذٍ وسط البركة / المنسوبة للحاج المصرى ، ومن جنبها إلى الجبل ، وعُمِلَ من ٢٣٤ظ جهة شِعْب عامر رَضْمُ حجارة ، وحَفَرُوا فى الأرض حُفَراً أمام هذا الرَّضْم حتى لا تصل الخيل إليه ، وصار عُرْبَانُ مكة يُغِيرُون فى كثير من الليالى على إبل الشريف جازان وجماعته ، ويأتون بشنتين أو ثلاث ، وقالوا : لو أردنا القتل فيهم قتلنا ، وأخذوا بعض الخيل ، وجاءوا بهم وباعوهم[١] . وفى يوم العيد جاءوا بفرس وقالوا : إنهم عقروا اثنتين[٢] .

وفى هذا اليوم بعد صلاة العيد وقبل الخطبة حصلَ رجفةٌ بالمسجد الحرام ؛ ذكروا أن العسكر وصل لمكة ، فأُلْبِسَ السيد بركات بالمسجد ورَكِبَ هو والأمراء والتركُ والعسكرُ ، وكان بعضُ الخيلِ ملبسةً بتَجَافِيفِهَا على باب المسجد ، وخرجوا ومعهم القوَّاسة والعَرَبُ ، وأهلُ البلد إلى ظاهر البلد فلم يروا إلا خيراً فعادوا[٣] .

وفى نصف شوال وصل الخبرُ بمكة أن نائب السيد بركات بالقُنْفُذَة[٤] القائد موسى بن بَرَكُوت وصلَ لجُدَّة فى ثلاث جِلَاب

(١) « جاءوا بهم وباعوهم » كذا بإعادة ضمير المذكر السالم على الخيل ، على خلاف القاعدة النحوية .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٣٣و .

(٣) المرجع السابق .

(٤) القنفذة : مدينة صغيرة وميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقى ، على قرابة =

فيها مقاتلة وقَوَّاسة ومَدَافِع وغيرها ، ومعه جِلَاب كثيرة ، فلقى بقُرْب جُدَّة جِلاباً[(١)] فيها مَهْرَة[(٢)] قاتلهم قَبْل أن يتعارفوا ، ثم تعارفوا فأمسكوا ، ودخلوا معه جُدَّة ، وأخذوا ما بها من جِلَاب وزَعَائِم وسَنَابِق ، وفى بعضها حبٌّ [(٣)]وقماشٌ ونَقْدٌ وغير ذلك[(٣)] ، فتوجَّه لها مَرْكَبٌ مِنَ المَهَرَة وجاءوا بالجَلْبَة ومَن فيها ؛ فمسكهم ابن بَرَكُوت ، ويقال إنه وجد فيها نَقْداً ومالاً كثيراً ، ووجد فى بعض الجِلَاب التى فيها المَهْرَة جماعةً يشترون الحبَّ للشريف جَازَان وجماعته ، هم : محمد بن فُطَيْس ، وأبو بكر بن حُوَيْط ، فمسكهما ـــ أظن ـــ وغيرهما ، وأخذ الحَبَّ الذى اشتروه ؛ وما معهم ، وهو بضائع سُرِقَت من سوق التجار ليشتروا بها . وكان بجدة مُلْحَمٌ وغيره ، ففزعوا إلى حيث الساحل فرمى كل منهم على[(٤)] صاحبه

= ٣٤٣ كيلاً جنوب مكة ، بها مرافق عامة وهى تابعة لإمارة مكة ، وقد برزت هذه المدينة على حساب مدينة حلى التى أخذت فى الاضمحلال (بين مكة واليمن ١١٢ ـــ ١١٨) .

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٣٣و « مركب حب » .

(٢) المهرة : قبيلة تنسب لمهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، تنسب إليهم الإبل المهرية ، وباليمن لهم مخلاف بينه وبين عمان شهر ، وكذلك بينه وبين حضرموت (معجم البلدان) وفى جزيرة سقطرى من جميع قبائل مهرة ، بها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى (معجم البلدان ٥:٩٣) .

(٣) وعبارة بلوغ القرى لوحة ١٣٣و « وجلاب متروكة ، وجلبة كانت مسافرة للشام بالقلزمية فيها بعض بنى إبراهيم ، ومعهم حب وقماش ونقد وغير ذلك » .

(٤) فى الأصل « عن » والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٣٣ظ .

بالنشاب والمدافع ، فتعَوَّرَ بعض أهل جدة ، بل وقيل إن بعضهم قُتِل ؛ فأبعدوا . وما أمكن الذين فى الجلاب أن ينزلوا خوفاً من أن تأتيهم خيلُ السيد جازان وعسكره فتأخَّرُوا .

وكان السيد قَايِتْبَاى أخو السيد بركات توجّه لجهة اليمن لاستفزاع العُرْبَان ، فوصل منه كتاب أنه مَسَكَ الشريفَ محمد بن على بن حسن ، وأرسله للجزيرة ؛ فإنه أفْسَدَ عليه كثيراً ، ومَسَكَ اثنين من جماعة ابن حرام أخاه وغيره وقتلهما[١] .

ووصل للسيد جازان عسكر كثيرٌ من يَنْبُع ، ثم فى يوم الجمعة ثالث عشرى شَوَّال وصلوا إلى الزاهر وأمْسَوْا بِهِ . فلما كانَ صُبْح يوم السبت رابع عشرى الشهر دخل السيد جازَان وعسكرُه من الزاهر . وجاءوا من المعلاة من الخَرْمَانِيَّة[٢] فطلع غالبُ خيلهم الجبلَ المنسوب لعبد الله بن عمر[٣] — رضى الله عنهما — ولم يكن

(١) المرجع السابق .

(٢) الخرمانية : هى حائط خرمان ، وهو من ثنية أذاخر إلى بيوت جعفر العلقمى وبيوت أبى الرزام وماجله قائم إلى اليوم ، وكان فيه النخيل والزرع حديثاً من الدهر ، وكانت له عين ومشرع يرده الناس (أخبار مكة للأزرقى ٢ :٢٢٩) وقد أصبح اليوم ميداناً واسعاً بين مصب شعب أذاخر الجنوبى والشعبة — شعبة النور — وهو اليوم موقف السيارات إلى الطائف ، ومبيع الإبل والبقر ، يشرف عليه من الشرق صفى السباب ، وقد نقل موقف السيارات إلى العدل . وأقيم فى الخرمانية بناء ضخم لأمانة العاصمو المقدسة (معجم معالم الحجاز) .

(٣) وهذا الجبل هو الذى عند باب المعلاة على يسار الهابط إلى مكة ويمين =

ذلك فى حساب أهل مكة ؛ فإن الرَّجْل كان به قليلاً ، وغالب الرَّجْل كان فى جبل الحجون مقابله . فأقبل عليهم الرجْلُ بالرَّجْمِ فرَدُّوا المقابلين لهم ، وطرحوا واحداً من خيَّالتهم وأخذوا فرسه ، واسمه عُنَيْتر الزُّبَيْدى ، ثم جاء جملة من الخيالة من أعلاهم ، فبقوا تحتهم ، فصاروا يتراجعون إلى أن نزلوا من شعب عامر والخيل وراءهم ، ولم يصل / أحد من الطريق الجادة فيقابله الذين عند الخندق ، إلا ٢٣٥و قليلاً جاءوا أمام زملهم بلحف الجبل من خلف بركة الشامى ، فقاتلهم بعض المشاة فقتلوه . ثم جاء جميع الخيالة ، وهم الشُّرَفاء ذوو أبى نمىّ وغيرهم الذين بشِعْب عامر إلى السيد بركات والتركُ ، فلما رأوا الخيل والعسكر انهزموا عنهم ؛ فما وَسِعُهم إلَّا رجوعهم لمكة ، فوجدوا الخيلَ خارجة من شِعْب عامر ، فواقفهم السيد بركات فولّوا راجعين عنه ، واستمر هو والتركُ إلى الخندق الثانى ، ووقفوا هناك ، فجاءوا أيضاً من خلفهم من سوق الليل من المجزرة إلى

= الصاعد منها ، ويزعم الناس أن فيه قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب — رضى الله عنهما — وليس لذلك حقيقة ولا دليل على صحته ، فالمشهور أن عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليا التى عند ثنية أذاخر بحائط خرمان فى سنة أربع وسبعين من الهجرة ، وقد أتت له أربع وثمانون سنة ، وكان بمكة نازلاً على عبد الله بن خالد بن أسيد فى داره — وكان صديقاً له — فلمل حضرته الوفاة أوصاه ألا يصلى عليه الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان بمكة ، والياً عليها بعد مقتل عبد الله بن الزبير — رضى الله عنهما — فصلى عليه عبد الله بن خالد ليلاً ، على ردم عبد الله على باب داره ، ودفنه فى مقبرته . وانظر شفاء الغرام ١:٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ .

المُدَّعَى ، فقاتلهم الشريف والتركُ ، وقتلوا منهم جماعة ، فهربوا من وجههم ، واستمر هو والترك إلى أسفل مكة والطلبُ خلفهم — يقال — إلى أن وصلوا إلى الثَّنِيَّة التى عند قوز المكاسة التى يتوصلون منها إلى المَمْدَرَة(١) ، وعادوا عنهم . واستمر السيد بركات ومن معه من الترك ؛ بل ومَن سبقه أو لحقه من الشرفاء والخيالة والرجالة إلى جهة اليمن ، إلى أن استقرَّ عند عَرَب بنى سليم ، وتلاحق بهم خلق كثير من المشاة ذوى حسن ، وأهل مكة والعبيد والصغار ، ووصل إليهم أيضاً العسكرُ الذى كان باليمن(٢) .

ودخل السيد جازان وعسكَرُه مكة ؛ فأقبلوا على قَتْلِ الرجال والنساء والصبيان ، ونَهْبِ البيوت ، وسَبْى العبيد والإماء ، بل وكثير من أمهات الأولاد ، وأولاد الناس ، وتوجَّهُوا بكثير من النَّهْبِ فى الحال على الجمال لينبع ، ولفريق زُبَيْد — وهو ببئر شميس — ولجُدَّة ، وباعوا الكثير بمكة بأرخص الأثمان(٣) ، واستفكَّ حَقَّهُ مَنْ

(١) الممدرة : بذى طوى : عند بئر بكار ، ينقل منها الطين الذى يبنى به أهل مكة ، إذا جاء المطر استنقع الماء فيها (أخبار مكة للأزرقى ٢:٢٩٨) .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٣٣ظ .

(٣) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٣٣ظ « وبيع النحاس والصينى بما لا يذكر ، واشترى من لا يخاف الله ذلك ، بحيث قالوا : عاد كل شيء وما راح شيء ، وغالب المباع لم يظهر — بل كله — إلا اليسير ، واستفك من له قدرة بعض قماشهم وحوائجهم بما هو أحسن من الشراء ، ونُهِبْنَا فى جملة من نهب ، وأخذ لنا عبد وجارية ، وتعبنا فى تخليصهما ؛ لقلة الدرهم ، ولقينا بعض الحوائج بأبخس الأثمان فعجزنا عن شرائها لعدم

قَدَرَ على ذلك ، وخفر بعض البيوت على مال[١] .

وقُتِلَ من جماعة السيد جازان جماعةٌ لم يُعرف منهم إلا أبو ورش وشهيان[٢] .

وأما جماعة أهل مكة فقُتِلَ من الشرفاء والترك والعسكر والمكيين خلق لا يحصون ، وغالبهم مُخْتَف أو مُدْبِر . فمن الشرفاء ثلاثة وهم : شوفان من الحجران ، ومِجْوَل بن صخرة من العُطّف ، ومبارك بن مَيْلَب من ذوى قاسم[٣] . ومن الترك أربعة عشر واحداً ، منهم : برقوق ، ومبارك شاه مملوك تنبك الجمالى ، ومن بقية الناس جماعة كثيرون . وقد جَمَعْتُ على حروف المعجم من عَرَفْتُ اسمه ، وهم نحو الستين ، وذكرتهم فى تاريخى المسمى « بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى فى أخبار أم القرى »[٤] لوالدى . فمن المشهورين :

القدرة ، بل عجزنا عن النفقة ، وأراد الله لبعض الناس خيراً بأن سلمت بيوتهم على مال جعل لمن خفرهم » .

(١) بلوغ القرى لوحة ١٣٣ظ ، ١٣٤و .

(٢) وفى بلوغ القرى لوحة ١٣٤و « وقتل من جماعة جازان أناس قليل ، يقال منهم اثنا عشر شريفاً ، ونحو خمسين من غيرهم ، منهم : أبو ورش ، وشبهان ، وأخذ لهم نحو ثمانية عشر فرساً » .

(٣) وفى بلوغ القرى لوحة ١٣٤و « مبارك بن شوفان من العطف ، ومجول بن صخرة من العطف أيضاً ، وثالث من الحجران » .

(٤) بلوغ القرى لوحة ١٣٤و .

إبراهيم بن طاهر ، وإبراهيم بن محببة[١] الحناط ، و [٢]أحمد بن عيسى بن هلال النوبى[٢] ، وبدر مصرى البركاتى ، وحسن العليانى ، وحسن السمان بالسويقة ، وحسن أبو الشكاوى المنادى ، وسلطان شاه العجمى البزار بخان ابن عجل ، والد محمد ، والخواجا عبد القادر بن فريوان[٣] ، وعبد له [حبشى][٤] ــ حرقا مع جماعة فى بيت فيه حشيش ــ وعبد الكريم المطيبيز ، وعجلان السمان بالشبيكة ، وعقاب[٥] العجلانى الخراز / ومبارك بن جُدَيْجِدْ ــ جُرِحَ ثم مات ٢٣٥ظ
ببيته ــ ومحمد بن أحمد بن سعد الهندى ــ قطعت يده وجرح ، ثم مات ببيته ــ والمبارك محمد كمال الدين الحريرى الشامى ، ومحمد ابن عبد السلام العجمى ، وأخوه ــ وهما ممن حُرِّقا ــ ومحمد بن بدر الخراز ــ عم شومان ــ ومحمد القريفى[٦] شيخ الخرازين ، ومحمد بن حمراء المغربى[٧] ــ قطعت يده وجرح ثم مات ببيته ــ .

(١) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « ابن محبة » .

(٢) فى المرجع السابق « أحمد بن عيسى الحسينى » .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « فريوات » .

(٤) إضافة عن المرجع السابق .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٣٤و « عطاب العجلانى الجزار » .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « محمد القرايعى شيخ الجزارين » .

(٧) وفى المرجع السابق « يوسف بن محمد بن يوسف الشهير بأبى حمراء المغربى الجبولى ، من وطن طرابلس نزيل مكة ، جرح جراحات مختلفة بقى بها إلى أن مات » .

وفى ثانى عشر ذى القعدة جاء قاصدان[١] للسيد جازان من ١
يَنْبُع يذكران له أن التجريدة واصلة ؛ فاهتم لذلك ، ثم تتابع القصاد عليه ؛ ففارق مكة هو وعسكره وتوجَّهوا إلى جهة يَنْبُع فى يوم الخميس رابع عشر الشهر[٢] .

(١) فى الأصل « قاصد » والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٣٤ظ .

(٢) وفى المرجع السابق « وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر الشهر جاء قاصدان من الحجاج وأخبروهم بأنهم فارقوا الحاج من نخل ، وبما تحققوه منه ولم يظهر . ويقال جاءه ورقة من يحيى ، وأن القاصدين منه ، وأن الأمير الكبير قيت الرجبى فى ستمائة مملوك ، وأمير المحمل فى أربعمائة ، وأمير الأول فى مائتين أو ثلاثمائة ، وأن البلاد ـــ مكة ـــ لجازان ، وينبع ليحيى بن سبع ، ويقال إن يحيى أرسل يقول لهم : تعالوا إلى ينبع ليُلاق الحاج أو يقاتلهم . فقالوا : إنه عَامَل علينا الحاج ، ولا يفعل ويغيب عن الأمراء حتى نسمع ما يتفق . وجلسوا ينتظرون قاصداً لهم أرسلوه من مدة إلى ينبع على طَبَق الصباح [الفرس] الذى كان لبركات وكُسِبَ يوم الكسرة ، ويقال غير ذلك ـــ والله يقدر للمسلمين ما فيه الخير ـــ ثم جاءهم مرحل أو مرحلان ، ثم دقوا النقارة ، وزعموا أن البلاد لهم ، ويحيى بن سبع له ينبع ولم يصح شىء . ثم جاءهم مرحلان أيضاً بعد العصر يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر [ذى القعدة] فكدر عليهم ذلك ، وخرجوا فى تعاطى السفر ، فجمعوا حوائجهم من الدلالين وأصحاب الصنائع ، وأخذوها وإن لم تكمل ، وباعوا شيئاً كثيراً ثانى تاريخه ، وأخذوا جمال القافلة من جدة ، وجمال البطيخ ، وحمير أهل الوادى ، ورحلوا ثانى يوم بأجمعهم كالحجيج من كثرتهم وكثرة جمالهم وتعلقهم ، وقصدوا جهة الشام ، ومعهم ابن القاصد جلال فإنهما يظهران للشريف جازان الصحبة ، وأنهما يخبران أمير الحاج بما فيه تسيّد جازان ، وأنه ما يصلح للبلاد إلا هو . قالوا بجبل صُبْح ، ونزلوا بالجموم ، وجلسوا بها يوم الجمعة إلى الظهر أو بعده ، وتوجهوا إلى طرف البرقاء ، وجلسوا به ، فعجنوا وأوقدوا نيرانهم ، فجاءهم وقت العشاء مرحل بأوراق فقرءوها ؛ فاضطربوا وأمروا بالرحيل ، ولم يطعموا شيئاً ، ولا يجلسن منهم [إلا] بعض العبيد وغيرهم ، بل ويقال وبعض النساء ، وحمر أهل الوادى ؛ لعجزها . وكثر =

ولما كان يوم السبت ثالث عشرى الشهر وصل السيد بركات لمكة ومعه الأمير قَانْصُوَه الفاجر وغيره من الترك ، ودُقَّت النَّقَّارة وتَتَابع العسكر ومن كان عندهم من أهل مكة وغيرهم ، وسُرَّ الناس بقدوم السيد بركات ، وهرعوا للسلام عليه ، وأنشد الشيخ العلامة المدرس نور الدين على بن ناصر المكى الواعظ الشافعى(١) قصيدةً فى السيد بركات يهنئه بقدومه . مطلعها :

قَدْ أَقْلَعَت ـــ فَاَصْفَحُوا عَنْ ظُلْمِهَا ـــ الغِيَرُ
وقَـدْ أَتَتْكُـــم صُرُوفُ الدَّهْـــرِ تَعْتَـــذِرُ
مِن مَاجَرَيَّاتٍ جَرَى حُكْـمُ الـقَضَاء بِهَـا
مَنْ ذَا يُدَافِــعُ مَا يَأْتِــى بِهِ القَــــدَرُ

= بمكة القال والقيل ، ولم يتحقق شيء ، وتخلف عن جازان واحد من قواسته فمسكه الترك وأشبعوه ضرباً وغيره ، ونهبوا بيته ، وأرادوا قتله فخلصه منهم القاصد جَلَال ، وكان صارت له حركة فى أيام جازان هذه الأخيرة ، وتكلّم فى الحسبة وغيرها .

وفى ليلة الجمعة ثانى عشرى الشهر وصل مشهون بن عجل الثموى لمكة ، واجتمع فى صباحها بالقاصد جلال ، ولم يخطب الخطيب على المنبر لأحد من الشريفين . وسافر من يومه إلى الشرق ليأتى بالعرب والخيل لأجل العرضة ، ثم فى ليلة السبت ثانيه وصل أخو عرار بن عجل ومعه الأمير بكتمر وغيره ، وقصدوا بيت الشيخ إبراهيم بن مطير ، وأخذوا منه قماش ملحم ، ويقال إنهم نهبوا بيته بعد ذلك » .

(١) على بن ناصر المكى الواعظ الشافعى ، نور الدين ، من علماء الشافعية من أهل مكة ، من مؤلفاته مختصر المنهاج وشرحه ، وألف فى الحديث والتفسير والأصول . مات فى ذى القعدة سنة ٩١٥هـ (شذرات الذهب ٨: ٧١ ، ٧٢ ، والكواكب السائرة ١: ٢٧٨ ، والأعلام للزركلى) .

كَانت عَلَى الكُرْهِ مِنْهُ هَفْوَة فَهَبُوا
بِفَضْلِ إحْسَانِكُمْ مَا مِنْهُ يُعْتَذَرُ
وَٱسْتَعْمِلُوا عَادَةَ الصَّفْحِ التى شَهِدَ ٱلْـ
ـبَادُونَ فِيهَا لَكُمْ بِٱلْعَفْوِ وَٱلْـحَضَرُ

منها :

وَكُلّ مَا سَلَبَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ
يَا دَهْرُ فِي جَنْبِ مَا أَبْقَيْتَ مُغْتَفَرُ
أَبْقَيْتَ رَأسَ العُلَى يَا دَهْرُ سَالِمَةً
تُرْدِى بها كُلَّ مَنْ لِلْشَّرِّ يَنْتَظِرُ
يَا سَادَةَ تُشْرِقُ الدنيا بِبَهْجَتِهِمْ
كَأَنَّهُم فِي الدَّيَاجِى أَنْجُمٌ زُهُرُ
قَدْ جَاءَكُم ظَفَرٌ عَمَّتْ مَسَرَّتُهُ
فَٱسْتَقْبِلُوهُ وعُقْبَى الصَّابِرِ الظَّفَرُ
وَجَاءَ نصرٌ بِفَتْحِ اللهِ مُبْتَدِراً
لِأَهْلِ مَكَّةَ لَمَّا ذَلَّت الحُمُرُ
وَأَعْلَنَتْ بالتَّهَانِى مِنْ مَسَرَّتِهَا
وَٱسْتَبْشَرَ الحِجْرُ وَالأَرْكَانُ والحَجَرُ
وَرَدَّ رَبُّكُمُ كَيْدَ البُغَاةِ عَلَى
نُحُورِهِمْ وَأَتَاهُمْ كُلّ مما حَذِرُوا
وَلَّتْ سَحَائِبُ ذَاكَ الشَّرِّ مُقْلِعَةً
عَنَّا وَعَادَ رَمَاداً ذلك الشَّرَرُ

وَفَــرَّجَ اللهُ عَنْ جِيـــرَانِ كَعْبَتِـــهِ
كُلَّ الهُمُـومِ وَجَـاءَ الـخِصْبُ والمَطَــرُ
وَالعَـدْلُ والأَمْنُ والأسْعَـــارُ قد رخصت
وزَالَ عَنْهُـــمْ مِنَ الأَكْـــــدَارِ مَا قَدِرُوا
وَسُرَّت الأنـفسُ الثَّكْلَـــى بِمَقْــدِمِ مَنْ
لَوْلاَهُ مَا كَانَ ذَاكَ الشَّرُّ يَنْحَــــــدِرُ
بَرَكَـاتُ سَيِّـدُ أَشْرَافِ الحِجَـازِ وَمَـــنْ
يَغْـــدُو بِرَبِّ العُلَـــى يَعْلُـــو وَيَنْـــتَصِرُ
بِحُسْنِ [رأي][1] أَبِي عَجْلاَنَ صَارَ لَنَا
مِنْ كُلِّ طَارِقِ هَمٍّ فَادِحٍ وَزَرُ /
وكـــلّ ماضٍ بجدْوَى كفِّـــهِ خَلَــفٌ ٢٣٦و
وكُـــــلّ كَسْرٍ بما أوْلاَهُ يَنْـــــــجَبِرُ
تَخَافُــهُ الأُسْدُ إجْــلاَلاً وتَــــحْسُدُهُ
لِبِشْرِهِ وَنَــــدَاهُ الشَّمْسُ والقَمَــــرُ
قَرْمٌ تُهَاجِــرُ آمــالُ العُفَــاةُ إِلَـــى
أَبْوَابِــهِ فَعَلَيْهَـــا مِنْهُــــمُ زُمَــــرُ
يَكَـادُ مِنْ وَجْهِـهِ مَاءُ الحَيَــاةِ وَمِـــنْ
بَنَانِـهِ السَّبْــطِ مَاءُ الجُــودِ يُعْــتَصَرُ

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة . والمثبت يستقيم به الوزن والمعنى .

شِوَاظُ نَارٍ عَلَــى الأعــداءِ مُضْطَــرِمٌ
وَصَوْبُ فَضْلٍ عَلَى الأَحْبَابِ مُنْهَمِــرُ
يَا مَالِكَ المَجْــدِ يَا مَنْ لَا شَبِيــهَ لَهُ
وَلَــيْسَ فِي فَضْلِــهِ طَعْــنٌ وَلَا نَزرُ
إنَّ الإِمَــارَةَ لَمَّــا غَابَ ضَيْغَمُهَــا
عَنْهَــا وَفَــارَقَ تِلْكَ الهالَــةَ القَمَــرُ
وإنَّ مَكَّــةَ لَمَّــا غَابَ مَالِكُهَــا
وَمَــنْ غَدَا حُبُّــهُ فِي النَّــاسِ مُشْتَهِــرُ
لَمْ تَرْضَ فِي الأَرْضِ مَخْلُوقاً يَكُــونُ لَهَا
كُفْــواً تَدِيــنُ لَهُ طَوْعــاً وَتَأْتَمِــرُ
وَأَقْسَمَتْ لَا رَأَى خَطبــاً لها نَظَــرٌ
حَتَّى يَكُــونَ لَهَــا فِي أَمْرِهَــا نَظَــرُ
رُدُّوا عَلَيْهَــا أمانِيَهَــا بِعَوْدَتِكُــمْ
فَمَا لَهَــا فِي سِوَى تَدْبِيرِكُــمْ وَطَــرُ
وَقَــدْ تَطَــاوَلَ أَقْــوَامٌ لِمَنْصِبِهَــا
جَهْلاً وَفِي بُوعِهِــمْ عَنْ نَقْلِهَــا قِصَرُ
لَيْسُوا بأهــلٍ لها لَكِــنْ جرَى قَدَرٌ
ظَنُّوا بِهِ أَنَّهُــمْ أَهْــلٌ وَمَــا شَعَــرُوا
فَقُــلْ لَهُــمْ نَكِّبُوا عن طُرْقِهَــا فمتَــى
لُزَّتْ معَ الجُّــودِ فِى مِضْمَارِهَا الحُمُــرُ

تَزَحْزَحُوا عَنْ مَقَامِ المجْدِ وَٱعْتَزِلُوا
مَرَابِضَ الأُسْدِ لَا تَدْنُو لَهَا البَقَرُ
فَلِلسَّعَادَةِ قَوْمٌ يُعْرَفُونَ بِهَا
وَلِلسِّيَادَةِ أقْوامٌ لَهَا حُضَرُ
لَا يُعْرَفُ السَّبْقُ إِلَّا فِى الجِيَادِ وَلَا
يُفْرِى الضَّرِيبَةَ إِلَّا الصَّارِمُ الذَّكَرُ

ومنها :

تَهَنَّ يَا سَيِّدَ الأَشْرَافِ زِينَتَهُمْ
وِلَايَةً لَيْسَ تَدْنُو نَحْوَهَا الغِيَرُ
وَيَا سُلَالَةَ خَيْرِ الخَلْقِ سَيِّدِنَا
محمدِ المُصْطَفَى يَا مَنْ لَهُ الخَفَرُ
يَا مَنْ تَطِيبُ لَنَا الدُّنيا بِدَوْلَتِهِ
وَنَحْنُ نُحْسِنُ فِى أَيَّامِهِ العُمُرُ
هَذَا قُدُومٌ جَرَى بِالسَّعْدِ طَالِعُهُ
وَشَابَهَ الوِرْدَ فى إِسْعَادِهِ الصَّدَرُ
لَا زَالَ رَبْعُكَ مَعْمُوراً وَمَا بَرِحَتْ
تُهْدِى الهَنَاءَ له الرَّوْحَاءُ والبُكَرُ
يَجْرِى القَضَاءُ بِمَا تَهْوَى وَيَصْحَبُكَ آلْـ
إِقْبَالُ فِى كُلِّ مَا تَأْتِى وَمَا تَذَرُ
مُمَتَّعاً بِذَوِيكَ الغُرِّ تُشْرِقُ فِى
سَمَاءِ مَجْدِكَ مِنْهُمْ أَنْجُمٌ زُهُرُ

حَتَّـــى تَرَى فِى عَلِـــىٍّ كلَّ مَكْرُمَـــةٍ
من العُلَـــى مَا رَأَتْ فى هَاشِمٍ مُضَرُ /

٢٣٦ظ وفى ثانى ذى الحجـة وصل السيـد بركات ورقتـــان من الأمير الكبير قِيت الرَّجَبِى كبير التجريدة ، ومن الشريـف هَجَّـان بن دَرَّاج وقد وُلِّـى يَنْبُـعَ من السلطـان ولـبس [الخلعـة][(١)] فأرسل الشريـفُ للقضاةِ والخطيـبِ والفقهـاءِ[(٢)] ، وقُـرىء عليهم ورقـةُ الأمير الكـبير ، ومضمـونها : أنـا نحن وصلنـا ومعنـا عسكـر كثير ، ورُسُلُ يحيـى بن سبـع من حين خرجنـا تصل إلينـا ، وهـو يقـول : إنـــه طائـــع لله والسلطنـة . ثم جاءنـا ولـدُه فى الحوراء ، وسمعنـا أنـه جمع عسكـــراً كثيراً ، فعرفنا أن هذا شطنه ، وأنك تستعدّ وتجمع العساكـر ، ونحن إذا خرجنـا من ينبـع أرسلنـا لك قاصداً من بدر أو رابـــغ إن كانت الطريـق طَيِّبـة ، ويُطَيِّبُ خاطـر الشريـف كثيراً . وكل ذلك مكـــر وخديعة ؛ فإنه تبيَّن أنـه جُعِـلَ للأميريـن مالٌ له صورة ليُوَلَّـى السيـد جازان ، ويُقْبَضَ على السيـد بركات . وتشوَّش السيـد بركات من هذا الكتاب ، وشاور الحاضرين فى الملاقاة وعدمها ؛ فاتفقوا على الملاقـاة ـــ والله يفعل ما يشاء ـــ .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٣٥و « والتجار » .

ووصل بعض الأتــراك الحجــاج إلى مكــة[١] ، واجتمــع بالشريف وطيَّبَ خاطره ــ مكراً وخديعة أيضاً ــ فأضافه الشريف بالطعام والحلوى ، وأرسل إخوانه والشريف عنقـاء بملاقـاةٍ[٢] للأمير ، فيها الحلوى والموز والبطيخ ، وهو شيء كثير ، يقال إنهم صاروا كلما لاقوا تُرْكاً أجلسوهم وأطعموهم .

ثم توجّه الشريف لملاقاته إلى الوادى ، ولاقاهُ ملاقاة حسنـة ، ومدّ له الأمير غداء .

وفى ليلـة الأربعـاء خامس الشهـر وصل الأميران إلى الزاهـر ، وأما الأمير الكبير فلم يطف [ولم يسع][٣] إلا ثانى ليلة مُخْتفياً .

وفى صبيحتها خرج السيد بركات لملاقاة الأميرين : أمير الأول أنس باى ، وأمير المحمـل أمير كبير قِيتْ الرَّجَبِىّ مقـدم العساكـر ، فألبس الشريفَ خلعته على العادة ، وألبس الشريفَ قَايِتْبَـاى الخلعـة الثانية بإشارة أخيه[٤] ، وألـبس إخوانـه الآخريـن كلَّ واحـد صوفـاً ،

(١) وكان وصولهم إلى مكة فى يوم الاثنين ثالث ذى الحجة (بلـوغ القـرى لوحـة ١٣٥ظ) .

(٢) يراد بالملاقاة هنا التقدمة أو الهدية للضيافة .

(٣) إضافـة عن بلـوغ القـرى لوحـة ١٣٥ظ . وفيـه « ووصل أمير الأول أحـــد المقدمين أنس بيه ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر » .

(٤) وفى بلوغ القرى لوحة ١٣٥ظ « ويقال إن الأمير راجح تشوش لأنه ما كانت الخلعة الثانية له ؛ فأظهر التشويش » .

وألبس القاضيين الحنفى والمالكى والباش بَكْبِيه خلعة خلعة ، ودخلوا مكة فى أبّهة عظيمة ، وسُرّ الناس بذلك إلى أن دخلوا مكة . ووصلوا المدرسة الأشرفية(١) نووا الغدر بالشريف وجماعته ؛ فأُمِرَ الشريفُ بالدخول إلى المدرسة ، هو وجماعته الذين كانوا بالقُرْب منه ، قدخلوها ، وجاءوا بالشريف عَنْقَاء من بعيد على عَجَل إلى أن أُدْخِلَ المدرسة ، وأُمِرَ الشريفُ ومَن دخلَ معه مِن إخوانه بِخَلْع خلعهم ، فخلعوها ، وهم : قَايِتْبَاى ، وشرف الدين ، ورُمَيْثَة ، واستمرُّوا عندهم ومعهم مشهون بن عجل [النموى](٢) ابن أختهم خريمة ، وعَلِىّ بن رَيْحَان الحسنى ، ومسعود فتى فارس بن شامان . فانْقَلَبَ سرورُ المسلمين حُزْناً ، وتعجَّبَ الناسُ من هذا الصنيع ؛ لِكَوْنِ الطائع يُقْبَضُ عليه والعاصى لَا يُكَلَّم ــ فسبحان الفعَّال لما يريد ــ .

وكانت ساعة مَهُولَةً ؛ فارتاعَ المسلمون لذلك(٣) ، وتغيَّرت خواطرهم ، وضَجُّوا بالدعاء للسيد بركات أن يُفَرِّجَ اللهُ ضائقته وجماعته ، ويَرُدّ كَيْدَ المعتدين / عليهم ، ففعل ، ولله الحمد . ٢٣٧و

وبعد مَسْك هؤلاء فَتَّشُوا [عن](٤) البقية إخوانِ الشريف ؛

(١) أضاف المرجع السابق « القايتبايية » .
(٢) إضافة عن المرجع السابق .
(٣) وانظر هذه الحادثة بتوسع وتفصيل فى المرجع السابق .
(٤) إضافة يقتضيها السياق .

فلم يجدوهم ، فإن العسكر لما سمعوا بذلك فَرُّوا إلى جهة اليمن ، ومعهم الشريف على بن السيد بركات ، وبعضهم دخل المسجدَ وتركَ فرَسَه ، فأُخِذَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ الممسوكين ، وتوجّه التركُ لبيت السيد بركات فنهبوه ونهبوا بعض البيوت ، وأُطْلِقَ علىٌّ بن ريحان ، ومسعود ، ووضع الشرفاء بخلوة علوية برباط السلطان ، ثم أنزلوا بالمجمع السُّفْلِى لِكَوْنِهِ أوسع وأحسن . وأُرْسِلَ الشريف شرف الدين رُمَيْثَةُ إلى عند أمير الأول أنس(١) باى بالمدرسة الكَلَبَرْقِيَّة بباب الحنفى ، وأرْسَلَ الأميرُ الكبير ليحيى بن سبع يطلُبه ليجيئه هو وولدُه ، والشريف جازان ؛ ليتشاوروا فى ولاية مكة . فلم يجيئوا .

وحجّ الناسُ ، وحجّ الأشرافُ معهم الذين مع الأمير الكبير على الخيل ، والذين مع أمير الأوّل على شُقْدُفَيْن ، وجلسوا بمِنًى يوماً واحداً ، ونفروا أجمعون لمكة ، وسمعنا أنه ضُيِّق على الشريف عنقاء(٢) ، حتى أُخِذَ منه مالٌ وإبلٌ بنحو عشرة آلاف دينار ، بل وأُخِذَ من السيد بركات ــ فيما يقال ــ إبلٌ ومصاغٌ بنحو العشرين ألفاً .

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٣٥ظ « أنس بيه » وفى بدائع الزهور ٤: ٦٢ « أنص باى » .

(٢) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٣٦و « بحيث أفرد فى خلوة حتى قرر عليه عشرة آلاف دينار ، وجاء بمصاغ ، وأمر بالمنادى [ينادى] على بيوته ، بل وقالوا : إنهم يشترون إبله » .

وفى يوم الجمعة حادى عشر الشهر وصل لمكة الشريف محرم ابن هَزَّاع ، وبَطَّاح اليَنْبُعى وغيرهما ، وأَرْسَلَ الأميرُ الكبير للشريف جازَان أن يحضر ، فجاء إلى قُرْبِ الوادى ، وكتبَ الأمير صورةَ حَلِفٍ يَحْلِفُه الشريفُ جازان ، وأرسل به إلى الوادى مع القاضيين الحنفى والمالكى ، والأميرين الباش بكْبَاى وشاهين الجمالى ، فواجهوا الشريف جازان فى الوادى ليلة الجمعة ثامن عشرى الشهر وحلَّفُوه ، وألْبَسُوه الخلعة ، وجعلوا عليه ستين ألفاً ، منها للسلطان عشرة آلاف قيمة الفلفل وغيره الذى أخذ للسلطان ، ويأخذون حصته فى هذه السنة من العشور ، وما بقى يؤخذ من العشور ، فى كل سنة ثلث ما يتحصل له حتى يُكَمِّلَ الستين . وللأمير الكبير عشرة آلاف يُعْطَى ثلاثة والباقى فى كل سنة ثلاثة . ولأمير الأول ستة آلاف يُعْطى ألفان والباقى أربعة فى كل سنة ألفان . ثم عادوا من ليلتهم ، فوصلوا مكة آخرها(١) .

وفى يوم الثلاثاء تاسع المحرم سنة تسع وتسعمائة بَرَّزَ الأميران حمْلَهما إلى الجوخى بالزاهر الكبير ، ومعهم الشرفاء ، وهم بحالهم على خيلهم ، وسافروا بالسلامة إلى مصر ، ومعهم الشريفة أم الكامل ابنة عجل النموى زوجة السيد بركات ، وولدهما السيد على ، وأخت السيد بركات الشريفة خزيمة أم مشهون ، وَحَصَلَ المرادُ أمُّ السيدين قَايِتْبَاى وشرف الدين .

(١) بلوغ القرى لوحة ١٣٦ظ .

ولما وصلوا إلى المدينة الشريفة أنشد صاحبنا العالم الأديب البليغ ، فرد زمانه ، والمبرز على أصحابه وإخوانه شهاب الدين أحمد ابن الحسين [بن][1] العليف المكى الأصل ، ثم المدنى قصيدة يمتدح بها السيد بركات ويُسَلِّيه عما وقع له فى هذه الواقعة ، وأعطاها له بالمدينة الشريفة عند توجُّهه ، وقد أنشدنيها فى سنة خمس عشرة وتسعمائة بمنى مطلعها :

عَزِيزٌ عَلَى بَيْتِ النُّبُوَّةِ والمُلْكِ
مُقَامٌ عَلَى ذُلِّ المَهَانَةِ والفَتْكِ /
وأعْظَمُ مَا يَلْقَى الكريمِ مِن الأسى[2] ٢٣٧ظ
عَلَى النَّفْسِ مَا يَلْقَى مِنَ الضَّيْمِ والضَّنْكِ

منها :

بِنَفْسِي أبا عَجْلَان والفِتْيَة[3] الأُولَى
بَنَوْا مَجْدَهُمْ بالسَّمْهَرِيَّةِ والتُّرْكِ[4]

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين ، شهاب الدين بن العليف المكى . له ترجمة وافية فى إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن ، وفى شذرات الذهب ٨:١٤١ ، ١٤٢ . وقال عنه : مدح السيد بركات صاحب مكة واقتصر على مدحه ، وحظى عنده لبلاغته حتى صار متنبى زمانه . مات فى ذى الحجة سنة ٩٢٦هـ . وترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ١:٢٩٠ ولم يذكر وفاته ، وترجم له الشوكانى فى البدر الطالع ١:٥٤ ــ ٥٦ برقم ٣٣ ، وانظر المختصر من كتاب نشر النور والزهر ١٠٧ ــ ١٠٩ ، والأعلام للزركلى .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى سمط النجوم العوالى ٤:٢٨٦ « من الأذى » .

(٣) فى المرجع السابق « والفئة الأولى » .

(٤) فى المرجع السابق « والبرك » .

ملوك رَعَيْنَـا الجودَ حولَ حِمَاهُـمُ
خَصِيباً وَسَاهَمْنَا هُمُ المالَ بالشركِ (١)
ونالُوا المَعَالِى بالعَوَالِـى فأصْبَـحَتْ
بِهِمْ بَيْضَةُ العَلْيَاءِ مَرْفُوعَـة السَّمْكِ
رَحَلْتُمُ فَرَبْعُ الأُنْسِ ما زال مُوحِشاً
خَلِيًّـا وسِتْرُ العِـزِّ أصبـحَ فى هَتْكِ
وأسْلَمْتُـمُ كُلَّ القُلُـوبِ إلى الأَسَى
فَهَذَا الوَرَى مَا بَيْـنَ بَاكٍ ومُسْتَـبْكِ
وغَادَرْتُمُ فى الكَـرْبِ جيـرَانَ طَيْبَـةٍ
كذا جِيرَةَ البَطْحَاءِ والحَـرَمِ المكِّـى

ومنها :

فَصَبْراً أبا عَجلان للحـادِثِ الـذى
يئُـولُ إلى عُقْبَـى السلامَـةِ والـفَكِّ
حرامٌ علَـى العَلْيَـاءِ تَنْكِـحُ خَاطِبـاً
سِوَاكَ وإنْ كَادَت تئُـول إلى فِرْكِ
أَرَادَ بكَ الـحُسَّادُ كَيْـداً فصادفـوا
حصاتك لا تُؤْتَى بِكَيْدٍ وَلَا مَحْكِ (٢)

(١) هذا البيت ورد فى هامش اللوحة .

(٢) وفى سمط النجوم العوالى ٤ : ٢٨٧ « جنابك لا يحكى لكيد ولا يحكى » .

فجاءُوكَ مِنْ أبنا أبِيكَ بِعَجْزِهِـمْ
فَلِلَّهِ أَرْحَـامٌ تَقَاطَعْـنَ[١] عَنْ شَبْكِ
فَهَانُـوا عَلَيْهِـمْ بَعْـدَ ذَاكَ وأصْبَحُـوا
يَسُومُونَهُمْ بالخَسْفِ والذُّلِّ والنَّهْكِ[٢]
وأنتَ أبـا عجـلان مِلْءُ عُيُونِهِـــمْ
كَمالاً وأهداهم إلى الرُّشْدِ والنسكِ
فليس لهـــا إلَّاكَ كفءٌ وصاحب
ومـا زالَت العليـاءُ مانِعَـــةَ الشّرْكِ
ولا عَنْ رِضًى منها تُرِكْتَ ورُبَّمَــــا
يَكُونُ ظُهُورُ الفَضْلِ للشَّيْءِ بالتَّرْكِ
لَعَمْـرُكَ مَا سَامُـوكَ خُطَّـة عَاجِــزٍ
تَوَهَّمَهَا الجَانِى سَبِيلاً إِلَى المَسْكِ
وَلَكِنْ[٣] رَأَوْا فيكَ الكَمَالَ لِدِينِهِمْ
فَأَدَّوْا بِكَ الطَّاعَاتِ فِى الحَجِّ والنُّسْكِ
وَمَا آسْتَصحَبُـوا عَلْيَـاكَ إِلَّا لِيَأْمَنُـوا
مِنَ الخَوْفِ فِى الأَمْوَالِ والخَيْلِ والبَرْكِ
وَلَوْ شِئْـتَ حَكَّمْـتَ المُهَنَّـدَ والقَنَـا
عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ سِرْتَ فِى طَاعَةِ المُلْكِ

(١) وفى المرجع السابق « فقطعن » .
(٢) وفى المرجع السابق « والهتك » .
(٣) فى سمط النجوم العوالى ٤:٢٨٧ « سوى أن رأوا » .

سَيَذْكُرُكَ الجَانِى عَلَيْكَ نَدَامَةً
إذَا ٱنْتَبَهَ المَغْرُورُ مِنْ سِنَةِ الزَّمْكِ
وَكُلُّ ٱمْرِءٍ نَاوَا عُلَاكَ يَقُودُهُ
لَكَ الحَظُّ أَوْ يَغْتَالُهُ حَادِثُ الفَتْكِ
لَئِن بَلَغَتْ مِنْكَ الليالي جَهَالَةً
فما زَالَتْ النَّكْبَا تَهُبُّ عَلَى الفُلْكِ
وإنْ نَالَتْ الأعْدَاءُ مِنْكَ بِزَعْمِهَا
فَقَدْ[١] طَالَمَا كَانَتْ بِمَا نِلْتَهُ تَحْكِى
فَرُبَّ ابْتِسَامٍ جاءَ مِنْ جَانِبِ البُكَا
وَرُبَّ بكاءٍ جَاءَ مِنْ جَانِبِ الضَّحْكِ
فعَمَّا قَرِيبٍ يُورِقُ العُودُ بالمُنَى
وَتَعْبِقُ أرجاءُ العُلَى مِنْكَ بالمِسْكِ /
وَتَأْتِى عَلَى رَغْمِ العَدُوِّ مُمَلَّكاً ٢٣٨و
وتَظْفَرُ بالتَّقْلِيدِ والتَّاجِ والرَّنْكِ[٢]
ويَرْجِعُ صَافِى العَيْشِ حُلْواً كَمَا مَضَى
وَتَأْوِى إلى سَامِى سرِيرِكَ وَالمُلْكِ
لَكَ العِزةُ القَعْسَاءُ والهِمَّةُ التى
أنافَتْ عَلَى هَامِى السِّمَاكِين فى السِّمْكِ

(١) فى المرجع السابق « فيا طالما » .

(٢) الرنك : شعار الملوك والأمراء الأتراك فى دولة المماليك بمصر . والكلمة فارسية (المعجم الوسيط) .

ومنها :

تَنَامُ ـــ رَعَاكَ اللهُ ـــ والصَّبْرُ سَاهِرٌ
مُدِيمٌ عَلَى جَهْدِ السِّعَايَةِ والـدَّمْكِ
إذَا شِمْتَ بَرْقـاً قُلْتَ ذَلِكَ عَارِضٌ
جَهَامٌ قَلِيلُ الوَبْلِ يُسْفِر عَنْ بَشْكِ
فلا تَدْرِ إلَّا والعَـــدُوّ بِحَالَـــــةٍ
بِها ٱسْتَأْسَدَ اليَرْبُوعُ وٱسْتَنْسَرَ الكَرْكِي
فحينئذٍ لم يُغْـــنِ تَدْبِيــــرُ حَازِمٍ
وَلَا رَأْىُ مَعْلُومِ التَّجَارِبِ ذِى حُبْكِ
فَنَادوكَ مِنْ بَعْدِ الخُمـولِ وَظَاهَـرُوا
وأنتَ عَلَـى تَوْهِينِهِـمْ غَيْرُ مُنْـفَكِّ

ومنها :

فَهَلَّا جَعَلْتَ السَّيْفَ والرُّمْحَ شُرَّعاً
إليهم وَجَنَّبْتَ الرَّكَـائِب بالرَّمْـكِ
وقُـدْتَ إليهم كُلَّ جَرْدَاءَ شَطْبَـــةٍ
تُجَـاذِبُ مَجْـدُولَ الأَعِنَّـةِ بالعَـلْكِ
وَفِتْيَـانَ صِدْقٍ كاللُّيُـوثِ لَبُوسُهُـمْ
دِلَاصٌ عَنْ الماذِىّ مُحْكَمَةُ الحَبْكِ
عَفَـا اللهُ عَنْ مَثْـوَاكَ لَوْلَا تَسَاهُـلٌ
لَدَيْكَ لَمَا أَفْضوا إلى البَغْى والعَفْكِ

حَلُمْـتَ وبَعْضُ الحِلْم يَجْنِى سَفَاهَةً
وكُنْتَ لَعَمْرِى مِنْ تَمَادِيكَ فى شَكٍّ
وَلَوْ شِئْتَ قَوْدَ الخَيْلِ شُعْثاً لَسُقْتَهَا
بِعَزْمِكَ مِنْ بَرْكِ الغِمَادِ إلَى النَّبْكِ
وجَـرَّعْتَ منْ نَاوَاكَ كَأْساً مَرِيـــرَةً
بِكُـلِّ رَقِيـقِ الشَّفْرَتَيْـنِ أخـى بَتْكِ
سَقَيْتَ بها من قَبْلُ يَحْيـىَ ومَالِكـاً
شَرَاباً يُعِيدُ الحُـرَّ فى رَبْقَـةِ المِـلْكِ

ولما دخـل الأشرافُ مصر طلـعَ بهم الأميـرُ الكـبير إلى السلطان ، فلما مَرَّ بهم فى الشوارع ضَجَّ العامـة بالبكـاء ، وأطلقـوا ألسنتهم بالسَّبِّ واللعن والتقبيح بمن فعل بهم ذلك ، وقالـوا : الطائعُ يُقْبَضُ عليه ، والعَاصِى يُطْلَـق ؟! وذكـروا أن السلطـان لم يَسْهُـل به ذلك ، وما أمكنه إلا موافقة الأمير الكبير فيمـا فعلـه ، وتـرك الـذى جاء بهم عنده فى منزله[1] ، والـذى جاء بهم أمير الأوّل عنـده ، إلى أن مات الشريـف شرف الديـن شقيـق السيـد قَايِتْبَـاى ، فى أوائـل جمادى الأولى فأطلقـوا وسكنـوا فى بيت القـاضى كاتب السِّرِّ ابـن مُزْهِر ببركَة الرطلى .

وأنشد الفقيه العالم ، أوحد الفضلاء والأدبـاء النبـلاء ، محيـى

(١) وانظر بدائع الزهور ٤:٥٦ ، ٥٧ ، وسمط النجوم العوالى ٤:٢٨٦ .

الدين عبد القادر ابن الزين عبد الرحمن بن الحسين المكـى ، الشهير بالعراقى[1] قصيدةً من نظمـه ، يذكـر فيها ما فعلـه الأميـرُ الكبيـرُ فى الشريـف بركات ، وقدَّمهـا له بالقاهـرة ، وكتَبَهـا عنـه وَلَـدِى مُحِبُّ الدين جَارُ الله فى سنة إحـدى عشرة وتسعمائـة ، بالمسجـد الحرام / أولها : ٢٣٨ظ

يا قيتُ لَاقَيْتَ كُلَّ السُّوءِ وَالعَطَبِ
وَأُبْتَ بالـذُّلِّ والـخُسْرَانِ وَالتَّعَـبِ
وَسَاءَ فِعْـلُكَ فى أمِّ القُـرَى فَلَكَـمْ
دَعَا عَلَيْكَ الوَرَى بالوَيْلِ والـنَّصَبِ

منها :

هَلَّا ٱرْعَوَيْتَ لِقَـوْلِ النَّـاسِ كُلِّهِـمُ
بِغَيْرِ بَرَكَاتٍ كُلُّ الأَرْضِ لَمْ تَطِبِ
لَكِـنَّ مَاذَا يُفِيـدُ العَـذْلُ فِى رَجُـلٍ
بَيْنَ الخَنَازِيرِ مَع أهْلِ الضَّلَالِ رُبِى

ومنها :

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن بن الحسين المكى . محيى الدين الشهير بالعراقى . الشاعر ، ورد ذكره فى الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ٢٦١ فيمن وفد على السلطان بايزيد بن محمد بن محمد خان بن مراد خان العثمانى . وقال : خطيب مكة المرحوم الشيخ محيى الدين عبد القادر بن عبد الرحمن . ولم أعثر على ترجمة له فيما تيسر من المراجع .

لَمَّا عَنِ الحَقِّ صُمَّتْ أُذْنُهُ سَفَهاً
وَلَـمْ يَخَـفْ رَبَّـهُ سَمَّـوْهُ بالرَّجَبِـى

ومنها :

وأَصْبَـحَتْ مكَّـةُ الغَــرَّاءُ بَاكِيَـــةً
بِمَدْمَعٍ فى شِعَابِ الأرض مُنْسَكِبِ
على ابنِ بنتِ رسولِ اللهِ مَنْ نَزَلَتْ
بمَدْحِ أوْصَافِهِ الآيَاتُ فِى الكُتُبِ
أبـا زُهَيْـرِ الـذى أَعْـدَاؤُهُ شَهِـدَت
بِفَضْلِهِ مِنْ جَمِيعِ العُجْمِ والعَـرَبِ
الضَّارِب الهامِ فى يومٍ تَخَــــالُ بِهِ
شمسَ الظَّهِيرَةِ قَدْ غَابَتْ وَلَمْ تَغِبِ

ومنها :

الطَّاعِنِ الخيلَ والفِرْسَان يَوْمَ وَغـىً
مِنْ كُلِّ مَلْجُوجةٍ تَشْفِى مِنَ الكَلَبِ
لَا يُتَّقَــى بَأْسُهُ فِى كُلِّ مَعْرَكَـــةٍ
إِلَّا بإِعْطَـاءِ وَجْـهٍ مِنْـــهُ أو هَرَبِ

ومنها :

يَا مَنْ هُوَ الناسُ والدُّنْيَـا وَوَاحِدُهَـا
يا أكْرَمَ الناسِ يَابْنَ السَّادَةِ النُّجُبِ

يَامَنْ هُوَ البَحْـرُ فى جُودٍ وفى كَرَمٍ
وَمَنْ هُوَ المَوْتُ فِى حَرْبٍ وفى غَضَبِ
يَا وَاهِبَ اليَعْمَلَاتِ[1] الحُمْرِ يَتْبَعُهَا
فِصَالُها فى السِّنِينَ المُحَّلِ الشُّهُبِ
يابـنَ النَّبِـىِّ وَيَـا خَيْـرَ الأنَـــامِ إِذَا
يُدْعَـى لِأَكْـرَمِ أُمٍّ فِى الـوَرَى وأَبِ

ومنها :

لَا تَضْجَـرَنَّ لِمَـا لَاقَيْـتَ فِى زَمَـنٍ
ذِى مَوْرِدٍ كَدِرٍ مِنْ قِيت ذَا الرَّجَبِى
وَكُنْ صَبُوراً عَلَى البَلْوَى أَخَـا ثِقَـةٍ
باللهِ فالصَّبْـرُ فِيــهِ مَبْلَــغُ الأَرَبِ
لَا تيـــأسَنَّ فكَـــمْ للهِ مِنْ فَرَجٍ
يَأْتِى عَلَى بَغْتَةٍ أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ
وَٱضْرَعْ إلى اللهِ فى الأَسْحَارِ مُبْتَهِلاً
وَتَـارَةً بِٱنْـكِسَارٍ وَٱدْعُـــهُ تُجَبِ
لَا بُدَّ للهِ مِنْ يَوْمٍ تقـــــــرُّ بِهِ
عينُ الوَرَى وَهْوَ فِى الدُّنيَا مِن العَجَبِ
وأنت فِيـهِ خَلِـىُّ البـــال منشرحٌ
مقلـدٌ مُرْهَـفَ الحَدَّيْـنِ ذَا شُطَبِ

(١) اليعملات : جمع يعلمة : وهى الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ، وانظر تاج العروس (ع م ل) .

وَأُبْتَ بالنُّجْـلِ والإخـوانِ مجتمعـــاً
تدوس بالسَّعْدِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
وأنْتَ بالخُطِّ مِنْ بَطْحَاءِ مَكَّـةَ فِى
أمْـنٍ وفى دِعـةٍ من حَادِثِ النُّـوَبِ
تَدْعُو لك الخُطَبَاءُ المِصْقَعُون على
أعْلَى المَنَابِرِ فى الأَذْكَارِ والخُطَبِ
بِرَغْـمِ أَنْـفِ عَدُوِّ اللهِ مَنْ سَبَـقَتْ
له الشَّقَاوَةُ فِى الماضِى مِنَ الحِقَبِ /

٢٣٩و ومنها :

يَا رَبّ بالمصطفـى الهادِى وشِيعَتِـهِ
عَجِّل بخِذْلَانِـهِ يَا كَاشِفَ الكُـرَبِ
وَآنْصُرْ عَلَيْهِ أبا عَجْلَان نُصْرَةَ مَنْ
قَدْ قَاتَلَ الجِنّ تَحْتَ الأرضِ لَمْ يَهَبِ
وَآمْنُـنْ على مَكَّـةَ الغَـرَّا وَسَاكِنِهَـا
بِعَـوْدِهِ سَالِمـاً فى أشْرَفِ الـرُّتَبِ
آميـنُ آميـنُ لا أرضَى بواحِـدَةٍ
حتـى أُبَلِّغَهَـا ألفـاً بِلَا حُجُبِ

ولما حصل الإفراج للسيـد بركات وجماعتـه رَتَّب لهم السلطـان نفقةً من الدراهم والمُغَلّ وغيرهما ، وصاروا يطلعـون للسلطـان للسلام عليـه ، ويتردّدون إليـه للتهنئـة أو بِطَـلَب ، وإلى الأمـراء المقـدمين

وغيرهم ، وَتَرَدُّدهم الآخرين إلى الشريف ، وأوعدوه بكل جميل(١) .

وفى أثناء إقامته [بمصر](٢) كاتب بنو إبراهيم فيه ، وأطمعوا السلطان فيه ، وقالوا : إن معه خزائن أبيه وأجداده ، وطُلِبَ منه مال كثير(٣) ؛ فكتب للمقام الشريف ـــ نصره الله ـــ قصيدةً من نظمه ، ذكر فيها حاله وما جرى له . ومطلعها :

هَلُمُّوا مَعِى نَحْوَ الفلاحِ وسَارِعُوا
إلى جَامِعٍ للذِّكْرِ والحُسْنِ جَامِعُ
تأسَّسَ بُنْيَاهُ عَلى الخَيْرِ والتُّقَى
أَلَسْتَ تراه بالمَحَاسِنِ سَاطِعُ

ومنها :

أيا قَانصُوَهْ اِسْمَع بحَقِّكَ قِصَّتِى
فإنِّى لشَرْحِ الحالِ نحْوَكَ رَافِعُ
بُلِيتُ بجَوْرٍ مِنْ زَمَانٍ أَمَضَّنِى
يُقَارِعُنِى بَيْنَ الوَرَى وأُقَارِعُ
وحَقِّكَ ما أَفْنَيْتُ مَالِى ومُهْجَتِى
سِوَى فى رِضَا السلطانِ واللهُ سَامِعُ

(١) بلوغ القرى لوحة ١٤٢ظ .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) المرجع السابق .

فإنْ يَكُ قَدْ أرضَاكَ مَا قَدْ لَقِيتُــهُ
فإنِّــى بِهِ رَاضٍ بَلَــى ثُمَّ قَانِــعُ
ولِى أُسْوَةٌ فِى بالسَّادَةِ الأُولَى
فَكَـمْ بَذَلُـوا أَرْوَاحَهُـمْ ثمّ بَايَعُــوا
سَتَأْتِيكَ أخبــارٌ تَسُرُّكَ سُرْعَــةً
فإنْ البَـلَا بالقَـوْمِ لَا شَكَّ وَاقِــعُ

وقـال السيـد بركات يمدح السلطـان ــ نصره الله تعــالى ــ معارضاً لقصيدة له على الروى وهى :

مَنْ يَقُــــمْ بِبَـــابِ اللهْ بِالــــخُضُوعِ والذِّلَّـــــهْ
طَائِــــــــعْ لِأَمْرِ اللهْ يُكْسَ فِى الجِنَــانْ حُلّــهْ

* * *

إنْ تُرِدْ تَكُـــنْ نَاجِـــى قُمْ لِخَالِـــقَكْ نَاجِـــى
وَٱلْـزَمْ فِى الدُّجَى الدَّاجِـى بَابَـــــه وَثِـــــقْ بِاللهْ

* * *

وَاجْـرِ الدَّمْـعَ فِى الأَسْحَـارْ وَابْـكِ الـذَّنْــبَ وَالأَوْزَارْ
وَاسْأَلْ رَبَّكَ الغَفَّــــــارْ أنْ يَعْفُـــو عَنْ الزَّلَــــهْ

* * *

يَا سَعْــــدَ امْرِىءٍ قَدْ قَامْ فِى الدُّجَى عَلَــى الأَقْدَامْ
لِلإلَـــــهِ بالأعْتَـــــامْ وَالدُّمُــــوعُ مُنْهَلَّــــهْ

* * *

فَٱشْكُــرْ دَائِمــاً مَوْلَاكْ   وَٱحْمَــدْ بِمَــا أَوْلَاكْ
ربٌّ خالـــقٌ سِوَّاكْ   بالتَّفْصِيــلِ والجُمْلَــهْ

* * *

فَهْــوَ عَالِــمٌ بِٱلحَــالْ   وَهْــوَ غَايَــةُ الآمَالْ
سَامِــعٌ لِمَــنْ قَدْ قَالْ   قَوْلاً بَعْــدَ ذِكْــرِ اللهْ /

* * *

أَرْتَجِــى مِنَ الرَّحْمَــنْ   عَفْــوَ الأَشْرفِ السُّلْطَــانْ ٢٣٩ظ
لَا بَرِحْ مَدَى الأَزْمَــانْ   مَحْــرُوساً بِعَيْــنِ اللهْ

* * *

قَانْصُوَهْ يَا غُــورِى   لَا بُلِيــتَ بالجَــوْرِى
تَجْبُــرْ كُلَّ مَكْسُورِى   فَٱسْتَبْــشِرْ بِنَصْرِ اللهْ

* * *

قَوْلِــى فيكَ لِى قَدْ طَابْ   وَسْطَ مَجْمَــعِ الأَحْبَــابْ
أَنْتَ مِنْ ذَوِى الأَلْبَــابْ   وإِمَــامُ ذِى المِلَّــهْ

* * *

وَالصَّلَاةُ عَلَــى المُخْتَــارْ   ثُمَّ آلِــهِ الأَطْهَــارْ
وَالصَّحَابَــةِ الأَخْيَــارْ   مَنْ فَازُوا بِقُــرْبِ اللهْ

* * *

وامتدح السيد بركات بالقاهرة جماعةٌ من الشعراء . منهم : العالم الأديب ، الأوحد الأريب ، رئيس المؤذنين بالحرم الشريف ،

فخر الدين أبو بكر عبد الله بن أبي الخير المكي الحنبلي[١]، بقصيدة حسنة ، كان فَعَلَها له قبل تاريخه بمصر ، وأرسلها له بمكة في سنة تسع وتسعمائة ، ولم تصل إليه ، مطلعها :

تَذَكَّرَ رَبْعَ العَامِرِيَّةِ والمَغْنَى
مُحِبٌّ بَكَى يَوْمَ الفِرَاقِ فَمَا أَغْنَى
يُهَيِّجُهُ مَرُّ النَّسِيمِ إذَا سَرَى
وَيُزْعِجُهُ سَمْعُ الحَمَامِ إذَا غَنَّى
بِهِ مِنْ أَلِيمِ الوَجْدِ شَوْقٌ يهُزُّهُ
وَيَجْذِبُهُ لِلْغَانِيَاتِ وَلِلْمَغْنَى

منها :

تُرَى هَلْ يَجُودُ الدهرُ مِنْهُ بِعَوْدَةٍ
نكونُ بها بَعْدَ البعادِ كما كُنَّا
وَيَجْمَعُنَا بَعدَ التَّفَرُّقِ جَامِعٌ
نُقَضِّي لُبَانَاتِ الصَّبَابَةِ مِنْ لُبْنَى

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، فخر الدين أبو عبد الله بن أبي عبد الله بن أبي الخير الحنبلي المكي ، ويعرف بابن أبي الخير ولد سنة ٨٧٥هـ بمكة وكان يباشر مع أبيه رياسة المؤذنين ، فارقهما السخاوى سنة ٨٩٤هـ وهما في قيد الحياة ، سافر إلى مصر ، وكان شافعياً فتحنبل وعاد إلى مكة سنة عشر وتردد على سلطانها ومدحه ، وهو بليغ في ذلك ، ومات في مغرب ليلة الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ٩٣٠هـ (السحب الوابلة في طبقات الحنابلة لابن حميد الحنبلي المكي مخطوط الهند) .

وَيَبْدُو زَمَانُ السَّعْدِ فِى طَالِعِ الهَنَـا
كَطَالِعِ زَيْنِ الدينِ ذِى الطَّلْعَةِ الحُسْنَى
مَلِيكٌ سَمَا فِى ذِرْوَةِ المَجْدِ عِنْدَمَا
غَدَا فِى مَبَانِى خَلْقِهِ نُطْفَـةٌ تِمْنَـى
تَلَقَّتْـهُ مِنْ صُلْبِ النُّبُـوَّةِ صَفْـــوَةٌ
فَتَحْمِلُـهُ ظَهْـراً وَتُودِعُـــهُ بَطْنَـــا
إلى أنْ بَدَا فِى غُرَّةِ الكَـوْنِ مُفْـرَداً
فَأكْـرِمْ بِهِ فَرْداً وَأَعْظِـمْ بِهِ مَثْنَـــى
إمَـامُ هُدًى طَابَتْ مَغَـارِسُ أصْلِـهِ
فأضْحَتْ ثِمَارُ الجُودِ مِنْ فَرْعِهِ تُجْنَى
عَلَـى سَنَـنِ الآبَاءِ طَابَتْ صِفَاتُـهُ
فناهِيكَ بالآبَا وَنَاهِـــيكَ بالأَبْنَـــا
كَرِيـــمٌ إذَا عُدَّ الكِـرامُ رَأَيْتَهُـــــمْ
يَخُصُّونَهُ بالعَدِّ مِنْ خِنْصَرِ اليُمْنَـى
إذَا جِئْتَـهُ تَشْكُـو الزَّمَـانَ وَأَهْلَـــهُ
تَرَى فِعْلَهُ فِى الحَالِ مِنْ قَوْلِهِ أَدْنَى
وَسِيعُ القِرَى لَيْثُ الشَّرَى شَامِخُ الذُّرَى
شَدِيدُ العُرَى كَهْفُ الوَرَى ظَاهِرُ الحُسْنَى
بَعِيدُ المَدَى مِنْ ذِى العِدَى فَائِضُ النَّدَى
عَفِيفُ الرِّدَا مُهْدِى الهُدَى سيدٌ أسْنَى

قَرِينُ السُّهَا يُعْطِى اللُّهَى فاتِحُ اللَّهَـا
بَدِيعُ النُّهى رَبُّ البَهَا كَامِلُ المَغْنَى
جَوادٌ مَنِيعُ الجَارِ فِى حَوْمَةِ الوَغَـى
جَمِيلُ الثَّنَا لَا يَعْرِفُ العَارَ وَالخَنَى /
٢٤٠و طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْـفِ لَيْثٌ مُجَـرِّبٌ
شَدِيدُ مَجَالِ الطَّعْنِ إنْ قَصَدَ الطَّعْنَ
مُبِيدُ العِدَى يَلْقَى الكَتَائِبَ بَاسِمـاً
وَيَغْشَى المَنَايَا فِى الوَغَى ضَاحِكاً سِنَّا
وَيَرْتَـاحُ إنْ عَمَّ العُفَــاة جَنَــا به
وَيَهْتَزُّ حَالَ المَدْحِ إنْ مَادِحٌ أَثْنَـى
إلَيْكَ أبَـا عَجْـلَانَ خُذْهَـا قَصِيـدَةً
مُهَذَّبَـةً لَفْظــاً مُنَقَّحَــةً مَعْنَــى
يُحَيِّـرُ أَرْبَـابَ البَدِيــعِ بَدِيعُهَــا
وَقُسًّا وَسَحْبَانـاً هما عِنْدهـا لُكْنَــا

ومنها :

تخَيَّـرَ مِصْراً عَنْ رُبَـى أرضِ مَكَّـةٍ
وَطَلَّقَهَـا بَتًّـا بَتَاتـاً وَمَــا آسْتَثْنَــى
وَمَـا ذَاكَ عَنْ بُغْضٍ وَلَا عَنْ مَلَالَـةٍ
وَلَكِنَّ مِنْ جَوْرٍ غَدَوْتَ بِهِ مُضْنَـى

ومنها :

تَقَـوَّوْا عَلَـى ضَعْفِـى وَمَالِـى حِيلَـةٌ
وعَـزُّوا بأَمْـوَالٍ لَهُـمْ لَمْ تَكُـنْ مَعنَـا
وَقَدْ ظَلَمُونِـى جَهْـرَةً وَتَجَهْزَمُـوا[1]
وأَدْعِيَـةُ المَظْلُـومِ تَخْتَـرِقُ المُـــزْنَ
وَوَاللّهِ يَا بَرَكَـاتُ يَابْـــنَ مُحَمَّـــدٍ
لَقَـدْ قَصَدُوا إتْـلَافَ أرْوَاحِنَـا مِنَّـا
وَمَـا هِىَ بالأُولَـى فَأَذْكُرُهَـا لَهُـــمْ
فَأَنَّـى يُلَاقُـوا اللّهَ يَوْمَ الجَـزَا أنِّـــى

ومنها :

وَلَا زِلْتَ مَنْصُورَ الجُيُـوشِ مُؤَيَّـداً
وَعِزُّكَ بَاقٍ سَرْمَدَ الدَّهْـرِ لَا يَفْنَـى
وَلَا زِلْتَ فِى أُمِّ القُرَى وَاسِعَ القِرَى
فَأَنْتَ بِهَا تُعْطِى الصَّوَافِـنَ وَالبُـدْنَ
وَأَنْتَ لَهَـا رُوحٌ وَغَيْـرُكَ شَخْصُهَـا
وَغَيْـرُكَ يُسْرَاهَـا وَأَنْتَ لَهَـا يُمْنَـى

ولما طال مقام السيد بركات بمصر ، وسمع بقَتْل أخيه الشريف

(١) تجهزموا : كذا فى الأصل ، ولعلها تجهرموا ـــ براء بعد الهاء ـــ مقلـــوب تجمهروا أو تجرهموا ، والأول بمعنى اجتمعوا وتطاولوا . والثانى بمعنى طغوا وتجرءوا واستأسدوا وأقدموا ، أخذاً من جرهم الذين طغوا فى الحرم أو من الجرئ فى الحرب، أو من الأسد . وانظر تاج العروس (ج ر هـ م) والاشتقاق ٥١١ .

جَازان بمكة ؛ فإن التُّرْكَ المقيمين بها لَمَّا لَمْ يَرَوْا ما يُعْجِبُهُم خَافُوا على أنفسهم ، فتَوَاطَأ منهم جماعةٌ على قَتْلِهِ ، فَقَتَلُوهُ وَهو يطوف عند باب الكعبة قريب المَعْجَنَة ، فى صبح يوم الجمعة تاسع رجب سنة تسع وتسعمائة ، فَحُمِلَ إلى المَعْلَاة ، ودُفِنَ على أخيه مُهَيْزع بإذن من أخيه الشريف حُمَيْضَة . وفى الحالِ أرسلَ الأميرُ الباش بَكباى للشريف حُمَيْضَة وألْبَسَهُ خِلْعَةً ، وأقامه عوض أخيه جَازَان حتى يأتى مَرْسُومُ السُّلْطَان مِنْ مِصْر[١] .

وفَهِمَ السيدُ بركات من أركان الدولة السوءَ فى نفسه ، وأخبره بعضُهم أن بنى إبراهيم أوْعَدُوا الأميرَ الكبير بمالٍ عَلَى أنه يَسْعَى فى إرساله إلى الإسكندرية ، وأشار عليه أمير سلاح قَانْصُوه بالهَرَب ؛ فَتَسَحَّبَ هو وجماعته الرجال على رِكَابٍ وبعض خيلٍ وعُدَّةٍ يسيرة[٢] ، فى سابع شوال بعد أن زار أهل القرافة والإمام الشافعى .

فلما كان بوادى القُبَيْبَات[٣] لقى الشريفَ بَطَّاحاً الإبراهيمى ــ أكبرَ الساعين فى أذَاهُ عندَ الأمير الكبير بينبع ومكة ؛ إلى أن قَبَضَ عليه ــ ومعه اثنان أو ثلاثة أو أكثر ، فقُتِلَ هو وبعضُ

(١) وانظر قصة قتله مفصلة فى بلوغ القرى لوحة ١٣٨ظ ، ١٣٩و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٤٢ظ .

(٣) وادى القبيبات : كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى ، وهو وادى القباب : منزلة من منازل الحاج بين المنصرف وبين تيه بنى إسرائيل . وهذا الوادى كثير الرمل (صبح الأعشى ١٤:٣٨٦) .

الآخرين ، وهَرَبَ البقيَّةُ أو تُرِكُوا ، وظَفِرَ بما كان معهم من الخيل والأمتعة والهدايا والنَّقْد ، وارتفق به ، ووجَدَ معه أوراقاً بالخطّ على السيد / بركات وعلى يَحْيَى بن سَبْع ، وبالوصية عليه ليُوَلَّى ٢٤٠ظ ينبع[1] .

ثم تَوَجَّهُوا إلى الكَرَك أو قُرْبَها فَوَاجَه بعضَ عُرْبَانِهِم ؛ فاعتقدوه وقَبَّلوا يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ ، وأرادوا المسِيرَ معه كلّهم ، فامتنع ، وأخذ جملةً من القوَّاسة ، وتوجَّه إلى [أن] جاء بَنِى عُقْبَة[2] ، واستمرَّ عندهم إلى أن جاء الحُجّاج ، فعارضهم وخافوا منه ، وأهدى إليه أميرُ المحمل أسِنْبَاىْ سُكَّراً وحَلْوَى وغيرَ ذلك ، وتَكَرَّرَتْ الرسلُ بينهما ، فحصل للحجّاج الطمأنينةُ ، واتَّفَق معه أميرُ الحاج أن يُرْسِلَ إلى السلطان ويُوَلَّى هو أو أخوه السيد قَايِتْبَاىْ . فأرسلوا الشريف عِرَاراً بأوراق أمير الحاج ، وهو يسأل فى ذلك ، وبأوراق السيد بركات ، وصدَّرَهَا بقوله تعالى حكايةً على

(١) بلوغ القرى لوحة ١٤٢ظ .

(٢) بنو عقبة : من جذام ، تسكن مقنى على الساحل الشرقى لخليج العقبة بين حقل والشيخ حميد ، وكان جذام تسكن جبال حسما بين البحر وتبوك إلى أذرح ، ثم سكنوا مصر ، وكانت ديار بنى عقبة من الأزلم فى الحجاز إلى الكَرك فى الأردن ، وكان عليهم درك الطريق إلى حدود غزة والشام (معجم قبائل الحجاز) . ويقال : عليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من بلاد الشام . وفى مسالك الأبصار : وعليهم درك الحجيج من العقبة إلى الأزلم ، وفرقة منهم بالحجاز من بنى واصل بن عقبة (نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى ٣٦٤) .

لسان نبيِّه موسى الكليم ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً ﴾(١) وفيها أنه طائعٌ لله ولرسوله ولمولانا السلطان ، ومَهْمَا أمَرَ بِهِ السلطانُ السَّمْع والطاعة ، ويسأل فضلَ السلطان فى إرسال أهله ، وأنه وَجَدَ بَطَّاحاً وقتله . وأراد أهله المجىء مع الحُجَّاج فلم يَتَيَسَّر ، وجاءوا بحْراً(٢) .

وأما الحُجَّاج فتأخَّر كثيرٌ ممن أراد الحج ـــ بمصر ـــ خوفاً على أنفسهم من السيد بركات ، وراسل السيدُ بركات يحيى بن سَبْع ، وأرسل له بالأوراق التى لقيها مع بَطَّاح بالحطِّ عليه والسَّعْي لِبَطَّاح ، فشكرَ له ذلك ، وأرسل أخاه الشريفَ قَايِتْبَاى ومعه الشريف عَنْقَاء لينبع ، بإشارة أمير الحاج ، على أنه يَقَع الاتفاقُ مع يحيى أن تكون مكّة لقَايِتْبَاى . فلما وصلوا مع الحجاج لينبع غَلَبَ بنو إبراهيم وما رَضُوا إلَّا بالسيد حُمَيْضَة ، وكان عندهم ، وتوجَّه الشريفان قَايْتَبَاى وعَنْقَاءُ مع الحاج إلى مكة(٣) .

وأما السيد بركات فإنه توجّه إلى المدينة الشريفة ، ووقَعَ فى سِبَاع بن يحيى بن سبع ، وكلٌّ منهما سائر ، فخاف سباعُ على نفسه ، فباسَطَه السيد بركات بالسلام وغيره ، وتفارقا على جميل ،

(١) سورة الشعراء آية ٢١ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٤٢ظ .

(٣) المرجع السابق .

ووصَلَ السيـد بركات للمدينـة ــ وكُنْتُ بها(١) ــ واسْتَبْشَرَ أهْلُها بذلك ، إلا أهل الدولة ــ خوفاً منه ومن السلطان ــ فإن السلطان كان قد أرسل لهم مَرْسُوماً بأنه تَسَحَّبَ فإذا وصلهم يَقْبِضُونَ عليه ، وجَلَسَ خارج البلد ، ولم يدخل المدينة ، وأرسلَ أوْرَاقاً لجماعة يَشْتَرُونَ له زَاداً ، فاشْتُرِى له ، فخافَ صاحبُ المدينة على نفسه إذا سُمِع أنه تَزَوَّدَ من المدينة ، فمنَعَ ــ ظَاهِراً ــ وغَلَّقَ أبوابَ المدينة ، فأخرج له أشياء يسيرة خفية ، وأرسل له القاضى المالكى شيئاً يسيراً ، وكذا بعض الخدام وغيرهم أيضاً ، ومِنْ ذلك كُسْوَةٌ وزَادٌ ، وتوجَّه ثانى يوم إلى الشرق حتى وصل الخَلَصَة(٢) .

وفى ضُحى يوم الاثنين سابع عشرى ذى القعدة وصل إلى مكة القائد محمد بن أحمد بن نصر ــ وهو وجعان به الحب الإفرنجى(٣) ــ من عند الشريف بركات من الشرق ، وذكر أنه وصل إلى الخلصة ؛ فَارْتَجَّت مكة لوصوله ، وأرسل له الباش فوجَدَه وَجْعَاناً ، وأخبرهم بذلك أيضاً(٤) .

(١) أى المؤلف عز الدين بن عبد العزيز بن فهد .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٤٢ظ .

(٣) الحب الإفرنجى : هو داء الزهرى وسمى بالحب الإفرنجى لأنه وفد إلى بلاد العرب من بلاد الإفرنج كما يقال له الفرنسى ، لأنهم أدخلوه بلاد المغرب ، ويسمى بالبلاء ؛ لأنه بليَّة عظمى . وانظر فيه دائرة معارف البستانى ٦٦٨:٦ ، ٥٣٢:٧ ــ ٥٣٩ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٦٦٨:٤ .

(٤) بلوغ القرى لوحة ١٤٢ظ .

وفى رابع ذى الحجة وصل إلى مكة من عند السيد بركات إلى أمراء الحج علىُّ بن غراب : عبد الشريف بركات ، وعبد الله المضايفى ؛ فاجتمع الأوَّل بأمير الحاج ، فصادفه الشريفُ حُمَيْضَة
٢٤١و فقال : تَدْخُل / بلادى بغير إذنى ؟! والله لولا حرمة الأمير لأمرت بقتلك ، فقال له على بن غراب : أنا رسول . فتكلَّم الأميرُ على السيد حُمَيْضَة وقال له : إنْ أصَابَهُمَا شيءٌ مَا يَحْصَلُ لكَ خيرٌ . وأقاما إلى ثانى يوم وعادا إلى مرسلهما ، فأرسل الأمير معهما من أوصلهما لمأمنهما[١] .

وفى سادس الشهر دخل بعضُ عَرَبِ السيد بركات مكة وعَقَرُوا جمالاً لأمراء الحاج ، وكَوَّنوا جماعة [من أهل مكة يعسّون ، يظنون أنهم من بنى إبراهيم المقيمين بمكة ، ومعهم مشاعل لأمير الحاج][٢] .

وفى اليوم الثامن خَرَج جماعةٌ من الفقراء مشاة للحج ، فخرج عليهم خَيْلٌ ورجل ونهبوهم ، فلما سمع الأمراء بذلك اخْتَبَطُوا ورَاسَلُوا السيد بركات يَسْتَعْطِفُونَ خاطره ، ويسألونه ألَّا يمنع وَفْدَ اللهِ الحجَّ . فقال : مَا لِى غَرَضٌ عند الحاج ، وإنما غرضى عند غيرهم . فخافوا أن تَقَعَ فتنةٌ بعرفة ؛ فراسلوا الشريف وأخذوا منه وَجْهاً ، وأنهم يأخذون له من أخيه ألفى دينار : ألفاً حاضرةً وأخرى إلى

(١) المرجع السابق .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٤٣و .

منى . فسألوه فى ذلك فقال : ما لى قُدْرَةٌ ، فَدَلَّ الأميرُ شاهين الأمراءَ على الواصل لأهل مكة من الرّوم . فأخذوا منها ألْفاً وأعطوه ، وما رَضِىَ بتأخير الألف الثانية إلا بجُهْدٍ ، وقال : إنه يخاف اللّه . ومع ذلك تخلَّفَ كثيرٌ من الناس ، وبعضهم نُهِبَ ، وبعضهم رجَعَ ، وبعضهم ناوش العربَ ، وكان العربُ يَوَدُّونَ الغارَةَ على الحاج فَمَنَعَهُمْ السيد بركات(١) .

وأقام الحاجُ والسيد بركات بعرفة إلى آخر النهار ، وحصَلَ بِمِنَى مناوشة بين عسكر السيد بركات وحُمَيْضة ، فَرَدَّ بركات جماعتَه ، وارتحل من مِنَى إلى المزدلفة ، ثم عاد إلى مِنَى بعد رَحِيل الحاج منها(٢) .

وفى تاسع الشهر توجه أميرُ المحمل الشامىّ الخواجا عمر النيربى ، والأمير شاهين الجمالى للسلام على السيِّد بركات وهو بمنَى ، وصحبتهم قَوَّاسَة ومُشَاة ، وعلىٌّ بن غُرَاب عند السيد بركات يَرْفُقُهُم إلى أن وصلوا منى ؛ فسلَّموا عليه ، وسألوه رَدَّ جماعته ، والموافقة بينه وبين أخيه السيد حُمَيْضَة فى أمر جُدَّة أن يكون ثلث البندر له ، والثلثان لحُمَيْضَة ولبقيّة إخوانه ، وبنى حسن والترك ، وأن يرتفع من منى ، ولا يتوجّه للوادى ، ولا لمكة ولا لجُدَّة حتى يصل الجَوَابُ . فما وافقهم إلَّا على النصف ، وأنه لا بد له من دخول

(١) بلوغ القرى لوحة ١٤٣ظ .

(٢) المرجع السابق .

الوادى ، وأنه يُعَجّل له الألف الثانية . فوافق السيد حميضة على كُرْهٍ ، وأرسل طلب جِمْــــــلاً أو حملى جوخ وصوف وشاشات وقمصان بيض مخيطين ؛ فأرسل له ذلك . فَكَسَا بها العَرب الذين وصلوا معه . ووصلوا إلى الزاهر ، ثم توجّه من يومه إلى الوادى . وأقام به إلى [أن][(١)] سمع بوصول يَحْيَى بن سَبْع وجماعته فى المحرم سنة عشر[(٢)] . فارتفع إلى الشرق[(٣)] . وأقام بالوادى الشريفان قايتباى وعنقاء وغيرهما ، إلى أن وصلهم الشريف عرار بن عجل — المرسول إلى مصر من عند السيد بركات — وأمير المحمل المصرى من أثناء مجيئهم — كما تقدَّم — بمرسوم من السلطان أن يُوَلَّى السيد بركات أو مَن يُشيُرُ به ، وأنه يلحق الحاج بمَكّة ؛ فعَوَّقه بنو إبراهيم إلى أن رجع الحاج ، ووصل مع الشريف عرار الشريف يحيى بن سبع وجماعةٌ من بنى إبراهيم إلى الوادى ، فوجدوا النخلَ قد أطلع ،
٢٤١ظ فعطلوه ، وتوجه لهم الباش من مكة ، وشاهين من جُدّة ، ولم / يقع بينهم اتفاق ، ورجع الأميران إلى محلهما .

ثم فى أول صفر من سنة عشر [وتسعمائة][(٤)] أرسل

(١) إضافة على الأصل .

(٢) فى الأصل « تسع » والصواب ما أثبته لأن سنة ٩٠٩هـ انتهت بأخبار الحج فى شهر ذى الحجة .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٤٤و « إلى السرين » .

(٤) إضافة على الأصل للتوضيح .

الشريف يحيى بن سبع للأميرين والقاضيين الحنفى والمالكى فتوجهوا إليه(١) ، ووقع الاتفاق على ولاية السيد قَايِتْبَاى فى ضحى يوم الثلاثاء ثالث الشهر ، ووصل لمكة ثانى يوم ، ودخل فى عرضة إلى المسجد هو والأميران والترك ، وجلسوا بالحطيم ، ومعهم القاضيان والخطيب ، وقرىء ثلاثة مراسيم : الأول باسم السيد بركات ، وفى آخر المرسوم « إن رضى بركات بولاية البلاد فَيُوَلَّى، وإن لم يَرض فيولَّى أخوه قايتْبَاى ؛ لأنه رضى بولايته دون إخوانه الباقين » والمرسوم الثانى للأمير شاهين ، وفيه التوصية على الشريف بركات ، وتوليته على كل حال ، وإن لم يرض فيكون أخوه قَايِتْبَاى . والثالث باسم الباش ، وفيه ما ذكر فى مرسوم شاهين(٢) .

ولما تولَّى السيد قَايِتْبَاى كان الاسم والدعاء فى الخطبة وغيرها له ، وكذا ملاقاة الحاج . والمعوّل فى الأمور كلها على السيد بركات ، ولا يفصل السيد قَايِتْبَاى أمراً دونه ، وكان معه كالولد مع الوالد ، فجزاهما الله عن المسلمين خيراً .

واستمر السيد بركات فى الشرق إلى أن غزا عُتَيْبَة ، وقَتَل منهم أزيد من أربعين نفساً ، وأسر ثلاثة من أولاد مشايخهم ، فأرادوا فداءهم ، فامتنع وشنقهم . وكان قبض على جماعة منهم قبل ذلك ،

---

(١) فى الأصل « إليهم » .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٤٥و .

وهم مربوطون عنده[١] .

ثم جاء إلى مكة فى رابع جمادى الأولى ، وجلس بالقرب منها ببئر البَرُود بالقرب من جعرانة ، وتوجّه القضاة والخطيب والباش للسلام عليه[٢] .

ثم توجه فى هذا الشهر إلى اليمن ، وأمر بإرسال العرب المقبوض عليهم إلى القنفذة ؛ فأرسلوا إليها[٣] .

ولَمَّا وصل السيد قَايِتْبَاى مرسومه بالولاية مع نائب جُدَّة الأمير شاهين الجمالى ، وقرئ بالحطيم فى رمضان ؛ ذكر فيه ولايته بلا تَقْييد ، وأن يكون السيد معاوناً له ، ويكون معه كما كان هو مع والده .

ووصل السيد بركات فى أواخر الشهر إلى قرب مَكَّة ، فتوجّه الأميران والقاضى الشافعى ، والخواجا شمس الدين القارى للسلام عليه ، فسَلَّموا وعادوا فى يومهم ، وأعطى الباشُ السيدَ بركات هديَّة السلطان الأشرف قَانْصُوَه له . وهى — فيما يقال — تفصيلتان وبعلبكِّيَّات كل واحدة تساوى عشرين ديناراً ، وفضلتا جوخ ، ووهيبيتان[٤] ، وأظن غير ذلك ، وخلعة : ثوب صوف ، فلم

(١) بلوغ القرى لوحة ١٤٦ظ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) بلوغ القرى لوحة ١٤٧و .
(٤) الوهيبية والوهبية : هى نوع من الفوط . وانظر ما يأتى ص ١٨٦ ت ٣ .

يلبسها السيد . وقال لهم : حتى أعود لكم بعد العيد[١] . وعاد السيد بركات لجماعته باليمن .

وقال الشريف الأجل الأديب جَرَّاح بن شَاجِر السليمانى الزيدى الجازانى ، يمدح السيد بركات بقصيدة موشحة ، لما وصل إليه الخبر باليمن بما حصل على أعداء الشريف الأربعة ، وهو القبض على الأمير الكبير قِيت الرَّجَبِىّ ، وإرساله إلى الإسكندرية ، وموت نائب الشام قَانْصُوَه المحمدى الشهير بالبرج ، والقاضى كاتب السرِّ البدرى ابن مزهر ، وقتله للشريف بطاح بن مجول الينبعى بالقُبَيْبَات فى عوده من مصر . ويهنئه بالسلامة فى رجوعه لمكة ، وبولادة زوجته الشريفة / أم الكامل بنت عجل بن رميح النموى ، ولادة ولده الذى ٢٤٢و
حملت به بمصر ، المسمى محمد الغورى الشافعى . وهى :

يا سعْدُ إنْ جُزْتَ بِتِلْكَ الخِيَام　　فَحَيِّ جِيرَان الغَضَا والبَشَامْ
وقُلْ لهم من بعـــد رَدّ السَّلَام　　الصَّبْرُ عنكُمْ والتَّسَلِّى حَرَامْ
والجسمُ أَضْنَاهُ تَمَادِى المقَـامْ
وحَقِّكُم يا جِيرَةَ الأَبْرَقَيْـن[٢]　　والعَلَمِ الشَّرْقِىّ والرَّقْمَتَيْـن[٣]

(١) زاد بلوغ القرى لوحة ١٥١ظ « وما أظنه إلا استقلالاً بها .

(٢) الأبرقان : تثنية الأبرق ، وإذا جاءوا بالأبرقين مثنى هكذا فى شعرهم فأكثر ما يريدون به أبرق حجر اليمامة ، وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة ومنها إلى فلجة . والأبرق والبرقان : حجارة مختلطة برمل ، وقيل جبل مخلوط برمل ، وكل شيء خلط من لونين فقد برق (معجم البلدان لياقوت) . =

إنِّى سَمِيرُ الغَفْرِ(١) والفَرْقَدَيْن   لَمْ تَكْتَحِل بالنَوْمِ لِى قَطُّ عَيْن
حاشا وكَـلَّا أنْ أذوقَ المَنَـامْ
وكُلَّما هَبَّتْ نسيمُ الجَنُـوبْ   بنَشْرِكُـم كَادَ فُؤَادِى يَذُوبْ
وَجَدَّد الوجدَ لقلبِى الطَّرُوبْ   وظَلَّ دَمْعِى مُسْتَهِلاً سَكُوبْ
كَما اسْتَهَلَّتْ هَاطِلَاتُ الغَمَامْ
مَا حَالُ مَنْ أمْسَى غَرِيبَ الدِّيَارْ   نَاءٍ عَنِ الإلْفِ بَعِيدَ المَـزَارْ
وَلْهَانَ مَسْلُوبَ القِرَى والقَرَار   نَهَارُهُ الفَرْدُ كَأَلْفَى نَهَارْ
ممّا يُقَاسِى مِنْ أَلِيمِ الغَرَامْ
يَا مُخْبِرِى عن رَامةٍ(٢) والعَقِيقْ(٣)   والوَرْدِ مِنْ رَوْضِ الحِمَى والشَّقِيقْ

= والأبرقان فى قول كثير عزة :

إذا حل أهلى بالأبرقيـن أبرق ذى جدد أو دآثا

فهو يريد أبرق ذى جدد وأبرق دآثا (معجم معالم الحجاز) .

(٣) الرقمتان : تثنية رقمة لمجتمع الماء فى الوادى ، أو جانب الوادى ، أو الروضة . وهما قريتان بين البصرة والنباج بعد ماوية تلقاء البصرة ، وبعد جفر أبى موسى تلقاء النباج ، وهما على شفير الوادى ، وهما منزل مالك بن الريب المازنى ، ويقال هما روضتان بناحية الصمان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى بنجد ، ويقال قريتان على شفير وادى فلج بين البصرة ومكة (معجم البلدان لياقوت) .

(١) الغفر : منزل للقمر ، ثلاثة أنجم صغار فى برج السنبلة ، وهى المنزل الخامس عشر من منازل القمر (المعجم الوسيط) .

(٢) رامة : منزلة فى الطريق من البصرة إلى مكة ، وبينها وبين البصرة اثنتا عشرة منزلة ، وقيل هضبة أو جبل لبنى دارم (معجم البلدان لياقوت) .

(٣) العقيق : يقول العرب لكل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه عقيق ، ويقال الأعقة أودية ، ومنها ببلاد العرب عقيق اليمامة ، وعقيق المدينة ، وعقيق =

هَلْ هُوَ كَالعَهْدِ أنيقٌ وَرِيقْ   وَكَيْفَ باللهِ رَأَيْتَ الفَرِيقْ
هَلْ سَارَ مِنْ سِقْطِ[1] اللِّوَى أمْ أقَامْ
وكَيْفَ حَالُ الحَيِّ بَعْدِى وَمَا   تِلْكَ الدُّمَى السَّافِكَاتُ الدِّمَا
هَلْ هُنَّ يَسْمُرْنَ بِكُثْبِ الحِمَى   وَيَذَّكِرْنَ المُدْنَفَ المُغْرَمَا
مَنْ ذَابَ قَلْباً وَفُؤَاداً وَهَامْ
طُوبَى لِمَنْ فِى دَارِهِمْ زَارَهُمْ   طُوبَى لِمَنْ يُبْصِرُ أخْدَارَهُمْ
طُوبَى لِمن يَسْمَعُ أطْيَارَهُمْ   تَسْجَعُ إنْ عَانَقَ أشْجَارَهُمْ
نَشْرُ الصَّبَا النَّجْدِى وَمَاسَ الخُزَامْ[2]
مَنْ لِى وَلَوْ يَوماً بِأنْ أجْتَلِى   بُدُورَهُمْ فِى أيْمَنِ المَنْزِلِ
وأسْتَقِى مِنْ ذَلِكَ المَنْهَلِ   مَاءً كَذُوبِ الشَّهْدِ والسَّلْسَلِ
عَذْباً يُطَفِّى حُرْقَتِى والأُوَامْ

= أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم لبلال بن الحارث المزنى ، ثم أقطعه عمر رضى الله عنه للناس ، وغيرها من الأعقة . وانظر معجم البلدان لياقوت ، ومعجم قبائل الحجاز للبلادى .

(١) سقط اللوى : السقط حيث ينقطع معظم الرمل ويرق . واللوى : ما التوى من الرمل ، والجدد بعد الرمل ، أو هو ما انعطف من الرمل واسترق ، وهو موضع بين الدخول وحومل كما فى شعر امرىء القيس ، ويقال حومل والدخول والمقراة وتوضح مواضع ما بين إمَّرَة وأسود العين ، وإمرة على الطريق بين البصرة ومكة ، وأسود العين جبل بنجد ، يشرف على طريق البصرة (معجم البلدان ١:٢٥ ، ٣٣٥ ، ٣:٣٧٢ ، ٤:٤٥) .

(٢) الخزام : هو الخزامى جنس نبات طيب الرائحة من أطيب الأفاويه (المعجم الوسيط) .

يَا دَارَ مَنْ أَهْوَى سُقِيت المَطَرْ   سحًّـا إِذَا رَاحَ سَرَى وابْتَكَـرْ
فَكَمْ وَكَـمْ قضَيَّتُ فِيك الوَطَـرْ   مِنْ كُلِّ مَعْسُولِ الثَّنَايَـا أَغَـر
مُمَنَّع الـوَصْلِ بَعِيـدِ المَـرَامْ
الماءُ فِي وَجْنَتَيْـــهِ والشَّرَرْ   والشمسُ فِي بُرْقُعِـهِ وَالقَمَـرْ
والشَّهَدْ فِي مَبْسَمِهِ[١] والسَّكَـر   والجَوْهَـرُ اللَّفْـظُ بِهِ والـدُّرَرْ
يَسْطَعُ نُوراً فى سَوَادِ الـوِشَام
مُعَنْبَـرُ النَّشْـرِ خَلُوقِيُّـهُ   مُعَصْفَـرُ الخدّ عَقِيقِيُّـهُ
سَجَنْجَلِـيُّ[٢] الصَّدْرِ فِضِّيُّـهُ   سَفَرْجَلِـيُّ النَّهْـدِ تِبْرِيُّـهُ
أَحَمّ[٣] أَحْوَى[٤] وَرَشِيقُ القَوَامْ
فى وَجْهِـهِ الـلَّامُ مَعاً والألِـفْ   والنـونُ والميـمُ به مؤتَلِـفْ
وفِيـهِ دُرٌّ ناعـمٌ ما قُطِـفْ   وفى ثَنَايَـاهُ شِفَـاءُ الدَّنِـفْ
وَرِيقُـهُ السُّمُّ وبُـرْءُ السِّقَـامْ /
عُيُونُـه فِيهَـا سِهَـامُ المَنُـونْ   وشعـرُهُ يُقْـرَأُ فَوْقَ المُتُـونْ ٢٤٢ظ
لمثـلِ ذَا فَلْيَعْمَـلِ العَامِلُـون   مُوتُـوا غَرَامـاً أيهَـا العَاشِقُـونْ

(١) فى الأصل « مبسمها » والمثبت يتفق مع سياق مقطع الموشحة لأن الشاعر تحدث عن المحبوبة بضمير المذكر فى كل شطر من المقطع .

(٢) السجنجل : المرآة ، والذهب ، وسبائك الفضة ، والزعفران (المعجم الوسيط) .

(٣) أحم : دافئ ساخن ، دَانٍ حاضر (المعجم الوسيط) .

(٤) أحوى : يقال أحوى الشيءُ خالط سواده خضرة ، أو خالط حمرته سواد ، وأحوت شفة الرجل : احمرت حمرة تضرب إلى السواد (المعجم الوسيط) .

فَمَا عَلَيْكُمْ إنْ عَشِقْتُمْ مَلاَمْ

وَجِيدُه جِيدُ الغَزَالِ النَّفُورْ   إذَا رَأى الصَّيَّادَ عِنْدَ البُكُورْ

والطَّيْرَ والكَلْبَ السَلُوقِيَّ العَقُورْ   ونَصَّه(١) يَفْكِرُ فوق المُدُورْ(٢)

وَفَرَّ خَوْفاً أنْ يَذُوقَ الحِمَامْ

سَاعده قد غَضَّ بالدُّمْلُجَيْن(٣)   وزَنْدُهُ قَدْ مَلأَ المَسْكَتَيْنْ(٤)

فَلَوْ لَمَسْتَ الكَفَّ والرَّاحَتَيْن   شَهِقْتَ مِنْ لِينِهِمَا شَهْقَتَيْنْ

وَقُلْتَ لِي لاَ لَوْمَ يَا مُسْتَهَامْ

لَوْ جُعِلَ الخَاتَمُ حَيْثُ البَرِيم(٥)   لجَالَ فِي الخَصْرِ النَّحِيلِ الهَضِيم

وَرِدْفُهُ الضخمُ الثَّقِيلُ العَظِيم   لَوْ رَامَ إذْ يَقْعُدُ أنْ يَسْتَقِيمْ

بِلاَ مُعِينٍ لَعَرَاهُ القَتَام

---

(١) نَصَّه : يقال نَصَّ الشيء أظهره ورفعه ، ونصت الظبية جيدها رفعته (تاج العروس ، والمعجم الوسيط) .

(٢) المدور : جمع مدر ، والمدر الطيّن العلك الذى لا يخالطه رمل واحدته مدرة ، ويقال الطين الحر يؤخذ منه مدر فيمدر به (البستان لعبد الله البستانى ، و(المعجم الوسيط) ويقال هو قطع الطين اليابس (لسان العرب) .

(٣) الدملج : سوار يحيط بالعضد (المعجم الوسيط ، وتاج العروس للزبيدى) .

(٤) المسكتان : مثنى المسك وهو الأسورة والخلاخيل من القرون والعاج — والواحدة بهاء — وفى حديث أبي عمرو النخعى — رضى الله عنه — : رأيت النعمان ابن المنذر وعليه قرطان ودملج ومسكتان (تاج العروس للزبيدى ، والبستان لعبد الله البستانى) .

(٥) البريم : حبل فيه لونان ، مزين بجوهر ، تشده النساء على الوسط والعضد ، ويقال خيط ينتظم فيه خرز تشده المرأة على حقويها (تاج العروس ، ولسان العرب) .

مُدَمْلَجُ(١) الأفخَـــاذِ رَيَّانُهَـــا   مُنَعَّـــمُ السيقَـــانِ(٢) مَلْآنُهَـــا
لَوْ تَنْظُـــرُ الحُـــورُ وَوِلْدَانُهَـــا   إلَيْـــهِ يَوْمـــاً قَالَ رِضْوَانُهَـــا
هَذَا هُوَ الشمسُ وَهُـنَّ الظـلامْ
لا زِلْتُ فِي أفْعَالِـــهِ أعْـــجَبُ   يَغْضَبُ تِيهاً وهـو المُـــغْضِبُ
وَيَدَّعِـى أنِّـى أنـــا المُـــذْنِبُ   وإن بَدَا لِى عِنْـــدَه مَطْـــلَبُ
أتَّـى بِضِدَّيْـنِ بُكـــاً وابْـــتِسَامْ
دَعْ ذَا وَسِر وارْحَلْ عَلَى اليَعْمَلاتْ   فَمَا لِجَمْعِ الشَّمْلِ بَعْدَ الشَّتَاتْ
إلا وَخِيـدُ القُـلَّصِ النَّاجِيَـــاتْ   إلى أبِـى الغُـوْرِىِّ جمِّ الهِبَـاتْ
الملكِ الهادِى الإمـــامِ الهُمَـــامْ
بَحْـرِ العَطَايَـا بَرَكَـات الجَـوَادْ   وَمَـــنْ إذا جَادَ بمالٍ أجَـــــادْ
وفـارسِ الخَيلَيْـــنِ يَوْمَ الطِّـــرَادْ   مُرْوِى العَوَالِى والسُّيُوفِ الحِدَاد
مِنْ كُلِّ [ذِى](٣) نَحْرٍ وزِنْدٍ وَهَامْ
أصْوَبُ فى الرَّأْىِ مِنَ المِنْقَرِى(٤)   أشْجَـعُ من عَمْـرٍو ومِـنْ عَنْتَـرِ

---

(١) المدملج : المكتنز المسوى (تاج العروس والمعجم الوسيط) .

(٢) فى الأصل « الأسقام » ولعل الصواب ما أثبته وبه يستقيم المعنى والوزن .

(٣) إضافة على الأصل يستقيم بها الوزن .

(٤) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى ، أبو على ، أحد أمراء العرب وعقلائهم الموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم . ساد فى الجاهلية ، وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها ، ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد تميم سنة تسع من الهجرة فأسلم وقال النبى لما رآه : هذا سيد أهل الوبر ، واستعمله على صدقات قومه (الإصابة فى تمييز الصحابة ٣:٢٥٢ برقم ٧١٩٤) .

أَرْأَسُ مِنْ كسْرَى ومِـــنْ قَيْصَرِ أكْرَمُ مِن مَعْـن ومِـن جَعْفَـرِ[١]
وتُبَّـــعٍ والخُلَفَـــاء الكِـــرَام
وَلَـوْ تَرَى مِنْ حَالِهِـــمْ مَا تَرَى هو الثُّرَيَّـا والملـــوكُ الثَّـــرَى
فَلَـوْ مَشَى هَوْنـــاً وكُـــلٌّ جَرَى لِكَـيْ يَنَالُـــوا مَعَـــهُ المَفْخَـــرَ
لَفَاتَهُـــمْ لَوْ نَفَّـــرُوا وَاسْتَقَـــامْ
والمصطَفَى الهَادِى النبىُّ الرَّسُولْ أنْجَبَــــهُ حَيْـــدَرَةٌ والبَتُـــولْ
لَهُـمْ مِنَ اللهِ تَعَالَـــى القَبُـــولْ بُدُورُ هَدْيٍ مَالَهُـمْ مِن أُفُـــول
فِي الحَشْرِ مَهْمَا شُفِّعُوا فِي الأَنَامْ
يَا مَنْ زَهَـا الديـنُ بِهِ مُذْ مَلَكْ المُـــــلْكُ للهِ تَعَالَـــى وَلَكَ[٢]
ما أحـــــــدٌ عَادَاكَ إلَّا هَلَكْ أبَشَرٌ أنْتَ قُلْ لِى أمْ مَلَكْ
لَوْ كَانَ رَضْوَى أوْ حِرَا أو شَمَامْ[٣]
الكُـلُّ منهم قَدْ لَقِـى مَصْرَعَـــهْ أُنْظُـرْ مِنَ السَّعْــدِ إلى أربعـــهْ
للهِ هَذَا الــنَّصْرُ مَا أسْرَعَـــــهْ جَرَّعَـه الحتـفُ الـذى جرَّعَـــهْ
ذَا مُبْتَـدَا السَّعْـدِ وَعَـادَ الخِتَامْ /

---

(١) لعله جعفر بن أبى طالب فقد كات النبى صلى الله عليه وسلم يكنيه أبا المساكين ، استشهد بموقعة مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة (الإصابة فى تمييز الصحابة ١:٢٣٧ برقم ١١٦٦) . أو لعله جعفر البرمكى وزير هارون الرشيد وكان موصوفاً بكرم اليد والنفس (البداية والنهاية ١٠:١٨٩ ، ١٩٤ ، ووفيات الأعيان ١:١٠٥) .

(٢) بالغ الشاعر فجعل الممدوح شريكاً لله تعالى في ملكه. وهذا خروج عن التوحيد .

(٣) شمام : جبل أشم طويل الرأس ، وهو اسم جبل لباهلة ، ويقال : له رأسان يسميان ابنى شمام (معجم البلدان) .

٢٤٣و تَتَابَعُوا مِثْـلَ ثَمُـودٍ وَعَـادْ   وَعَـادَ واللهِ سِوَاهُـمْ وَعَـادْ
بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ بِنَيْـلِ المُـرَادْ   والظَّفَرِ الحُلْوِ بأهْلِ الـفَسَادْ
وكُـلِّ غَدَّارٍ أَلَـدِّ الـخِصَامْ
وبعدَ هَذَا يَا سَلِيـلَ المُلُـوكْ   يَا وَاهِبَ المَالَ لُكُوكاً لُكُوكْ(١)
أَبْشِرْ بما كانَ عَليـه أبُـوكْ   فالمصطفَـى والمرتضى نَاصِرُوكْ
وانْـحَسَمَ الشرُّ وكانَ الكـلامْ
يَآبْنَ الحُسَيْنِ المُنْتَقَى والـحَسَنْ   الدهُرُ قَدْ أَلْقَى إليكَ الرَّسَنْ
وَانْصَرَمَتْ عَنْكَ حِبَالُ الفِتَـنْ   وأقبَـلَ الشامُ وجـاءَ اليَمَـنْ
والسَّعْـدُ انْقَادَ فَخُـذْ بالزمـامْ
أَمَا تَرَى الدُّنْيَـا أَتَتْ طَائِعَـهْ   والخلقَ أعناقُهُـم خَاضِعَـهْ
وَهَـذِهِ أَبْصَارُهُـمْ خَاشِعَـهْ   فَقُـلْ وَآذَانُهُـم سَامِعَـهْ
وَآصْدَعْ بِمَا شِئْتَ مِنَ الاِحْتِكَامْ
يَا خَيْرَ مَنْ أَعْلَى المعالِي وشَادْ   وخَيْـرَ مَنْ قَامَ بأمـرِ العِبَـادْ
وقادَهـم نحوَ سَبِيـلِ الـرَّشَادْ   وأصلَـحَ الأمةَ بَعْـدَ الـفَسَادْ
هُنِّيتَ هَذَا الشهرُ شَهْرُ الصِّيَامْ
لا زِلْتَ تُبْلِي كُلَّ يومٍ جَدِيـدْ   وكُـلَّ حَجٍّ وصِيَـامٍ وَعِيـدْ
تَبْقَـى إلى مِيقَـاتِ يَوْمِ الوَعِيـدْ   فِي أَرْغَدِ العَيْشِ سَعِيـداً رَشِيـدْ
تَبْقَـى وَيَفْنَـى كُلُّ شَهْـرٍ وَعَـامْ

---

(١) اللكوك : جمع لك ، وهى فى العدد ــ عند أهل إيران والهند واليمن ــ : مائة ألف ، ــ وعند المولدين ــ : عشرة ملايين (المعجم الوسيط) .

مَا الرَّأْىُ فيمن لا يَنَامُ الليالْ   يُضْحِي ويُمْسِى قَلْبُه فى اشتِغَالْ
يَوَدُّ لَوْ هَبَّتْ رِيَاحُ الشَّمَالْ   وَاحْتَمَلَتْهُ نَحْوَ تِلْكَ الحِلَالْ
بكُلِّ مَا أَمَّلَ مِنْكُمْ وَرَامْ
حُزْ مَنْ يَشُدُّ البَكْرَ والمُقْرَبَا   وقُلْ لَنَا : شَأنكما فَارْكَبَا
فقد قَضَيْنَا لَكُمَا المَطْلَبَا   لَا زِلْتَ مَا هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا
فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ والسَّلَامْ

وفى المحرم سنة إحدى عَشْرَة أرسل السيد بركات ابنه السيد عليًّا ، وعَمّه إبراهيم بن بركات فى سَرِيَّة إلى بنى خالد عرب اليمن ، فصبَّحُوهم وقتلوا شيخهم وغيره ، ومسكوا أَخَا شَيْخِهِمْ فاضلاً ، فشُنِقَ بأمر الشريف ، ونَهَبُوا ماهما ، وتركوا بقيَّةَ الحلة ، وهؤلاء هم غرماء السيد إبراهيم بن بركات ، الذين كانوا نهبوه قبل ذلك ، ثم أرسلوا لأخيهما المحبوس بالقُنْفُذَة ، وأُمِرَ بشنقه فشُنِقَ ، ثم غُرِّقَ . ويقال إن المقتول منهم نحو العشرة ، والمأخوذ من خيلهم مثلها ، ومن الإبل كثير(١) .

ولما قَبَضَ رُزْمَك العادلىُّ(٢) على الخواجا شمس الدين محمد ابن يوسف القارى بجُدَّة ، وتَوَجَّه به إلى زُبَيْد ، ووصل الخبرُ السيدَ بركات ـــ وهو فى أهله باليمن ـــ جاء لجُدَّة هو والسيد

(١) بلوغ القرى لوحة ١٥٤و .

(٢) هو رزمك الجنبلاطى قاتل العادل طومان باى سلطان مصر قبل قانصوه الغورى (بدائع الزهور ٤ : ١٠) وقد سماه « أرزمك » .

قايتباى وعسكرهما ، ونزلوا بقرب جُدَّة فى آخر ربيع الثانى .

وفى أوائل جمادى الأولى سافرا لِزُبَيْد بعد أن أرسلا لهم أنهم يرسلون القارى ورزمك . فطلبَ مالكُ [بن رُومى][1] على ذلك أن يُجْعَل له الدربُ . فَرَدَّ الشريف الرسول بأنه لا يكون ذلك إلا حتى يصلا إلينا / . فارتفعوا وهربوا ؛ فتبعهم الشريفان والعسكرُ ، ٢٤٣ظ
والأميرُ شاهين الجمالى نائب جُدَّة إلى عُسْفَان ، ثم إلى خُلَيْص ، ثم إلى قُدَيْد إلى أن جاءوا لحِلَّتِهِم فوجدوهم قد هربوا بأنفسهم وبجميع أموالهم ، ولم يتركوا شيئاً إلا بعض بيوتهم الشَّعْر ؛ فأُحْرِقَتْ بالنار ، واستمروا فى إثرهم إلى قرب المدينة ، فسمعوا أنهم خَلَّفوا المدينة وراءهم ، فعادوا عنهم ، فلما وصلوا عُسْفَان أقام السيدُ بركات به ، والسيد قايتباى والأمير شاهين ومن تبعهما رجعوا لجُدَّة . ويقال إن السيد بركات أرسل أوراقاً لصاحب يَنْبُع والمدينة ولأهل خَيْبَر ، والسيد فارس بن شامان بالشرق ، ويقول لهم : إنى تبعتُ غريمَ السلطان ، وأنه هرب ومعه تاجرُ السلطان ، فإن جاءكم فاحتفظوا به .

وتوجّه السيد بركات من هناك فى جماعة من عسكره إلى عَرَبٍ من زُبَيْد ؛ ليأخذهم ، فلما صَبَّحَهم وجَدَهم مأخوذين ؛ أخذهم مُقَرَّظ بن مالك بن رُومِى فى اليوم الذى قبل تصبيحه[2] .

---

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٥٧و .

(٢) المرجع السابق لوحة ١٥٧و ، ظ ، ولوحة ١٥٨و ، ظ .

وفى جمادى الثانية وصل نائب السيد بركات بالقنفذة فتاهُ موسى بن بركوت ، وهو وَجْعَان بالحب[1] وغيره إلى فريق الشريف باليمن ، وأرسل له يطلبه ؛ فحضر إليه السيد بركات ، وأرسل لمكة يطلب له من يستحضر الجان ؛ فإنهم يظنون به سِحْراً . فأُرْسِلَ له مغربى ، فما وجد به شيئاً من ذلك[2] .

وأرسل الخواجا شمس الدين القارى لأهله ولأصحابه يطلب مالاً يُسْتَفَكُّ به مِنهم ، فمنعهم السيد بركات ؛ استكثاراً لما طلب ؛ وهو ثمانية آلاف دينار ، وقال : يكفى ألف . وأعطى السيد بركات جماعة القَارِى أَلْفاً من عنده ، ثم بعد ذلك جمعوا المالَ من التجَّار ، وأرادوا إرساله سِرًّا وما يظهرون له إلا ألفاً ، فمنعهم وقال : لا يمكن الاجتماع بزُبَيْد إلا بحضورى[3] . فتوجّه للسيد بركات — وهو بفريقه — الأميرُ شَاهينُ الجمالى والخواجا شمسُ الدين الحموى ، وكلَّمَاه فى ذلك وعادا . وتوجَّه السيدان بركات وقايتباى لأجل خلاصه ، وكانوا قربوا إلى خُلَيْص ، ثم حصلَ لهم ما أوجب الرجوعَ إلى أهلهم . يقال إنه أخذ لهم إبل ، ويقال إنه ليس معهم زاد ، ويقال بأنهم سمعوا بأن الشريف يجمع عسكراً فخافوا . فلما لم يحصل اتِّفاق أرسل السيد بركات لجُدَّة أَلَّا يَمْتَارَ أحدٌ من عرب الشام ولا بنصف أشرفى[4] .

(١) أى الحب الإفرنجى ، وانظر التعليق ٣ ص ١٦٩ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٥٨ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) بلوغ القرى لوحة ١٦٠و . وأضاف « والله أعلم بصحة ذلك . ويقال إن=

ثم وصل الشريفان وعسكرهما لجُـدَّة ، ووصل طَاهـر بن قَيْمَاز الإبراهيمى لزُبَيْد ، وطلب منهم القارى بمال ، ووصله أيضاً ورقةٌ من الشهاب أحمد الهندى يطلبه أيضاً ، وأن المال حاضر عنده بينبع ،وأنكم صَنَعُوا على يحيى أولى من الصنيع على غيره(١) . فتشوش الشريف بركات لذلك ، وكتب ورقتين للأميرين شاهين وبَكْبَاى يعرفهما ذلك .

وفى رمضان وصل لجُدَّة نائبها الأمير حسين والشريف عرار ابن عِجْل من البحر ، معهما مراسيم للسيد بركات وغيره ، وقماش كثير للسيد بركات من السلطان ــ يقال خمسون قطعة من التفاصيل والمناديل والفوط السكندرية والمجرَّحات(٢) ، والثياب البعلبكى ، والفوط الوهيبى(٣) ، والجوخ والصوف ــ والله أعلم .

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير حسين ، وحج السيد
٢٤٤و بركات ، وأخوه السيد قايِتْبَاى / والأمير شاهين الجمالى ؛ جاء من
المدينة وحجّ ، وبعد الحج أراد التوجّه للمدينة فخاف العَوْدَ من

= ذلك لعله ــ إن صح ــ يكون لم يقع له اتفاق مع زبيد ؛ بسبب الطريق ، وإرسال الخواجا شمس الدين القارى » .

(١) فى بلوغ القرى لوحة ١٦٠و « على بركات » .

(٢) المجرحات : لم أقف على تعريف بهذا المصطلح فيما تيسر من المراجع .

(٣) الفوط الوهيبى : الفوط جمع فوطة ، وهى ثوب قصير غليظ يتخذ مئزراً ، كان يجلب من السند ، وإزار كالميدعة يلبس فوق الثياب ليقيها أثناء العمل (المعجم الوسيط) ولم أقف على سبب نسبتها للوهيبى .

الطريق المعتادة ؛ فإن هَجَّان بن دَرَّاج وَلِىَ ينبع وهو واصل مع التجريدة . فاجتمع يحيى بن سبع وبنو إبراهيم وزُبَيْد بالطريق ، وأراد التوجّه من الشرق فتوجّه معه الشريفان إلى أن أوصلوه لمأمنه ، وظفر الشريفان بفريقين لعُتَيْبَة ، وغنموا شِيَاهاً كثيرة ، ولم يظفروا من الرجالة إلا بسبعة ؛ فقتلوهم(١) .

وفى جمادى الثانية سنة اثنتى عشرة وصل لجُدَّة الخاصِّكِىّ إينال الغورى وبها السيد علىّ بن بركات ، فما ألبسه الخلعة ، أو ما رضى هو يلبس ، فأرسل الخاصكى للسيد بركات يقول له : إن كنتَ طائِعاً فتعالَ وَالْبَس خِلْعَتَكَ فى الفُرْضَة . فلما سمع الشريف تغيَّظَ وقال : إن معى مَرْسُوماً أنى أواجه من أشاء ، وأترك مواجهة من أشاء ، وأن يحيى بن سبع له مُدَّةٌ لم يواجه ، وكذا صاحب المدينة حسن بن زُبَيْرِىّ . ولما عرض له الشريفان قايتباى وعلى بن بركات خلع عليهما(٢) .

وفى هذا الشهر أيضاً وصل قُصَّادٌ بمراسيم للسيد بركات ولنائب جُدَّة وفيها : ألا يخرج عن رأى السيد بركات ، وتَقْرِيعُ نائب جُدَّة ، وأنه لا يخرج عن رأى السيد بركات . وخرج الأميرُ إليه ــ وكان نازلاً بقُرْب جُدَّة ــ وسأله كتابة محضر ، فكُتِبَ وكَتَبَ

(١) بلوغ القرى لوحة ١٦٤و ، ١٦٥و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٦٧ظ ، ١٦٨و .

فيه الشريفان والقضاة[١] .

وفى شعبان وصل الخبرُ أن التجريدة وصلَتْ لِيَنْبُع ، ووصل قبلهم بيوم المُتَوَلِّى لينبع هَجّان بن دَرَّاج ، ثم وصل مرسومٌ من أمير التجريدة خايِرْبَك الكاشف إلى السيد بركات ، ويخبره أن خَاصِّكِيًّا أرسلناه لكم من رابع رجب ، ونذكر لكم معه أنَّا لا نصِلُ إلى ينبع إلَّا نَجِدكُم بها ، والآن نصلُ مع جميع العسكر إلى يَنْبُع لأجلِ مَشُورَتِكُمْ فيما يُفْعَل ، وجاء الشريفُ فى ليلته إلى قُرْبِ مَكَّةَ إلى قُوزِ المكَّاسَة ، وطَلَبَ الباشَ ليستعينَ به على نائب جُدَّة والخواجا المسلاتى ؛ ليُعْطِيَه ما يَتَجَهَّزُ به هو والعسكر ، فأوْعَدُوه ، وأنه يتوجّه هو والعسكر من الأتراك يوم الاثنين[٢] .

وفى صبيحتها أرسل الشريف للأمير والترك نحو ثلاثمائة خروف ، ففُرِّقت عليهم . وذلك مِنْ كَسْبِ غَزْوَةٍ كان أرسل فيها أخاه السيد قايتباى إلى بعض العُربان بجهة اليمن ، فغنموا شيئاً كثيراً ، وعادوا ، وأرسل لجُدَّة أيضاً لنائبها وعسكره ، يقال مائتان ، وتوجَّه الأمير الباشُ بَكْبَاىْ لجُدَّة ثم إلى ينبع للتجريدة[٣] .

وسافر السيد بركات والعسكر لينبع ، وفى طريقه ظَفِرَ بفَرِيقَيْن أو أكثر من زُبَيْد ، فنهبهم وأخذ إبلهم وغنمهم . فلما وصل يَنْبُعا

(١) المرجع السابق ١٦٨و .
(٢) بلوغ القرى لوحة ١٦٩و .
(٣) المرجع السابق .

أعطى الأمير جُملةً من الإبل والغنم ، وفرَّق كثيراً على عسكر التجريدة ؛ فشكروه وحمدوا له ذلك .

وقَبْلَ وصوله هَجَمَتْ التجريدةُ على بنى إبراهيم وقَتَلُوا منهم مَقْتَلةً عظيمة ، وهربوا ، وقالوا : لولا الليل حَجَزَ بينهم لما نَجا منهم أحد ، واستولوا على جميع ما لَهُم من نساء وأولاد ورقيق ، ومال وأثاث ومأكول ، وجُهِّز رءوس جماعةٍ سُلِخت وحُشِيَتْ تِبْناً إلى السلطان بحراً مع أميرٍ من العشروات يقال له خَايِرْبَك المِعْمَار[1] .

ولما وصل السيد بركات إلى قُرب ينبع جلس بالدَّهْنَاء[2] ، ولم يُوَاجِه الأميرَ ، فسمع بنو إبراهيم بذلك ، وأن بعض عسكر التجريدة / سافر لمكة والمدينة ، وللساحل بينبع الصغيرة ، وأن ٢٤٤ظ الباقين فى قِلَّة ، فعزَمُوا على كَبْسِ التجريدة لِكَوْنِهِمْ فى قِلَّة ، فجاءوا إلى التجريدة فى نحو سبعين وألف راجل ، فجاء الخبرُ لصاحب يَنْبُع الشريف هَجَّان[3] بن دَرَّاج فتأهَّبَ لهم ، وأرسل للسيد بركات إلى الدَّهْنَاء مَرَّتين وهو لم يُصَدِّق ؛ فَدَهموا ابنَ دَرَّاج ، فوقعَ القتالُ بينهم فتَلاحَقَ عَسْكَر التجريدة ففرَّ أهلُ الخَيْل بعد أن قُتِلَ بَعْضُهم واقْتُلِعَ

(١) المرجع السابق .

(٢) الدهناء : قرية نواحى ينبع شرق جبل عرعر ، كانت عامرة كثيرة النزل ، وزراعتها حسنة ، كان يسكنها بنو إبراهيم الأشراف ، وتعرضت لغزو سلاطين الأتراك فهجرت بعد أن دمرت ، وكانت محطة للحاج فى ذلك الطريق . ويقال : تقع بين ينبع وبدر ، وهى إلى ينبع أقرب (معجم معالم الحجاز ، وعلى طريق الهجرة ١٩٤) .

(٣) فى بلوغ القرى لوحة ١٧٠و « هجار » .

بعضُ خَيْلِهِم ، ووقَعَ القَتْلُ فِى الرَّجْل كثيراً ، ولم ينج منهم إلا القليل .

ثم لما وصل السيد بركات وعسكرُه فوجدهم منهزمين ، فقتلوا الهارب ، وفرّق بينهم الليل ، والتركُ وقعوا فى بعض أصحابهم لعَدَمِ معرفتهم بهم[١] .

ومِمَّن قُتِلَ مع بنى إبراهيم من أهل مكة : عبد الله بن محمد ابن مسعود الحسنى ، جاء الخبرُ بذلك لمكَّة فى أوائل شوَّال[٢] .

وقال صاحبنا العلامة شاعر البطحاء شهاب الدين أحمد بن الحسين بن العُلَيْف ، المكى الأصل المدنى يمدحُ السيد بركات ، ويهنئه بالنصر على أعدائه بنى إبراهيم فى هذه الواقعة بقصيدة حسنة طويلة ، أولها :

العِزُّ تَحْتَ ظِلَال البِيضِ والأسَلِ
يَوْمَ الطِّعَانِ وَسَبْقِ السَّيْفِ لِلْعَذَلِ
والمَجْدُ مَا شَادَ ذِكْراً أَوْ بَنَى شَرَفاً
يَبْقَى وَمَا شَدَّ رُكْنَ المُلْكِ والدُّوَلِ
والعَزْمُ مَا خضَعَ الأَعْدَا لِهَيْبَتِهِ
ذُلًّا ومَا صَيَّرَ الأفكارَ فى شُغُلِ

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

منها :

لا يُدْرِكُ الثأرَ إلَّا كُلّ ذِى حَسَبٍ
بالسَّيْفِ مُشْتَمِلٍ بالرُّمْحِ مُعْتَقِلِ
مثل الشَّرِيف أبى عجلان مَنْ شَرُفَتْ
قَنَاتُه بنَجِيعِ الفَارِسِ البَطَلِ
الفاطِمِىّ الذى عَزَّتْ مَنَاقِبُهُ
عَنِ النَّظَائِرِ والأَشْبَاهِ والمُثُلِ
مَلِك إذا رَايَةٌ لِلمَجْدِ قَدْ رُفِعَتْ
يَنَالُهَا وَسِوَى علْيَاهُ لَمْ يَنَلِ
ذو عَزْمةٍ كَغِرَارِ السَّيْفِ مَاضِيَةٍ
وَهِمَّةٍ فى العُلَى تَسْمُو عَلَى زُحَلِ
يَرَى العَوَاقِبَ فى(١) مِرآةِ فِكْرَتِهِ
غَيْباً وَيَقْضِى بِحُسْنِ الرَّأْىِ فى العَمَلِ
حَامِى الحَقِيقَةِ فى وِرْدٍ وفى صَدَرٍ
مَاضِى العَزِيمَةِ مِقْدَام عَلَى الجَلَلِ
مولىً إذا ثَوَّبَ الداعِى وقَدْ لَقِحَتْ
حَرْبٌ يُلَبِّيهِ لَا مُسْتَفْهِماً بِهَلِ

ومنها :

تَفَرَّعَتْ عَنْ صَمِيمِ المَجْدِ دَوْحَتُهُ
من مَعْدِنِ الوَحْيِ مَثْوَى خَاتَمْ الرُّسُلِ

---

(١) فى سمط النجوم العوالى ٤ : ٣٢٠ « من مرآة .

مَوْصُولَــةٌ بِرَسُولِ اللهِ نَبْعَتُـــهُ
أَكْرِم بِفَرْعٍ بِذَاكَ الأَصْلِ مُتَّصِلِ
مُقَابلٌ بَيْنَ فَرْعَىْ دَوْحَةٍ شَرُفَتْ
بَيْنَ البَتُولِ وَبَيْنَ الطَّالِبِىّ عَلِى
مَغْنَى الرسالةِ والتَّنزِيلِ مَعْهَـدُهُ
أعظِم بذلك مِن بَيْتٍ وَمِـنْ نُزُلِ

ومنها :

لَوْلَاكَ يا بركات الجُودِ مَا اعْتَدَلَتْ
للمُلْكِ قائمةٌ آلَتْ إلى مَيَـلِ /
٢٤٥و كَم عَزْمَةٍ لك فى الأعْدَاءِ صادقةٍ
أمضَى مِنَ الهِنْدوَانِيَّاتِ فى القُلَلِ
تكفَّلَت لكَ أطرافُ الرماحِ بِهِمْ
والمُرْهفَاتُ وكلٌّ بالوفـاءِ مَلِى
فى مَأْزِقٍ ضَيِّقٍ صَوْتُ الكماةِ بِهِ
قرعُ الصوارِمِ بالخَطِّيَّـةِ الذُّبُـلِ
طَرَقْتَـهُ ثَابِتَ الأَركانِ مُبْتَسِمـاً
كاللَّيثِ يَفْتَـرُّ عَنْ أَنْيَابِهِ العُضُلِ
هَتَكْتَ فِيهِ حِجَابَ الدَّارِعِينَ عَلَى
سُمْرِ القَنَا غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلَا وَكِلِ

ومنها :

كالَّيْثِ والغَيْثِ[1] فِى حَالَىْ نَدًى ورَدًى
تُرْجَى وتُخْشَى لِرِزْقٍ أو عَلَى أجَلِ
تروى السيوفَ دِمَاءَ الناكِثِينَ كما
تُقْرِى الضُّيُوفَ سَدِيفَ الكُومِ والإبلِ
مثل الغَضَنْفَرِ فى الهَيْجَاءِ يَوْمَ وَغًى
وفى السماحة مثل العارِضِ الهَطِلِ
أدْرَكْتَ بالصَّبْرِ مَا تَعْيَا الملوكُ بِهِ
ونِلْتَ بالحَزْمِ ما يُرْبِى عَلَى الأَمَلِ
فى مَعْشَرٍ مَرَقُوا فِى الدينِ وَٱرْتَكَبُوا
مَحَارِماً آذَنَتْ بالإِثْمِ والزَّلَلِ
لَمَّا نَوَوْكَ وعَيْنُ السَّعْدِ كَالِئَةٌ
صَبَرْتَ صَبْرَ كَرِيمٍ غير مُحْتَفِلِ

ومنها :

ينام طرفك والأوهام تُسْهِرُهُمْ
خَوْفاً وتَهْدَأ والأفكارُ فى جَدَلِ
حتى إذا أَيْنَعَتْ للقَطْفِ رُوسُهُمُ[2]
وَحَانَ بالسَّيْفِ مِنْها مُنْتَهَى الأَجَلِ
صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ لَوْ صَدَمْتَ بِهِ
هَضَبَاتِ رَضْوَى لَعَادَتْ مِنْهُ فِى خَلَلِ

(١) فى سمط النجوم العوالى ٤: ٣٢١ « كالغيث والليث » .
(٢) فى المرجع السابق ٤: ٣٢٢ « أرؤسهم » .

يكـادَ يَسْمَـعُ وَقْـعَ المُرْهَفَـاتِ بِهِ
مَنْ بالخُرَيْبَــةِ ممتــداً إلى ثُوَلِ[١]

ومنها :

للهِ دَرُّكَ مِنْ طَلَّابِ وَاتِـــــــرَةٍ
غَادَرْتَ رَبْعَ العِدَى رَسْماً على طللِ
تركتهـــم جزراً فى كل موحشـــةٍ
للـوَحْشِ والطيـرِ كالأنعـام والثِّلَـلِ
أذَقْتَ آباءَهُـمْ ثُكْـلَ البَنِيـنَ كَمَـا
أيَّمْتَ مِنْهُنَّ ذَاتِ الـدَّلِّ والكُحُـلِ

ومنها :

ومُذْ سَفَكْتَ[٢] دِمَاءً مِنْ نُحُورِهِمُ
كَفَفْتَ يَا ذَا الحِجَى عَنْ بَيْضَةِ الكِلَلِ
وَصَارَ كُلُّ زَعِيـــمٍ فِى عَشِيرَتِــهِ
يَقُـولُ لَا نَاقَتِـى فِيهَـا وَلَا جَمَلِـى

(١) ثول : بضم المثلثة وفتح الواو ، ولام : هو الخبت الذى يصب فيه ماء أمج قبل البحر ، فيه مزارع عثرية ، وكان مشهوراً بجودة دخنه ، وفيه بلدة الدعيجة على الطريق بين جدة ورابغ . ويقال : إن هناك مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته (معجم معالم الحجاز للبلادى ، وعلى طريق الهجرة ٣٦ ، ٥٣) .

(٢) فى الأصل « قد سفكت » والمثبت على سمط النجوم العوالى ٤:٣٢٢ .

أيـنَ المَفَــرُّ وَخَيْــلُ اللهِ طَالِبَــةٌ
والسَّعْدُ يَغْتَالُهُمْ فِى السَّهْلِ والجَبَلِ
كَفَى بِسَيْفِكَ وَعْظاً فِى مَصَارِعِهِمْ
لِكُـلِّ مُنْهَـزِمٍ منهُــم وَمُنْخَــزِلِ
مُذْ عَايَنُوا الذَّبْحَ فى أَحْلَافِهِمْ نزعوا
[إليك مِنْ وَهْـن فيهم ومـن وَهَـلِ
لا تعطهم يا أبا عجلان عارفة][1]
وَمَـا يَرُومُـونَ مِنْ وَجـهٍ ومِـنْ قِبَـلِ
وَلَا تُتَابِـعْ هِجَــاراً فِى رِعَايَتِهِــمْ
لَيْسَ الشَّجِىُّ رَعَاكَ اللهُ مِثْلَ خَلِـى
لا تَحْرِقُ النَّـارُ إِلَّا كَفَّ لَامِسِهَـا
وَلَا أَخُو كَبِدٍ حَرَّى كَذِى بَلَـلِ /

ومنها : ٢٤٥ظ

فَاغْضَبْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعْ كُلَّ مَكْرُمَةٍ
تَبْقَى وقوِّضْ خِيَامَ العِزِّ[2] وارتَحِـلِ
وَاذْكُرْ أبا القَاسِمِ السَّامِى وَمَصْرَعَهُ
كَذَاكَ مَصْرَعَ إبراهيــمَ خَيْرِ وَلِـى

---

(١) ما بين الحاصرتين عن سمط النجوم العوالى ٤ : ٣٢٣.
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « الغز » .

السادةَ القَادَةَ الأملاكَ مَنْ حَسُنَتْ
بِذَاتِهِم بَهْجَةُ الأيَّامِ والدُّوَلِ
لَا تَجْعَلِ المَالَ عَنْ أرْوَاحِهِمْ بَدَلَا
مِنَ اللِّئَامِ فَبِئْسَ(١) المالُ مِن بَدَلِ
إِيَّاكَ والعَفْوَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ غُدُرٌ
لَا تَجْعَلِ الجدّ فِيهِمْ مَوْضِعَ الهَزَلِ
وَتَتْرُكَ الحزْمَ عَيْناً ثُمَّ تَطْلُبُه
دَيْناً فَتَقْرَع سِنَّ النادِمِ الثكِلِ(٢)

ومنها :

لا تَقْطَعْ الرِّجْلَ مِنْ قَوْمٍ وَتَتْرُكُهُمْ
وَالرَّأْسُ فِيهِمْ صَحِيحٌ غَيْرُ مُنْجَدِلِ
فالحِلْمُ زَيْنٌ ولكنْ يابْنَ حَيْدَرَةٍ
فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ضربٌ مِنَ الخَبَلِ
والصفحُ عَنْ مُجْرِمٍ مِنْ بَعْدِ مَقْدِرَةٍ
عَجْزٌ وَلَسْتَ بِذِى عَجْزٍ وَلا مَلَلِ
فِيمَ التَّغَاضِى وَمَا بالعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ
والجُرْحُ مِنْهُمْ طَرِيٌّ غَيْرُ مُنْدَمِلِ

(١) فى الأصل « فليس » والمثبت عن سمط النجوم العوالى ٤:٣٢٣ .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « النكل » .

حَاشَا عُلَاكَ أبا عجـلان مِنْ مَلِكٍ
تُعْطِى الدَّنِيَّـةَ أو تُؤْتَـى مِنَ الخَتَـلِ

ومنها :

فَمَـنْ يُبَلِّـغُ عَنِّـى غَيْـرَ مُعْتَـــذِرٍ
يَحْيَى بنَ سَبْعٍ مَقَالاً لَيْسَ بالخَطَلِ[1]
وَمَالِكـاً وابـنَ قَيْمَـــازٍ وَشِيعَتَهُـــمْ
والتابـعين مِنَ الأَوْبَـاشِ[2] والسِّفَـلِ
لَا بُدَّ أن يَبْلُـــغَ الموتُـــورُ غَايَتَـــهُ
وَيَشْرَبَ الكأسَ سَاقِيهَا عَلَى عَلَـلِ
فالصَّبْـرُ يُحْمَـدُ والأَيَّـــامُ كَافِلَـــةٌ
عُقْبَى النجاحِ ونيلَ السُّـولِ والأَمَـلِ
إن تَجْحَدُونَ[3] أبا عَجْلَانَ فَرْسَتَـهُ
فِيكُـمْ وَمَـا كَانَ مِنْ أَيَّامِـهِ الأُوَلِ
سَلُوا مَواضِيهِ عَنْهَا فَهْـىَ تُخْبِرُكُـمْ
فالسَّيْفُ والرِّمْحُ أزْكَى شَاهِدٍ وَوَلِى

ومنها :

(١) كذا فى الأصل ، وفى المرجـع السابـق ٤ض٣٢٤ « ... مقـالاً غير ذى خطل » .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « والأوشاب » .
(٣) كذا فى الأصل ، وسمط النجوم العوالى ٤ : ٣٢٤ .

لَوْلَا العَرَانِيـنُ مِنْ أَبْنَـا أَبِيـهِ لَمَـــا
جَاوَزْتُمُ الرَّمْلَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ فَشَلِ
وَلَا وُطِئْتُـمْ عَلَـى ذُلٍّ وَمَسْكَنَـةٍ(١)
مَوَاطِئـاً ما لَكُـمْ فِيهِـنَّ مِنْ قِبَـــلِ
لَيْسَ القَضَاءُ بِكُمْ يَشْفِى ضَمَائِرَهُ
إنَّ القَضَاءَ مِنَ الأَكفـاء(٢) والمُثُـلِ
وإنما طَهَّـــــرَ اللهُ البـــــلادَ بِهِ
مِن مِلَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ أشْرَفِ المِلَلِ

ومنها :

دُمْ ظَافِـراً يا أبـا عَجْـلَانَ فى دعـةٍ
قَرِيـرَ عَيْـنٍ بما أَدْرَكْتَ مِنْ أمَـــلِ
فقد أقَمْتَ اعْوِجَاجَ المُلْكِ مِنْ أَوَدٍ
وَصَارَ مُعْتَـدِلاً مَنْ كَانَ ذَا مَيَـــلِ
وَخُـذْ نَسِيـجَ ثَنَـاءٍ صَافِيـاً حَسَنـاً
يَكْسُوكَ مِنْ وَشْيِهِ أَبْهَى مِنَ الحُلَلِ
عروسَ مَدْحٍ تهادى فى منصَّتها
تجُرُّ بالحُسْنِ ثَوْبَ(٣) التِّيهِ والغَزَلِ /

(١) كذا فى الأصل ، وفى سمط النجوم العوالى ٤: ٣٢٥ « ومنقصة » .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « الأشباه » .
(٣) كذا فى الأصل ، وفى سمط النجوم العوالى « ذيل التيه » .

حَلَّيْتُهَا مِنْ سَجَايَـاكَ التـى شَرُفَتْ ٢٤٦و
عُقُــودَ دُرٍّ بها زَانَتْ مِنَ العَطَــلِ
يَفُـوحُ بَيْـنَ قَوَافِيهَــا لِمُنْشِدِهـــا
مِنْ طيبِ ذِكْرِكَ عَرْفُ المِسْكِ فى الحُللِ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ قدراً أنْ يُحِيطَ بِهَا
حُسْنُ الرَّوِيَّـة أو إحْسَانُ مُرْتَجِــلِ
وَاسْلَـمْ فإنَّكَ زَيْـنُ الديــن نَاصِرُهُ
وَافْخَرْ فإنَّكَ تَاجُ المُـلْكِ والـدُّوَلِ
ثم الصلاةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
محمـدِ المُجْتَبَـى مِنْ سَائِـرِ الرُّسُلِ

وفى النصف الثانى من ذى القعدة وصل مكة الشريفان والباش ، وأمراء التجريدة ، وعَرَضَ لهم السيد قَايِتْبَاى والسيد على بن بركات ، وأُلْبِسَا خلعتين . ثم لما جاءت الكُسْوَة عرضَ لها الأمراء مع المحمل ، ولَبِسَ الشريفان أيضاً خلعتين[١] .

ولما عاد ـــ بَحْراً ـــ الأمير خايربَك المعمار ، الذى توجّه بالرءوس لمصر عرَضَ له الشريفان والأمراء خيربك مقدم العساكر ، وأمير الأول قانى بَك الأشرفى ، وباش الترك بمكة جَانْ بَرْدِى ، واختلعوا كلهم ، وخير بك [المعمار و][٢] القادم ، وأرسلوا للسيد بركات : تَحْضر لتختلعَ ، فاعتذر ؛ فتوجَّهُوا له ، إلى مَحلّهِ بخُـمّ ،

(١) بلوغ القرى لوحة ١٧٠ظ ، ١٧١و .
(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٧١ظ .

فلاقاهم فى أثناء الطريق ، وألْبَسُوه الخلعة(١) .

ولما وصل القاضى ناظر الخواصّ علاء الدين على بن الإمام إلى جُدَّة بحراً بالمراكب . والعسكر المتوجهين للفِرنْج بالهند ، فى [صبح يوم الاثنين سابع عشر](٢) ربيع الثانى سنة ثلاث عشرة وتسعمائة ، كان السيد قَايِتْبَاى بالشرق ، فلاقاه السيد على بن بركات ، وخلع عليه .

وفى اليوم الثانى توجّه هو والأمير حسين نائب جُدّة وبعض التجار إلى السيد بركات ، وهو نازل بقُرْبِ جُدَّة ، وألبسه خلعة السلطان ، وقُرِئت المراسيم(٣) .

ولما وَصَل الشريفُ قَايِتْبَاى من الشرق اجتمع بالقاضى ناظر الخواص ، فَخَلَعَ عليه وعاد لأخيه ، وسافرا وعسكرهما لزُبَيْد ، فسمعوا بهم فهرَبَ الرجالُ وتركوا حِلَّتهم ؛ فظفروا بها وغنموها ، وتبعوا الرجال إلى قُرْب أبْيَار عَلِىّ عند المدينة فلم يظفروا بهم وعادوا راجعين ، وتبعوا أثرهم إلى أن ظفروا بهم بجبلٍ قُرْبَ الرَّوْحَاء ؛ فقتلوهم فى يوم السبت رابع عشرى جمادى الأولى .

وجاء الخبرُ لمكة فى ظُهْرِ يوم الثلاثاء سابع عشرى الشهر ، مع قاصد من السيد بركات ، وولده السيد عَلِىّ بأوراق منهما ومن

(١) أضاف المرجع السابق « ولم يصلوا إلى المخيم » .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٧٣و .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١٧٣و ، ظ .

غيرهما[١] .

والمقتولون مالِكُ بن رُومِيّ الزُّبَيْدِى شَيْخُهُـمّ ، وأولادُه الثلاثـة مُقَرَّظ ، وقَادِم ، وذَاعِر ، ومشهون بن رومى أخوه ، وولده بازَان[٢] ، وابن أخيهما زيـن بن شهـوان بن رُومـى ، وعَلـىُّ بن خُرَيْص ابـن عَمّ مالِك بن رُومِى وولده قَفْلَة ، ومحمـد بن مُقْبِـل وشَوْفَـان وخُزَامـى[٣] ثلاثتهم من ذوى رَوَايَـا ، وشادِى من ذوى جَمَّـاع . ولم يسلـم منهم إلا شَهَاوِن وولدُه ؛ لأنهما لم يكونا معهم ، وظفر بولَدٍ طفـل لمُقَـرَّظ ولد مالك بن رومى ، وجىء به للسيد بركات ، فاستوهبه منه السيـد محرم بن هزَّاع ، فوهبـه له . وتَشَوَّشَ السيـدُ بركان بمجيئهـم له به . وقُطِعَت / رءوسُ المقتولين وتوجّه بها السيّد بركات إلى يَنْبُع ، وأرسلهـا ٢٤٦ظ للسلطان مع القاضى ناظر الخَـوَاصّ العـلائى بـن الإمـام بحراً ، وكان أراد السيـد بركات إرسال ولـده السيـد على معهـم أيضاً ، فعـرض له وجع تخلَّف بسببه .

ولما وصل القـاضى ناظـر الخَـوَاصّ إلى مصر دخلهـا فى عَرْضَةٍ ، ووُضِعَتْ الـرءوس على الأَرْمَـاح ، وجُعِـلَ على رأس مالكٍ شَيْخِهِمْ منديـلٌ ليُعْـرَف به . وأمـرَ السلطـانُ ــ نصره الله تعـالى ــ بتعليق خمسة من الرءوس على باب زويلة ، وهى : رأسُ مالك وأولاده

(١) بلوغ القرى لوحة ١٧٣و ، ظ ، ١٧٤ظ .

(٢) فى المرجع السابق ١٧٤ظ « جازان » .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « حوامى » .

الثلاثـة وأخيـه . والبـاقى فُرِّقـوا على باب الـنصر والفتـــوح وغيرهما ، وزيِّنت مصر ومكة لذلك ، وسُرَّ المسلمون بقتلهم . وكل هذا بِسَعْـدِ السيد بركات وصَـبْرِهِ عليهم إلى أن أظْفَرَهُ الله بهم ، ويقـال عنـه إنـه قال : لو أردت جَمْعَهُم عَلَى طَعَامٍ مَا قَدَرْتُ عَلَى ذلك(١) .

وقـال فى هذه الواقعـة صاحبنـا الشيـخ الإمـام أوحـدُ عصرِهِ ، وأديبُ دَهْرِهِ ، الشهابُ أحمد بن العُلَيْـف المكـىّ قصيـدةً مهنئـاً بها السيد بركات لظفرِهِ بهم ، وأنشدناها بمنزلـه بمنًـى فى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة سنة خمس عشرة وتسعمائة ، أولها :

ذُرَى(٢) العِزِّ ما قَامَتْ عَلَيْهِ المَمَالِكُ
وَمَـا شَيَّدَتْـهُ المُرْهَفَـاتُ البَــوَاتِكُ
وَمَا اعْتَنَقَتْ فيـهِ الفَـوَارِسُ بِالوَغَـى
وَمَا صَافَحَتْ فيه الصِّفَاحَ النَّيَـازِكُ
وَقَتْلِ العِدَى صَبْراً كَما شَاءَتْ الظُّبَا
وَنَيْـلُ المُنَـى والفـائِت المُتَــدَارَكْ

منها :

فِدًى لأبِى عَجْـلاَنَ مَنْ رَامَ سَعْيَـهُ
وَمَنْ دُونَ ما رَامَ الحُتُوفُ النَّوَاهِكُ

(١) وانظر بدائع الزهور ٤:١٢٢ ، ١٢٤ . وبلوغ القرى لوحة ١٧٦ظ .

(٢) فى الأصل « أرى العز » والمثبت عن سمط النجوم العوالى ٤:٣٠٦ .

فَتًـــى تَرِدُ الآمَالُ مَنْهَـــلَ جُودِهِ
فَتُصْدِرُ عنه وَهْـوَ جَذْلَانَ ضَاحِكُ

ومنها :

إذَا سَارَ سَارَ الجُـودُ يَحْـدُو رِكَابَـه
وإن بَرَكَتْ عَنْ سَيْرِهَـا فَهْـوَ بَارِكُ
وفى التَّـاجِ غَيْثٌ بالحَيَـا مُتَهَلِّــلٌ
وَفِـى الـدِّرْعِ لَيْثٌ والتَّرِيكَـة زَامِكُ
أبادَ العِدَى فاسْتَدْرَكَ السيفُ فَوْتَـهُ
وَمِنْ قَبْلِهَا فِى الغِمْدِ لَا يَتَمَـاسَكُ

ومنها :

عَزِيـزٌ عليـه أن يَنَـامَ وَلَـــمْ تَقُـــمْ
بأرضِ العِدَى بالصَّافِنَاتِ المَعَـارِكُ
فَتَى الحَرْبِ لا تُثْنِيهِ خودٌ عَنِ الوَغَى
رَدَاحٌ وَلا تُصْبِيـهِ دُعْـجٌ رَكَـــارِكُ
أَبَى غَيْرَ ظِلِّ الرّمْحِ أو يُدْرِكَ المُنَى
فَلَمَّـا انْـقَضَى حَنَّت إليـه الأرَائِكُ
وأقْسَمَ لا يُثْنِى عَنِ الحَـرْبِ عَزْمَـهُ
إلى أنْ تُرَى فيـهِ الدمـــاءُ سَوَافِكُ
أبـاحَ حِمَـى الأعـداءِ مِنْـهُ بِغَـارَةٍ
كأنَّ الضُّحَى فيها مِنَ النَّقْعِ حَالِكُ

ومنها :

إذا وَعَـدَ اللهُ الفَتَــى مِنْــهُ نُصْرَةً
وَعِـزًّا وسَعْـداً أَيَّدَتْــهُ المَــلاَئِكُ
أَرَادَتْ زُبَيْـدٌ فِى جَنَـابِكَ دَوْلَــةً
فَضَلَّتْ بها أَوْهَامُهَـا والشَّكَـائِكُ /
٢٤٧و غَوَتْ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ مِنهُ[١] سَفَاهَةً
وَجَهْـلاً وَغَرَّتْهَــا ظُنُــونٌ بَوَاشِكُ
مَتَى كَانَتْ الأَوْغَادُ تَرْقَى إلى العُلَى
وَتَسْمُوا إلى عَالِـى الأمـورِ الزَّكَازِكُ
وتَخْـطُبُ أوشابُ الشَّوَايَا مَرَاتِبــاً
وتنهضُ للحـربِ الزَّبُـونِ الحَـوَاتِكُ
طَرَقْتَهُمْ وقتَ الهَجِيــرِ بِصَكَّــةٍ
عُمَّـى لَدَيْهَـا فَاتِـرُ[٢] العَـزْمِ فَارِكُ
فَغَادَرْتَهُـمْ صَرْعَـى بكُــلِّ تَنُوفَــةٍ
تُنَاوِحُهُــمْ رِيـحُ الصَّبَـا وَالــرَّوَائِكُ
تَقَــاعَسَ منها مالِكٌ ومُشَهْــونٌ
وكُلٌّ لَدَى الهَيْجَاءِ أَلْوَى مُمَـاحِكُ
وَطَـارَ بِهَـا خَوْفـاً أخـوه وقُلِّصَتْ
خُصَاهُ وَوَلَّـى وهـو حَيْـرَان عَاتِكُ

(١) كذا فى الأصل ، وفى سمط النجوم العوالى ٣٠٨:٤ « منها » .

(٢) فى المرجع السابق « فاتك العزم » .

وقَـامَ بِهَـا مَيْـلُ المُقَـرَّطِ واسْتَـوَى
وَمِـنْ قَبْلِهَـا فِى مَشْيِـهِ يَتَساوَكُ(١)
وزَيْـــنٌ وَبَـــازَانٌ بُرُوكٌ وَقَـــادِمٌ
وَذَاعِـرُ فى البَوْغَـاءِ(٢) بئس المبـارِكُ

ومنها :

لَئِنْ كُنْتَ عَنْ عَمْدٍ هَدَمْتَ عُرُوشَهُمْ
فإنَّكَ بَانِيهَـــــــا قَدِيماً وسَامِكُ
تَوَهَّمَهَـا الرِّومِـــىُّ نَهْضَةَ عَاجِـــزٍ
وَلَـمْ يَدْرِ أنَّ اللَّيْثَ بالـعير فَاتِكُ
وَكَيْفَ وأنتَ المُعْلَمُ الفَرْدُ فِى الوَغَى
وَرُمْـحُكَ طَعَّـان وسَيْـــفُكَ بَاتِكُ

ومنها :

أخَـذْتَ عَلَيْـــهِ نَقْبَ كُلِّ ثَنِيَّـــةٍ
فَضَاقَتْ عَلَيْهِ بالرِّحَابِ الـمَسَالِكُ
وَمَـا زَالَ يَجْـــرِى فى هَوَاهُ وَغَيِّـــهِ
وأنتَ لَهُ وَسْطَ العَـــــــرِيشَةِ بَارِكُ

(١) فى سمط النجوم العوالى ٤: ٣٠٨ « يتباوك » .

(٢) البوغـاء : التـراب عامـة ، ومـن النـاس : سفـلتهم وحمقاهـم (المعجـم الوسيط) .

وَهَانَ عَلَى الأيَّامِ مَا هُوَ فَاعِلٌ
وَعَزَّ عَلى العَلْيَاءِ مَا أَنْتَ تَارِكُ
إلى أن نَضَتْ عنه الحياةُ قِنَاعَهَا
فَعَاجَلَهُ مِنْكَ الحِمَام المُوَاشِكُ
فجرَّعْتَهُ كأساً أعَلَّ بِمِثلِهَا
أَبُوكَ أبَاهُ فارْتَدَى وَهُوَ هَالِكُ
وَلم يُنْجِهِ مِنْكَ الفِرَارُ لِحَيْنِهِ
فأَصْبَحَ مملوكاً وَمِنْ قَبْلُ مَالِكُ

وختامها :

وَلَا زِلْتَ تَحْيَا فى نَعِيمٍ وغِبْطَةٍ
وشَانِيكَ يَحْيَا فى المَذَلَّةِ رَامِكُ

ولما سمع السيد بركات وهو بينبع بتوجه قافلة من مكة فى رَجَبَ توجَّه معهم لزيارة جَدِّه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومعه أهلُه وزوجتُه الشريفة أم الكامل والدة السيد على ؛ فإنها لما سمعت أنَّ ولدها يُريدُ التوجُّه لمصر ذَهَبَتْ إليه لوداعه ، فاتفق تخلّفه بالوجع وزار معها ، وتصدَّق السيد بركات هناك ـــ على عادته ـــ بثلاثمائة دينار على أهل السُّنَّة[1] ، تقبل الله منه ، وشكر سعيه ، وبعدها عاد لينبع . وظفر صاحب ينبع بجماعة من أكابر بنى إبـــراهيم

(١) بلوغ القرى لوحة ١٧٥ظ .

فمسكهم ووضعهم فى الحديد ، منهم : الشريف هجان بن هومل الذى استصرخ أهل ينبع لقتال أهل مكة لما جاءوها ونهبوها . وجاء بهم للسيد بركات / فقالوا : أرْسَلَ لنا طَاهِرُ بن قَيْمَاز بأمانٍ منك . ٢٤٧ظ
فأحضره وسأله عن ذلك ، فقال : كان فى نِيَّتِى أسألك فى ذلك لهم . فأمر الشريفُ مَنْ تَوَجَّهَ بهم إلى البَحْرِ ليُرْسِلَ للسلطان بهم ، ثم خِيفَ منهم أن يَهْرَبُوا ، أو يَمُنَّ عليهم السلطان بالعَفْوِ ؛ فأمرَ بقتلهم فَقُتِلُوا ، وكان فِعْلُ ذلك مِنْ أعظم سرور أدْخَلَهُ على المسلمين ـــ نصره الله وأدام أيَّامه ـــ .

واستمرَّ ولدُه [عليٌّ][1] على حاله من الوجع ؛ فارتحلوا من ينبع قاصدين مكة . فلما كانوا بخَبْتِ البَزْوَاءِ قُرْبَ رَابِغ اتَّفَقَ موتُه هناك ، فى ضحى يوم الاثنين ثانى[2] ذى القعدة ، فحُمِلَ إلى مكة ، وَوَصَلَ معه أعمامُه السيد قَايِتْبَاى وغيره ، وخرجوا فى مائتى مُرَحَّل ، فتقطعوا ولم يصل مع الجنازة إلا خمسين راحلة ، ووصلوا مكة ضحى يوم الثلاثاء ثانى تاريخه ، ودخلوا به مكة من باب الشبيكة ، وجهز ببيت والده ، وحمل إلى المسجد ، وصلى عليه القاضى الشافعى عند باب الكعبة بعد العصر ، ونادى بالصلاة عليه الرئيس أبو بكر فوق ظُلَّة زمزم ، ووصفه بأوصاف كثيرة مناسبة له ، وحزن الناس عليه ، وضجوا بالبكاء ، ودفن بالمعلاة خارج قبة .

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) فى بلوغ القرى لوحة ١٧٦ظ « ثالث » .

جده ، ثم بنى عليه قبة لطيفة ، وعمل له ربعة فى المسجد الحرام ، والمعـــلاة صباحـــاً ومساءً إلى يوم الختم يوم الجمعـــــة سادس ذى القعدة[1] ، فأُنشد فيه بالمعلاة عدة مراث لجماعـة ، منهم : الرئـيس أبو بكر ، وابن عمه أحمد بن أبى القاسم الذويد ، وأبو الفتح بن أبى الخير الفاسى ، ونزيل الكرام بن أحمد الريمى ، وأنعمـوا عليهم بجائزة ، وممن رثـاه أيضاً ضمـن رسالـة أرسلهـا لوالـده الشيـخ العلامـة المفنـن الصالح عفيف الدين عبد الله أبو كثير بن أحمد بن محمـد الحضرمى الأصل ثم المكى الشافعى[2] ــ نفع الله به ــ وهى :

كَأْسُ المَنُـونِ عَلى الأَنَـــامِ تَدُورُ
وَلِرَبِّنَـــا كُلُّ الأمُـــورِ تَصِيـــــرُ
فالصبـرُ أَوْلَـى مَا تَدَرَّعَـهُ الفَتَـــى
للنائِبَــــاتِ وَعَاقِبَتْــــهُ سُرُورُ
بالمصطفى خيرِ الوَرَى وأُولِى النُّهَى
والمُــرْتَضَى فَلْيَــأْتَسِ النِّحْرِيــرُ
فَالكامِلُ المَغْبُوطُ مَنْ بِهِمُ اقْتَـدَى
فِى كُلِّ مَا جَا عَنْهُـــمُ مَسْطُــورُ

(١) أضاف المرجع السابق « وكان فى هذه السنـــة تزوج بنت عمـــه هزاع بن محمد » .

(٢) ترجم له النور السافر ١٢٥ . وفيه توفى فى ليلة السبت ثالث عشر ربيع الأول سنة ٩٢٥هـ .

وَنَـرَاكَ يَا مَخْـدُومُ أَفْضَلَ مَنْ يُرَى
فَاصْبِـرْ فإنَّك بالأمُـورِ خَبِيـرُ
لَا تَجْزَعَـنَّ عَلَى الفَتَـى إنَّ الفَتَـى
نِعْـمَ الفَتَـى لَوْ سَاعَـد المَقْـدُورُ
فاللّٰه يُعْظِـمُ أجْرَكُـمْ بِمُصَابِكُـمْ
وَمُصَابِنَـا فيـه فَنِعْـمَ النُّـورُ
عَمَـلاً وَرَأْيـاً كَامِـلاً وَمَكَارِمـاً
عُمِـرَتْ بها دُورٌ وَبَـاءَتْ دُورُ
فَعَلَيْـهِ مِنْ رَبِّ السمَـاءِ غَمَامَـةٌ
تَغْشَى ثَرَاهُ ما أَقَـامَ ثَبِيـرُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَـى النَّبِـيِّ وَآلِـهِ
مَا دَامَتْ الأكْـوَانُ مِنْـهُ تَنُـورُ /

وبعد الخَتْم توجّه الخطيب والقضاة والتجار إلى السيد بركات ٢٤٨و يعزونه فيه ، فوجدوه بناحية خُلَيْص فعزّوه وعادوا[١] .

ثم جاء الحُجَّاج ولاقاهم السيد قَايِتْبَاى ، وخلعوا عليه[٢] ، ولم يحج السيد بركات ، وبعد الحج نَزَل عَرَفَة[٣] .

وفى يوم الاثنين حادى عشر ربيع الأوّل من سنة أربع عشرة

(١) بلوغ القرى لوحة ١٧٧و .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق ١٧٧ظ .

وتسعمائة دخل مكة من الشرق السيد بركات وإخوانه السيد قايتباى وغيره وعسكرهم وعيالهم ، وخرج لِلقَائِهم القاضيان الشافعى والمالكى ودخلا معهم ، وابتهج الناسُ بدخول السيد بركات مكة ، وجَعَلُوه كالعيد ، وبرزَ للقائه الرجالُ والنساءُ ، وأظهروا مِنَ السرور ما لا يُعَبَّر عنه ــ فالله يزيده قبولاً وفضلاً وإفضالاً[١] ــ .

وفى ليلة ثانيه[٢] كان زَفَّة المولد ، وعقد القاضى جلال الدين ابن قاضى القضاة الخطيب فخر الدين أبى بكر بن ظهيرة على بنت ابن عمه السيدة أم الحسين ابنة القاضى الجمالى أبى السعود بن ظهيرة ، شقيقة قاضى القضاة الصلاحى ، بالمسجد الحرام[٣] ، حضره السيد بركات وقايتباى وإخوانهما وغيرهم .

وفى اليوم الخامس عشر منه سافر السيد بركات وإخوانه وعسكرهم إلى الوادى . وفى ثانيه فُرِّقَت صدقةٌ من السيد بركات ــ نصره الله تعالى وزاده فضلاً وقبولاً ــ على يد القاضى الشافعى ، ويقال إنها ثلاثمائة واثنان وستون ديناراً ، المفرِّق لها بأمر القاضى الشافعى فقيه القائد مفتاح البوقيرى ، ومعه إبراهيم بن بَيْسَق ،

(١) المرجع السابق ١٧٨ظ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشر الشهر » .

(٣) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٧٩و « والعاقد أخوها قاضى القضاة الصلاحى ابن ظهيرة » .

وتشوَّشَ بعضُ الفقهاء طَمَعاً فى الزيادة ، بل سافر بعضُ المهملين للشريف إلى الوادى ، وصادف وصول القاضى الشافعى للوادى فأرضاهم[١] . ووصل الشريفُ عرار إلى السيد بركات بالوادى من القاهرة بحراً من الطور إلى نحو الحَوْرَاء[٢] ، ونزل بَرًّا إلى ينبع ، ثم إلى الوادى ، ثم وصل إلى مكة مع السيد قَايِتْبَاى والشافعى محمد ابن السيد بركات [٣]فاجتمعوا بالحطيم هم وغيرهم ، فقُرئت المراسيم[٣] . وفى مرسوم الشريفين بركات وقايتباى الثناءُ عليهما ، وأنهما مُقَرَّبَان عندنا ، والتوصيةُ على عمارة عَيْن عَرَفة ، وعَيْن خُلَيْص ، ويُصْرَف على عَيْن خُلَيْص ثلاثمائة دينار ، وعلى عَين عَرَفة مهما أُصرف حتى لا تحتاج إلى عمل بعد هذا[٤] . وفى مرسوم السيد بركات : أرسلنا لكم خلعة ، وللسيد قايِتْبَاى أخرى ، وثالثة تُلْبِسُهَا مَنْ تُرِيد . فعيَّن لها وَلَده الشافعىَّ محمداً — وعمره خمس[٥] سنين — وسألَنَا الأميرُ طَرَبَاى فى تولية المدينة للشريف فارس بن

(١) المرجع السابق .

(٢) الحوراء : فرضة من فرض البحر الأحمر تلقاء ينبع ، ترفأ إليها السفن من مصر ، وآثارها باقية شمال أم لج على ضفة إضم الجنوبية (معجم معالم الحجاز) . ويقال : منزلة للحاج المصرى بين أكرى — أو فم الضيقة — وبين نبط ، وماؤها شبيه بماء البحر لا يكاد يشرب (درر الفرائد المنظمة ٤٥١) .

(٣) وفى بلوغ القرى لوحة ١٧٩ظ « واجتمعوا بالحطيم ، ومعهم الباش ، وقرئت ثلاثة مراسيم ، أولها للسيد بركات ، وثانيها للسيد قايتباى ، وثالثها للشافعى » .

(٤) أضاف المرجع السابق « ولم يذكر عين مكة التى هى أولى منهما » .

(٥) فى المرجع السابق « أربع سنين » .

شامان فأجبناه لذلك ، وأرسلنا له خلعة ومرسوماً .

ولبس الشريفان قايتباى والشافعى محمد بن السيد بركات خلعتيهما ، وطافا — والشافعى محمول لصغر سنه — .

وفى يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة جاء الخبرُ من السيد بركات — وهو بالشرق — أنهم غزوا عَرَب نَاصِرَة[١] ، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ؛ نحو ثلاثين أو أربعين رجلاً ، وغنموا غنمهم وجميعَ حلتهم ، وكانوا أُنذِرُوا فهربوا بإبلهم ، وحصل لكلِّ فارسٍ عشرون شاة ، ولكل راجل عشرُ شياه . وقُتِلَ من جماعة الشريف علىُّ بن غُرَاب ، وقَوَّاسَان ، وقامت النائحة على المقتول الأوّل ، وتأسَّف الناس عليه[٢] .

٢٤٨ظ ولما جاء الحاج / لاقاهم الشريفان قايتباى والشافعى محمد ، وخُلِعَ عليهما[٣] .

وفى ثالث عشر ذى الحجة تسحَّب الشريف راجح بن محمد ابن بركات إلى القاهرة برًّا ، يقال فى ثلاثين راحلة وفرسين ، ويقال

---

(١) ناصرة : إحدى الفروع الرئيسية الثلاثة لقبيلة بلحارث ، القاطنة جنوب الطائف ، وديارهم تجاور ديار بنى سعد من الجنوب ، وناصرة أيضاً : بطن من الزنابجة من بنى شعبة من كنانة (معجم قبائل الحجاز) .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٨١و .

(٣) وكان ذلك فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى ذى القعدة سنة ٩١٤هـ (بلوغ القرى لوحة ١٨٢ظ) .

خمسين راحلة ، وأنه كتبَ كتاباً لأخيه السيد بركات يقول له : أنتَ كبيرُنا وسيِّدُنا ، ولو كان الأمرُ لك ما فعلت ، وأشار أو اشتكى ما هو متضرِّر منه . فأرسلَ السيد بركات — وهو باليمن — الشريف عرار[١] بن عجل إلى مكة بأوراقٍ لأمراء الحج وغيرهم بأنهم يَرُدُّونَهُ — والله يقدر للمسلمين ما فيه الخير — .

وفى صفر من سنة خمس عشرة وتسعمائة دخل السيد بركات جُدَّة ، وشقّ من الفرضة وتوجّه إلى فرضته[٢] ورمى الفريق[٣] قربَ جُدَّة بالشَّعبى .

وفى ربيع الأول منه سمعنا بوصول بعض التجار من الهند لقرب جدة فمات ، فأخذ ماله نائب جدة النورى على بن خالص ، وأعذر السيد بركات وأخوه فى ذلك ، ويقال إن ماله بنحو عشرين ألفاً ، وإن السيد بركات يريد يرسل للسلطان بهدية طائلة بنحو ذلك — والله أعلم[٤] — .

وفى جمادى الثانية توجّه السيد بركات ، والسيد قَايِتْبَاى

(١) فى الأصل « غراب » والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٨٣و .

(٢) المراد بفرضته هنا : القدر المخصص من الميناء لأمير مكة ترسو فيه السفن التى يرسمه .

(٣) الفريق : يراد به هنا أتباعه من الجند والغلمان . ورمى بهم أى تركهم وأنزلهم .

(٤) بلوغ القرى لوحة ١٨٥و .

وإخوانهما وعيالهما وعسكرهما إلى أرض حَسَّان بوادى مَرّ ، وعمل زواج السيد مُحَرَّم بن السيد هَزَّاع على الشريفة شَمْسِيَّة بنت السيد بركات ، وأرسل للقاضى المالكى فحضر ، ثم لولديه ، فعقد القاضى المالكى العقدَ ببيت السيد بركات بأرض حسَّان ، وعنده إخوانه وجماعته ، وحضر الرئيس أبو بكر بن أبى عبد الله ، وزين الدين بن مُحِبّ المدنى ، والشيخ على الرَّدَّاد الضَّرِير ، وأبو الفتح بن أبى الخير الفاسى ، والمؤدِّب شمس الدين محمد الغزى الحنبلى . فَبَعْدَ العقدِ ختَمَ الرئيسُ ودَعا بدعاءٍ عظيم ، وأنشد الرَّدَّاد وابن مُحِبّ ، ثم خرجوا للفازة ، فانتصى[٢] العروس وجميعُ الحاضرين ، وألصق السيد قايِتْبَاى خمسين ديناراً ، والقاضى المالكى عِشْرِين ، فقطعوا بستارة بينهم وبين العَرُوسِ والنِّسَاء .

وألبس القاضى المالكى خلعة ، وهى مخمل كَفَوِىّ بفرو سنجاب بمقلب سمّور ، وهى من خلع السلطان للسيد بركات ، ويقال إنها من ملبوسه ، ويقال إنها تِسْوَى[٣] نحو الخمسين ديناراً ،

(١) كذا فى الأصل . وفى بلوغ القرى لوحة ١٨٦و « أن وصول السيد بركات والسيد قايتباى إلى أرض حسان بوادى مر كان فى خامس جمادى الأولى أو اليوم الذى قبله » .

(٢) انتصى : يقال انتصى الشيء ارتفع واستقام ، والعروس ونحوها قعدت فى المنصة (المعجم الوسيط) .

(٣) تسوى : لفظ عامى يعنى تساوى ، بمعنى تقدر قيمتها بكذا .

ولـده الكـبير باينجـى(١) صوف عَسَلِـى بمَقْـلَب جُوخَـة حَمْـرَاء ، ودخـل مكـة وهـو لابسه وكـذلك صِنْـوه تاج الديـن ، ولـدُه الآخرُ أعْطِيَ منديـل سكنـدرانى ، وخلـع على الرئـيس أيضاً خلعـة ، وهـى ثوب صوف أحمر ياقوتـىّ بوجـه مَسْح سَمَرْقَنْـدِىّ ، وهـو من ملابس الشريف ، وابن محب(٢) والرَّدَّاد .

وكان الدخول فى ليلة الخميس سابـع عشرى الشهـر ، وعمـل فى الصبـح السمـاط بالفـازة ، وأنشد المنشدون ، ومنهم الرئـيس أبـو بكر ، وعَلِـىّ الـرَّدَّاد الضريـر ، وأبـو الفتـح الفـاسى ، وشمس الديـن الغزى(٣) الحنبلى ، وجميعُ ما أُنْشِدَ من كلام الرئيس أبى بكر ، وخلع على الصابونى المتولى للسماط بسؤال القاضى المالكى للسيد بركات ، وتـفضل السيـد بركات أيضاً على المنشديـن وغيرهـم بما انشرحـوا به ــ فالله يديم عليـه إحسانـه وسروره ــ وعـاد القـاضى وولـداه ليلـة السبت تاسع عشرى الشهر . / ٢٤٩و

وفى عاشر الشهر الذى بعـده توجّـه الشرفـاء إلى صوب وادى الآبار .

---

(١) باينجى : لم أقف على هذا اللفظ وهو غير وارد فى بلوغ القرى لوحة ١٨٦و وعبارته « وولده الكبير صوف أزرق ، وجوخة حمراء » .

(٢) أى وخلع على ابن محب المدنى ، وعلى الشيخ على الرداد ، أيضاً .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٨٦و « المقرئ الحنبلى) .

وفى صبح يوم السبت خامس رَجَب مات الشريف محمد الشافعى ابن السيد بركات بجهة اليمن فوق وادى الآبار جهة البحر ، وحُمِلَ فى الحال إلى مكة ، فوصل به إليها عصر يومه ، وجُهِّزَ وصَلَّى عليه عند باب الكعبة القاضى المالكى ، ودُفِنَ بتربة شقيقه عَلِىّ ، وشيَّعَهُ خلق كثير ــ عوضه الله ووالديه خيراً ــ وعمل له ربعة صباحاً ومساءً بالمسجد والمعلاة ، وكان الختم يوم الثلاثاء ثامن الشهر[(١)] .

ورثاه جماعة منهم : الشيخ أبو بكر الحضرمى المكى ، والرئيس أبو بكر . وكان سنه نحو سَبْعِ سنين ؛ فإنه ولد بمكة سنة عشر وتسعمائة ، وكان حَمْلُه بالقاهرة ، لما كان والده بها .

وبعد سفر الحاج سافر السيد عرارُ بن عجل[(٢)] قاصدُ السيد الشريف بركات لمصر ليلحَقَ الحاج ، وكان أرسل حمولة قبله . ويقال : معه رقيق وطَوَاشِيّة وعشرون ألف دينار للسلطان ، وثلاثة [آلاف][(٣)] للدوادار الكبير ، وشىء لكاتب السِّرِّ ولناظر الخاص ، ولناظر الجيش ، وخيلٌ عشرة أو عشرون ، والنصف[(٤)] استُلِف من

(١) بلوغ القرى لوحة ١٨٧و .

(٢) كان سفره فى ليلة السبت سادس عشرى ذى الحجة سنة ٩١٥هـ (بلوغ القرى لوحة ١٨٩ظ) .

(٣) زيادة للتوضيح عن درر الفرائد المنظمة ٣٥٧ .

(٤) كذا فى الأصل . وفى بلوغ القرى لوحة ١٨٩ظ « والنقد » .

التّجار ، ومن القاضى النورى بن خالص من مال السلطان .

وفى ثانى المحرم — ظناً — سنة ست عشرة وتسعمائة سافر السيد بركات ، والسيد قَايِتْبَاى وإخوانهما وعسكرهما إلى الشّرْق على طريق مُزْدَلِفَة(١) .

وفى صفر جاء قاصدٌ من عند السيد عرار من مصر ، وتوجّه للسيد بركات بالشرق ، وسَمِعْنَا أن السلطان أَقْبَلَ عليه كثيراً ، وأسكنه بيت ابن العينى ، وفُرِشَ له بجميع احتياجه ، ونزل خاصِّكىّ ومعه بابِيَّة(٢) بسبب ضيافته ثلاثة أيَّام ، وصار الغداء والعشاء ينزل من القلعة كل يوم ، وألبسه السلطان خلعة لمَّا قدم ، وخلعة ثانية لما قدّم المَرْسُولَ به ، وهو الذى ذكرناه آخر السنة قبلها . ولما فرغت الضيافة ألبسَ الشريفُ عرارٌ الخاصِّكىَّ خلعةً ، وفرَّقَ على البَابِيَّةَ مَبْلَغاً ، وحلف له السلطان ما عنده أعَزُّ من السيد بركات ، وأنه ما يريد به بدلاً ، وإن كان ينوى ذلك فالله يقطع رقبته بنِمْشَةَ كانت عنده — وأشار إليها — والشريف عرار ينتظر رجوع هذا القاصد ويعود .

ثم وصل الشريف عرار مكة من مصر ، فى ربيع الثانى ،

---

(١) المرجع السابق .

(٢) البابية : هم الحجاب الذين يقفون على باب السلطان أو الأمير ، ويأخذون الإذن بالدخول عليه . وفى بلوغ القرى لوحة ١٩٠ظ « البابيات » .

ووصل السيد قَايِتْبَاى مكة أيضاً ، وحضر بالحطيم هو والحنفىّ والباش ، وقرئ مرسومان للشريفين ، ومضمونهما : أنه وصلنا الشريف عرار ومعه ما أرسلتموه بقائمة ، وأحطْنَا بذلك علماً ، وليس لنا التفات إلى هدية ولا غيرها ، والمقصود المساعدة فى العمارة ، وأرسل المعمارُ يَشْكُرُ مِنْكُم ، وأنكم أرسلتم له بعشرين جَمَلاً ، وأكَّد فى العمارة ، وأنه يُعمر المنهَدِمَ ويُرَمِّم ما يحتاج إلى التَّرميم ، وتَبْيِيض ما يحتاج لذلك ، ولا يُوَسِّع[1] .

وفى شعبان وصل السيد بركات إلى الوادى من الشرق ، ولما كان به أراد قِتَالَ جماعةٍ من عُتَيْبَة أفْسَدُوا في الطريق ؛ فنَقَّى عليهم ، واستصرخ عليهم العُرْبَان ؛ فدخلوا عليه بألفى أشرفى ، وثلاثمائة ناقة ، وأخذ فى ذلك رَهِينَةً : جماعةً منهم ، وعَتَبَ على الحِمَدَة بسبَب مَسْكِهم لشيخ هؤلاء الجماعة من عُتَيْبَة وولده ، وإطلاقهما / ، وخَسَّرَهم ألفا وخمسمائة أشرفى . كذا عَتَبَ على ٢٤٩ظ

(١) أضاف بلوغ القرى لوحة ١٩٢و « وأنكم تجتمعون وتنظرون فى أمر العين وغيرها من الأعين ، وعين عرفة ، والزعفرانة ، وأبى رخم والثقبة ؛ فإن الغرباء الذين كانوا بمكة فى العام الماضى قاسوا شدة من عدم الماء ، وإن بعض أهل بلدهم عبيد يبيعون الماء ويعوقون العين ، وما فى قلوبهم رحمة ، ولا خوف من الله . ويكتب بذلك محضر ، ويكون ذلك بحضرة البانى الذى من جهتنا ، وينظر أيضاً فى الأعين التى بوادى مرّ والجموم والمضيق ، وإن كان شيء للناس فيشترى منهم ، وتخبرونا : كم المسافة أيضاً ؛ حتى يجيئكم جوابنا ، ولو كان الماء فى أرض أو نخل لأحد فيشترى ، وأن نحن شافهنا الشريف عراراً بما يشافهكم به » .

عبد الله بن محمد النغر[١] ؛ فأرضى الشريفَ فى عَتْبِهِ عليه بوَجْبَةِ ماء فى عَيْنِ السَّلَامَة — والله يُؤَيِّد السيّدَ بركات ويَنْصُرُه ، ويزيدُه رِفْعَةً وَعُلُوًّا — .

ووصل موسم هذه السنة للسيد بركات فى مَبَرَّة صاحب الروم خمسمائة دينار ، ولأخيه السيد قايتباى ثلاثمائة[٢] .

وفى الموسم سافر السيد بركات مع الحجاج لحفظهم[٣] .

فلما كان فى آخر ربيع الأول — أو أوَّل ثانيه — سنة سبع عشرة وتسعمائة وصل لمكة أوراق من السيد بركات وهو بالحِسْمَى[٤] — وهى مقابلة لعيون القصب — يذكر فيها : أنه انتصر على بنى عُقْبَة والمفارجة الذين عندهم جماعة يحيى بن سبع ، وأن بعض المفارجة كان مع السيد بركات ، وغنم بعضَ أولاد يحيى

(١) وهو من الحمدة ، كما جاء فى بلوغ القرى لوحة ١٩٤و .

(٢) المرجع السابق لوحة ١٩٦و .

(٣) لم يرد ذكر سفر الشريف بركات مع الحجاج فى بلوغ القرى لوحة ١٩٦و ، وورد ذكر سفر أمير الركب الأول نوروز تاجر المماليك السلطانية وحجاجه فى يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة والليلة التى تليها ، وفى اليوم الذى يليه والليلة بعده توجه أمير المحمل قانصوه بن سلطان جركس وحجاجه ، وسافر معه قاضى الحنابلة بمكة المحيوى عبد القادر بن نجم الدين بن ظهيرة بنية التوجه للقاهرة .

(٤) الحسمى — تقصر وتمد — أرض ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان ، وجبال يراها أهل تبوك غربيهم تأخذ من قرب عيون القصب ، وأرضها غليظة ، وماؤها لا خير فيه . وانظر معجم البلدان لياقوت ٣:٢٧٦ ، ومعجم معالم الحجاز ٣:٧ — ١١ .

ونزحوا عنه خوفاً من أن يأخـذه منهم . ثم طلبـه منهم فلـم يعطـوه ، وأنه ألجأهم إلى شعب أو جبـل فازدبنـوا واستصرخـوا عليـه العُرْبَـان ، فكانوا أكثر ، وقلّ عليه القـوت ؛ فتـعب لذلك ، وطـال على أولـئك الحصار ؛ فضاقـوا وطَلَبُـوا الصلـحَ . فشرط عليهم فَرَساً مشهـورة وغيرها . فامتنعوا ، ثم جاء بها النساءُ ، ودخلوا(١) عليه فَقَبِلَ ، وكانـوا كاتبوا أصحابهم بمصر فجاءهم عقال بمراسيم السلطان فى الصلح بينه وبين يحيى بن سبـع ، فمـا أمكنـه إلا الـرضى ، وواجه السيـد بركات شيوخ بنى لَام ، واتفقوا معه على أن الحجـاج الشامـيين يحجـون على أن يعطوهـم عادتهم(٢) ، وذكـروا أن البرهـان السَمَرْقَنْـدِى أرسل معـه السلطانُ ستة آلاف لهم لم تصلهم(٣) .

وجاءه الشريف عرار بالمراسيم السلطانية وثلاثمائة حِمْل زادٍ من السلطان . وفى المراسيم : طلب الصلـح بينـه وبين يحيـى بن سبـع ، والرضى عن أخيه راجح وملحـم ، وأن يكـون أجـود بن مصقـار أمير ينبـع بشرط رضى السيـد بركات ، وأن الأمير الكبيردولات باى أخـا العادل اجتمع هو والشريف عرار عند السلطان وتكلـم فى السيديـن بركات وقايتباى ، وأنهما لا يصلحـان ، وأن الأوّل عاصٍ ، وأنه يُعْطِى مائـة ألـف دينـار عن يَحْيَـى بن سبـع وأخيهمـا راجـح ، فخـفض

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة و « علوفتهم » .

(٣) فى الأصل « لم يوصلهموهـا » والمثبت عن بلـوغ القـرى ، وأضاف بعـد ذلك : وكنا سمعنا ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

السلطان على الأمير . وقالوا : إن عراراً أجابه عن بعض ذلك ، فجلس الأمير بعد ذلك ثلاثة أيام ومات ؛ فصاح الناس وقالوا : ببركة السيد بركات(١) .

وفى جمادى الأولى أشيع بمكة أن السيد بركات توجّه لمصر إمّا قَهْراً أو غيره ؛ لكون العرب احتاطوا به ، فسمع عُرْبَانُ مكة ذلك فأراد بعضهم يخطف بعضاً ، فسمع الأمير الباش ــ أو حاكم مكة ــ عليُّ بن مبارك فتوجّه للباش فأمر الباش منادياً ينادى : ألَّا يتكلم أحدٌ فيما لا يعنيه ، ومن تكلّم ما يحصل له خير ، وأن السيد بركات [فى خير وعافية ، وقد وصل](٢) إلى ينبع فى سابع الشهر ، وجاءت أوراقُهُ بذلك ، وأن الذى أخَّرَه إلى الآن إنما هو ضعف جمالهم . فصاروا يمشون قليلاً قليلاً . وكان وصول ذلك لمكة آخر يوم الأربعاء حادى عشر الشهر ، فنادى الأميرُ الباش بالزينة سبعة أيام ، وصار أهل مكة يجتمعون على العادة صباحاً وعشاءً ويذهبون إلى بيت الشريف وتضرب النقارة ويلعبون .

وفى ظهر يوم الخميس تاسع عشر الشهر وصل السيد بركات إلى وادى / مَرّ ، فخرج الناس للقائه ، ودخلوا معه أرض حَسَّان ، ٢٥٠و وهم يلعبون ويتقادون ، وسُرَّ الناس بوصوله ، وكان كيوم العيد . وخرج من مكة إلى الوادى يوم الخميس للسلام عليه الخطيب مُحِبّ

(١) بلوغ القرى لوحة ١٩٨و .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٩٨ظ .

الدين النويرى ، وبعضُ جماعتـه ، والأميـرُ البـاشِ خَايـرْبَكْ المعمـار ، ومعه أطعمة وفاكهة وقماش ، وعادا ليلة السبت[١] .

وفيها توجّه إليه أيضاً القاضى إبراهيم بن سالم ومعه أطعمة[٢] .

وفى يوم الجمعة ثانى دخوله الوادى جعلَ له أخوه السيد قَايِتْبَاى سماطاً عظيماً يضرب به المثل ؛ عُمِلَ الخبزُ الخميرُ بمكة ، وحُمِلَ إلى الوادى ، والموز فردة خوشخان[٣] ، وحمل فواكه عِنَب ونَخْوخ ، وكان فى الوادى القاضى المالكى وولَدُه ، وبعضُ جماعة القاضْى الشافعى ، وأنشد الشعراء يهنئون السيد بركات عند وصوله بعدة قصائد . ومنهم قاضى القضاة بالحرمين الشريفين والعَلَّامَةُ بالمحلين المنيفين النجمى محمد بن يعقوب المالكى[٤] ، وكان فعل هذه القصيدة فى العام الماضى وهو بالطائف عند وصول السيد عرار ابن عجل من مصر بالخلع والمراسيم ، وزاد فيها الآن خمسة أبيات ، وسمعها منه الولدُ محبُّ الدين جار الله بالطائف فى السنة التى قبلها ، وهى :

(١) بلوغ القرى لوحة ١٩٨ظ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) خوشخان : وعاء كالصندوق توضع فيه الأشياء كالفواكه وما أشبه .

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب بن يحيى بن عبد الله النجم أبو المعالى المغربى المدنى المالكى ولى قضاء المدينة ثم ولى قضاء مكة ورسخت قدمه بها ، وتصدر بالمسجد الحرام وأقرأ الفضلاء وأفتى (الضوء اللامع ٨:١٣٧ برقم ٣١٧) ولم يذكر وفاته حيث توفى المؤلف قبله .

الحمـدُ للهِ جاءَ الـــنصرُ والظفَـــرُ
عَلَـى يَدَى بَرَكَـاتِ الدِّيـنِ نَنْتَظِـرُ
أبَا زُهَيْرٍ مَتَى شَبَّ الوَغَى انْصَرَفَتْ
عنـهُ اللَّـوَابِسُ فى أعْنَاقِهَـــا زَوَرُ
أبا عَلِـيٍّ مَنِيـع الجَـارِ مَا سَمِـعَتْ
بِهِ الفَـــوَارِسُ إلَّا مَسَّهَـــــا خَوَرُ
مَنْ قَدْ مَضَى الآنَ بالأمْرِ الشَّرِيفِ إلَى
دَرْبِ الحجازِ سَرِيعاً وهـو مُفْتَخِـرُ
بِطَاعَةِ الأَشْرَفِ السُّلْطَانِ فِى خَدَمِ الرَّ
كْبِ الشَّرِيـفِ لأعْدَاءِ لَهُ كُسِرُوا
أعـــادَهُ اللهُ فِى عزٍّ وفى ظفـــر
فَهْوَ الشَّرِيفُ الذى فِى النَّاسِ مُنْتَظرُ
أعْظِـمْ بهِ مِنْ مَلِيكٍ صَارِمٍ بطـلٍ
حَامِـى المدائِـنِ والأرْمَـاحُ تَشْتَجِـرُ
إذَا الجُدُودُ بِهِمْ أبْنَاؤُهُـمْ شَرُفُـــوا
أوْ فَاخَـرُوا فَبِـهِ الأجْـدَادُ تَفْتَخِـــرُ
عَزُّوا بسلطانِـــهِ بدءًا ومُخْتَتَمـــاً
أيْضاً وَوَصْفُ عُلَاهُ لَيْسَ يَنْحَصِـرُ
قد صَارَ حَقًّا مَلِيكَ القَوْمِ سَيِّدَهُمْ
فاللهُ يَحْرُسُ مَنْ غَابُوا وَمَنْ حَضَرُوا

يأيها الملكُ الميمـــونُ طَلْعَتُــــهُ
وَمَـنْ مناقِبُـهُ حَارَتْ بِهَـا الفِكَـــرُ
عَمَّرْتَ أمَّ القُرى مِنْ بَعْدِ مَا خَرِبَتْ
وَكَـــانَ فيها تَوَالَـــى الشرُّ ،والشَّرَرُ
أذْهَـبْتَ ذَاكَ بِحَمْـدِ اللهِ مُنْتَصِراً
حتـى اضْمَحَـلَّ فَلَا عَيْـنٌ وَلَا أثَـرُ
ثُمَّ انْثَنَـيْتَ إلى الأقْطَـارِ تَعْمُرُهَـــا
شاماً وشرقاً لتمحو كُلّ مَا سَطَرُوا /
أمَّـنْتَ أطْرَافَهَـــا مِنْ كُلِّ نَاحِيَـــةٍ ٢٥٠ظ
فَحَيْثُ يَمَّمْتَ إنّ القَـوْمَ يَنْـكَسِرُوا
صَارَ الخلائـقُ فِى أمْـنٍ بِهَيْبَتِكُـمْ
فَلَا يَمَسُّهُـــمُ ضَيْـــــرٌ وَلَا ضَرَرُ
أدامَكَ اللهُ فى عِزٍّ رَفِيـــــع ذُرًى
وَحطَّ سَيْفُكَ فى القَوْمِ الذى غَدَرُوا
حَتَّى يَبِيـدُوا بِعَضْبٍ مِنْكَ تَغْمِـدُهُ
فى أعْيُـنِ القَـوْمِ لَا تُبْقِـى وَلَا تَذَرُ
كَمْ قَدْ سَهِرْتَ تَجِدُّ السَّيْرَ تَطْلُبُهُمْ
فرُّوا فَلَمْ يُنْجِهِمْ من سَيْفِكَ الحَذَرُ
وَبِتَّ تَطْوِى فَيَافِى البِيـدِ مُجْتَهِـداً
حَتَّى وَصَلْتَ لحَسْمَى جَاءَكَ الظَّفَرُ

ثُمَّ انْثَنَيْتَ بِجَيْشِ النَّصْرِ فى ظَفَرٍ
كَذَاكَ أخبَارُ مِصْرٍ كُلُّهَا غُرَرُ
عَرّار قَدْ جَاءَكُمْ بِالنَّصْرِ مُرْتَدِياً
بِالبِشْرِ مُبْتَسِماً بالعِزِّ مُؤْتَزِرُ
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ جَلِيسٍ للملوكِ غَدَا
طَلْقَ المُحَيَّا شَرِيفاً قَدْرُهُ خَطَرُ
مَقْرُونٌ بالسَّعْدِ مهما سَارَ فِي جهةٍ
مَعَ القُبُولِ شَرِيفٌ عِطْفُهُ عَطِرُ
أَقَامَكَ اللهُ فى أمِّ القُرَى سَنَداً
وحَاطَكَ الثِّقَتَانِ السَّمْعُ والبَصَرُ
وَلَا بَرِحْتَ عَلَى الأعداءِ مُعْتَلِياً
وَمَنْ يُعَادِيكَ أَيْدِيهِمْ بِهَا قِصَرُ
أَدَامَكَ اللهُ فى عِزٍّ رَفِيعِ عُلًى
وَدَامَ عَدْلُكَ فى الآفَاقِ يَنْتَشِرُ
ثمَّ الصَّلَاةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
وَالآلِ والصَّحْبِ مَنْ آوَوْا ومَنْ نَصَرُوا

ومنهم الفاضل الفرضى الأديب شهاب الدين أحمد بن على ابن على الجِبْلِيّ اليمنى[1] ، نزيل مكة ، عمل قصيدتين الأولى

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر من المراجع .

مُوَشَّحَة على طريق الغناء ، معارضاً بها قصيدة للسيد قايتباى التى أولها :

لك الحمدُ يا إله والشكرُ

قالوا : وأعجب بها السيد بركات وأمر من يغنى بها ، وهى :

يَا قَضِيباً يَمِيسُ مِنْ آسِ فَوْقَهُ البَدْرُ لَاحْ
آسِ مَنْ قَدْ جَرَحْتَهُ آسِ أَنْتَ طِبُّ الجِرَاح
يَا حَبِيباً قَلْبِى لَهْ مَأْوَى وَفُؤَادِى مَقِيلْ
كَيْفَ تَقْضِى عَلَىَّ بالبَلْوَى وَالصُّدُودِ الطَّوِيلْ
آنَ لِى أَنْ أَبُوحَ بالشَّكْوَى فَاصْطِبَارِى قَلِيلْ
آهِ مِنْ جَوْرِ قَلْبِكَ القَاسِى وَالعُيُونِ الوِقَاحْ
لَا تَخَفْ فِى الوَصْلِ مِنْ بَاسِ لَيْسَ فِيهِ جُنَاحْ
كَيْفَ تَجْفُو وَكَانَ لِى صَبْرُ باحْتِمَال الصُّدُودْ
فَتَفَانَى وَطَالَ بِى الأَمْرُ فَخَرَقْتَ الحُدُودْ
لَيْتَ شِعْرِى أيَسْمَحُ الدَّهْرُ بِكَ يَا ذَا الشُّرُودْ
وأَحْتَسِى مِنْ لَمَاكَ وَالكَاسِ قَرْقفاً[1] لِى مُبَاحْ
حَيْثُ لَا وِاشِياً مِنَ النَّاسِ لَا وَلَا ثَمَّ لَاحْ
دَاوِنِى يَا حَبِيبُ بالوَصْلِ وَارْتِشَافِ المُدَامْ
وَتَرَفَّقْ بِصَبِّكَ الجِبْلِى فَهْوَ حِلْفُ السَّقَامْ /
لَيْسَ فِى النَّاسِ عَاشِقٌ مثْلِى فِى الهَوَى مُسْتَهَامْ ٢٥١و

(١) القرقف : الخمر والماء البارد الصافى (المعجم الوسيط) .

قَدْ أذَابَ الغَرَامُ أنْفَاسِي   وَلِسِرِّي أبَــاحْ .
قُمْتُ نَادَيْتُ بَيْنَ جُلَّاسِي   ذَا أميرُ المِـلاحْ
طَالَ سُقْمِي وَقَلَّت الأعْوَانْ   وَاعْتَرَانِي السُّهَادْ
رُحْتُ أشْكُو لِمَعْدَنِ الإحْسَانْ   بَرَكَـاتِ الجَـوَادْ
فَهْوَ لِي نَاصِرٌ أبو عَجْلَانْ   الطويـلُ النجَـادْ
مَعْدَنُ الفَضْلِ سَيِّدُ النَّاسِ   حَاتِمِيُّ السَّمَاحْ
فَهْوَ فِى الحِلْمِ شَامِخٌ رَاسِي   وَهْوَ دَاعِي الفَلَاحْ

والقصيـدة الثانيـة ضمنها شَرْحَ حالـه ، ويقـال أنها اقتـرحت عليه ، وهى :

نَصْرٌ مِنَ اللهِ وفَتْــــــحٌ قَرِيبْ
لِمَـنْ لَهُ فِى السَّعْد أوْفَــى نَصِيبْ
أبَــا زُهَيْــرٍ وَمَلِــيكَ الـــوَرَى
مَا رَامَ ذُو بَغْـــــــيٍ إلَّا أُصِيبْ
نَظْـم عقْـدِ المُـلْكِ سَامِـى العُلَـى
وَحَافِـظ المُـلْكِ تُجَـاهَ الرَّقِــيبْ
قَدْ أصْبَـــحَ المُلْكُ بِهِ بَاسِمـــاً
يَمِــيسُ مِنْ تِيـــهٍ بِبُـــرْدٍ قَشِيبْ
أمَــــدَّهُ اللهُ بِتَأْيِيــــــدِهِ
وبالمُلُـوكِ الصِّيــدِ كُلِّ مُجِــيبْ
نَامَ الـــوَرَى فِي ظِلِّــهِ أُمَّنـــاً
وبـاتَ يَرْعَـى الحَقَّ فِيهِـمْ مُنِــيبْ

حَامِى حِمَى الإِسْلَامِ ذُو هَيْبَـــةٍ
يَفْــــــرَقُ منها كُلُّ بَاغٍ مُرِيبْ
تبـــــاشَرَ الدَّهْـــــرُ بِهِ إِذْ غَدَا
لَهُ الثَّنَا بَيْـنَ العِــدَى والحَبِـيبْ
قَدْ سَخَّـــــرَ اللهُ لَهُ مُلْكَـــــهُ
فَدَانَ ذُو الإِذْعَـانِ والمُسْتَـرِيبْ
مُحَكَّـمٌ فى النَّـاسِ مع عَفْـوِهِ
بالحِلْـمِ مع بأسٍ شَدِيـدٍ عَجِيبْ
فى كُلِّ وَقْتٍ مِنْـــهُ تَبْـدُو لَنَـــا
مَآثِــــرٌ مِنْ حُسْنٍ وَصْفٍ غَرِيبْ
ذو المَكْرُمَـاتِ الغُرِّ يَخْطُرْنَ فِى
ثَنَائِـــهِ تِيهـاً كَغُصْنٍ رَطِـــيبْ
السيِّـــدُ العالِـــمُ مَنْ قَدْ عَلَا
فَوْقَ السِّمَاكَيْـنِ بِفَهْـمٍ ثَقِـيبْ
أَزْكَـى الـوَرَى عِلْمـاً وأَحْلَاهُـــمُ
نَظْمــاً وَنَثْـراً يَا لَهُ مِنْ لَبِـيبْ
ذُو البَـأْسِ وَالـفَضْلِ فَلِلْمُعْتَـــدِى
حَتْـفٌ وَلَكِـنْ لِلْمُوَالِـى يُثِـيبْ.
يَأَيُّهَـا المَوْلَـى الَّـذِى عَدْلُـهُ
أَلَّــفَ فِيــهِ بَيْـــنَ شاءٍ وَذِيبْ »

وَمَـــــنْ غَدَتْ أَيَّامُـــــــهُ غُرَّةً
لِلدَّهْـــرِ فَافْتَـــرَّ بثغْـــر شَنِـــيبْ
تَهَـــنَّ بالـــنَّصْرِ وَعِشْ سَالِمـــاً
فَالسَّعْـدُ قَدْ وَافَـى بِأَمْـرِ المُجِـيبْ
وَٱنْعَـمْ بِمُـــلْكٍ فِي الـــوَرَى مَا لَهُ
ثَانٍ وَعِشْ فِيـهِ بعَـــيْشٍ خَصِيبْ
إِلَـى أَيَـــادِيكَ انْتَهَـــى مَطْلَبِـــى
فَارْحَمْ مُصَابِى مِنْ زَمَانٍ عَصِيبْ /
كَمْ قَدْ رَمَانِـــى مِنْ تَبَارِيحِـــــهِ ٢٥١ظ
بِصَائِبٍ مِنْـــهُ فُؤَادِى رَهِـــــيبْ
وَاخْتَـلَّ فَهْـمُ العِيــدِ مِنْ فَتْكِـــهِ
وَضِيـقِ عَيْشٍ لَسْتُ فِيـهِ أطِـــيبْ
فاستشفـع الجِبْلـىّ فى جَاهِكُـــمْ
وَمَنْ يَكُـنْ فى جاهِكُـمْ مَا يَخِـيبْ
فَدُمْ مَدَى الأَيَّـــامِ فى نِعْمَـــــةٍ
بَاسِمَـةِ الأَحْـوَالِ فِى خَيْــرِ طِيبْ
وَكُلَّمَـــــا عُودِيتَ يَأْتِيكُـــــمُ
نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْـــــــحٌ قَرِيبْ

ولمَّـا وصل السيـد بركات لوادى مَرّ جاء لمكـة[1] السيـدان :

---

(١) وكان ذلك فى ليلة الأحد ثانى عشرى الشهر [جمادى الأولى سنـة ٩١٧هـ] بلوغ القرى لوحة ١٩٩و .

ولدُه أبو نُمَىّ ، وعمه قايتباى ، وجلسا بالحطيم ، ومعهما الباش ، وقُرِئ مرسومان للشريفين بركات وقايتباى ، ومضمونهما : أن الحاج وصلوا شاكرين سالمين ، وفيهما الثناء البالغ على السيد بركات خصوصاً مع وصوله مع الحاج إلى محلّ ما وَصَل . وسألْتَنَا فى ولاية ينبع لأَجْوَد أو لمحمد ، وأرسلت لَنَا بهما ليقع الاختيارُ على من نُرِيد ، فامتثلنا أمْرَك ، ونحبُّ لا نخرج لك عن خلاف ، وقد اخترنا أجْوَد . وأنّ يحيى بن سَبْع دخل علينا أن يصطلح معكم ، وأن تكونوا شيئاً واحداً ، وأنَّ له ذُرِّيَّة ولكم ذُرِّيَّة ، وإذا كنتم متصافين تكون ذريتكم كذلك ، وأنه عَيَّن فتاه عقالاً يصل إليكم ليكون ذلك على يده ، وما مضى لا يُعَاد ، وذكر آيات من الكتاب العزيز ، ومنها ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾[١] وما بقى لنا من المال عند هَجَّان بن دَرَّاج ما نعرف إلّا أنت ، وتُخَلِّص لنا المال الذى عند الصيادلة ، وما يصل إلى التجار يُؤْخَذُ عُشْرُه على العادة ، إلّا مال ثلاثة من التجار : ابن عباد الله ، والنيربى ، والشريف منصور العجمى ، وتَضْبِطُ ما يجيءُ لهم ، ونُعَرَّفُ به ، وأنا أرسلنا لكما خلعتين كَفَوِىَّ سَمور طَرْشَاء وطِرَازَيْن ، وخلعةً لولدك ، وألبسنا الشريف عراراً خلعتين عند القدوم والسفر ، وألبسنا أَجْوَدَ خلعة[٢] . ولبس الشريفان قايتباى خلعة بطرز ، وأبو نُمَىّ

(١) سورة الشورى آية ٤٠ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٩٩و .

خلعة .

ويقال : لما وصل السيد بركات إلى ينبع أخذ من الصيادلة خَيْلَهم ودروعهم ـــ ولعلّه فى المال الذى للسلطان ـــ ومَسَك محمد بن هَجَّان[١] وفتاه ، وأخذ منهما خَيْلاً وإبلاً بأربعة آلاف دينار مِمَّا على هجَّان للسلطان ، وهو تسعة[٢] آلاف دينار ، ويَسْأَل فضلَ السلطان فى الباقى أن يتركه ؛ فكان . ويقال : إنه أخذ من القواد مالاً أيضاً ، وسمعنا أن السيد بركات أعطى العربَ[٣] الذين وصلوا معه إلى ينبع من بنى عُقْبَة وبنى لَام وغيرهم خيلاً كثيرة ، وخِلَعاً ، وأحسن إليهم كثيراً ، بحيث عادوا شاكرين لفضله ، ناشرين لإحسانه وعدله .

ولما كثر تَعَسُّف الباش خايِرْبَك فى الحِسْبَة على الناسِ فيما يأخذه ضَجُّوا واستغاثوا ، فبلغ السيد بركات ذلك ، فأرسل لمكة منادياً ينادى مِنْ قِبَلِ السيد بركات : أن الدكاكين تُغْلَق ، ولا يُبَاع ولا يُشْتَرَى بمكة ، ومن فعل شيئاً من ذلك شُنِقَ علىَ بابه ، أو لا يسأل ما يجرى عليه . فنُودِىَ ، ثم نادى المنادى مَرَّةً / ثانية : أنه ٢٥٢و
لا يُجْلَبُ لمكة لا فاكهة ولا حطبا ولا شيئاً . فسمع الأميرُ ذلك ، فطلب الحاكمَ بمكة علىَّ بنَ مبارك ، فما رضى يروح له .

(١) فى المرجع السابق « هجار » .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « سبعة » .
(٣) وفى المرجع السابق « أعطى العربان الذين جاءوا معه إلى ينبع » .

فطلب المنادِى ، فسأله عن ذلك فقال : أنا مأمور ، ثم أرسل الأميـرُ البـاشُ للقـاضى المالكـى يطلبـه غير مَرَّة ، فحضر إليـه ، فسألـه فى التوجّـه مع دواداره ــ أو غيره ــ إلى السيـد بركات ، وسؤالــه عن ذلك ، فتوجَّهَا فى الحالِ إلى الشريف ــ وهـو بالـوادى ــ فيقـال : إنه كتَبَ لهم ورقـةً فيمـا يُفعَـلُ فى مكـة ، وأنـه لا يفعـل إلا العـادة القديمة ، وأمر أن ينادى : أن السيد بركات أذِنَ في فتح الـدكاكين ، والبيع والشراء على حاله ، ومن ظُلِمَ عليه بالسيد بركات . فَنُودِىَ .

ولما أرادوا بيع العـنب حضر ابـن المقـدم وقـال : ما نأخـذ إلَّا عادتهم ؛ على كُلّ حمل خمسة مُحَلَّقـة ، وقالـوا له : العـادة القـــديمة مُحَلَّـق . فمـا رضى ، فأمـر القـائـد علىُّ بن مبـارك بتبطِيـل البيـــع والشراء . ثم بلغ الخبـرُ القـاضى المالكـى ؛ فأرسل للقـائـد أن يتركهـم يبيعون ؛ لا يتلف العِنَبُ على أصحابه ، وعَـرَّفَ الشريـف بذلك . ثم اجتمع القاضى المالكى بالأمير فقال : غداً نَعْمَـلُ مصلحـةً للنـاس ، فأخـذ على الراحلـة ثلاثـة محلَّقـة ، وقـال للمناديـن : اجتمعـوا بعـد العصر ، وتعالوا إلىَّ ومـن لا يجىء فهـو ممنـوع . فاجتمعـوا عنـده ، فقال : خذوا على الراحلة ثلاثة محلّقة بلا قَبْضَةٍ ، وعلى الحِمْل التمْرِ محلقـاً ، وكـلُّ مَنْ بَاع فى غير السوق يُعْطِــى المحتسب محلّقــاً على الحِمْل . وانفضُّوا بذلك[١] .

(١) بلوغ القرى لوحة ١٩٩ظ .

ثم جاءت ورقة السيد بركات للأتراك بأن الأميز الباش ما رَضِيَ يسمع ويرفع الظُّلم عن الرَّعِيَّة فى العِنَب وغيره . فسمع الباش ؛ فنادى ثانى يومه بالأمان والاطمئنان وأن لا يُؤْخَذ من الراحلة العِنَب إلا مُحَلَّق واحد ، ونادى المنادى بذلك . وقال لهم : لا يؤخذ منكم إلا مُحَلَّق واحد(١) .

وفى جمادى الآخرة توجّه السيد بركات بفريقه إلى جهة خُلَيْص(٢) .

وفى يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة سمعنا بأن الأمير الدوادار أرسل مرسوماً للسيد بركات ، وورَقَةً منه ، وورقة من الأمير الكاشف خاير بك ، وورقة من السيد راجح . وفى المرسوم : إن الشريف راجحاً سألنا فى الوصول إليك ، وأن تصطلح معه وتُجْرِيه على عوائده وبزيده ؛ فإنه جارنا . ولما وصل أوائلُ الحجاج قالوا : الشريف راجح جاء للصلح ، ولزيارة أهله ، وأن الشريف بركات سأل فى إرساله ، وأمره السلطانُ أن يتوجّه لمكة . فطلبَ خِلْعَةً من السلطان ؛ فامتنع من ذلك(٣) .

---

(١) وكان ذلك فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة وما بعده (بلوغ القرى لوحة ١٩٩ظ) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢٠٢ظ .

وفى يوم السبت خامس عشرى الشهر وصل الشريفُ راجح ابن محمد ومعه الشريف عرار لمكة ، وتوجَّها إلى السيد بركات إلى خُمّ(١) .

وفى أول ذى الحجة اجتمع الشريفان قايتباى وراجح وغيرهما من القضاة والأمراء عند أمراء الحاج : الدوادار الكبير طُومَان بَاى ابن أخى المقام الشريف فتكلَّموا فى الصُّلح بين الشريفين ، ولم يَقَعْ بينهما اتِّفاق . ثم بعد انفصالهما توجَّها إلى السيد بركات ـــ وهو بخُمّ أو ببطحاء قريش ـــ فاصطلحا واتفقا ، ويقال : على أن يكون للسيد راجح فى كُلِّ شهر ثلاثمائة أشْرَفِىّ ، وأربعة جِلَاب فى السنة طلقة ، وخلع السيد بركات خلعة على السيد راجح ، وجاء هو /
والسيد قايتباى إلى الأمير الدوادار فى المغرب [بسكنه بالمدرسة ٢٥٢ظ
الأشرفية](٢) فوجداه خلف مقام الخليل ، وأخبراه باتفاقهما فضايف الأمير بينهما .

وفى يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة حَدَّث السيدُ الشريف زين الدين بركات بثلاثة أحاديث من أوّل الأربعين التى خرَّجَها له

(١) خم : بئر كانت بمكة ، قيل هى لكلاب بن مرة بن قصى ، وقيل حفرها عبد شمس بن عبد مناف . وقيل خم بئر قريبة من الميثب ، وكان الناس يأتون خماً فى الجاهلية والإسلام يتنزهون ، وهى اليوم شعبتان جنوب المسجد الحرام على قرابة خمسة أكيال ، إحداهما تدعى خما ، والأخرى خميما ، تصبان من جبل سُدَير فتجتمعان فتكونان رأس بطحاء قريش ، التى تذهب إلى عرنة ، ويخرج الناس إليها متنزهين (معالم مكة التاريخية) .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٢٠٣و .

ولدى محمد مُحِبّ الدين المدعو جَار اللهِ بن فهد ـــ كَفَاهُ الله شرَّ الحاسدين ـــ فى فضلِ أهلِ البيت ، المسماة « غاية الأمانى والمسرَّات لعلو سلطان الحجاز أبى زُهَيْر بركات » وذلك بقراءة ولدى المخَرِّج ، وحضرتُ معه ، وكذلك القاضيان الشافعى صلاح الدين ابن ظهيرة ، والمالكى نجم الدين بن يعقوب ، وحضر بعد ذلك أخوه السيد قايتباى ، وولده السيد أبو نُمَىّ ، والشريفُ عرار بن عجل ، وبعد فراغه استجازه ، وقدم له نسخة كتبها برسمه . وسألنى حينئذ قاضى القضاة الشافعى فى الإجازة للسيد أبى نُمَىّ فأجزته .

وقرّظ هذه الأربعين جماعة من القضاة والفقهاء والأدباء . فمن الشافعية : قاضيهم ناظر المسجد الحرام الصلاحى بن ظهيرة ، والسيد عبد الله الأيجى ، والشيخ أبو كثير الحضرمى ، والأديب شهاب الدين بن العليف ، والشيخ شهاب الدين الحرفوش ، والحكيم نور الدين الكازرونى ، وأخوه علاء الدين ، والفخرى أبو بكر ابن الشيخ إسماعيل ، والمحيوى عبد القادر العراقى ، والسيد شهاب الدين الجعفرى .

ومن الحنفية : قاضيهم النورى بن الضياء ، والقاضى شمس الدين الخطيب المصرى .

ومن المالكية : قاضيهم النجمى بن يعقوب .

ومن الحنابلة : الفخرى أبو بكر رئيس المؤذنين بالحرم الشريف المكى .

ومن النساء : الأديبة ستيتة ابنة القاضى كمال الدين محمود بن سيرين القاهرى الحنفى .

وأثنى كل منهم عليها وعلى المخَرَّج له والمخرِّج نثراً ، وعمل بعضهم فى الأربعين نظماً ، خلا السيد الجعفرى فعمل أرجوزة فقط . ولنقتصر على ما يناسب من المنظوم ؛ لكونه مشتملاً على ذكر المخَرَّج له ، فإن فى إيراد النثر طول . قال السيد شهاب الدين الجعفرى ممتدحاً بأرجوزة أولها :

الحمــــدُ لله المعــــزِّ جَارَهْ
بِبَرَكَـــاتِ البُقَـــعِ المُخْتَـــارَهْ
ومَـــوْرِدِ أهْـــلِ السَّنَـــدِ العَلِـــىّ
مُسَلْسَلاً مِنْ وِرْدِهِ الـــــرَّوِىّ
حَافِظ حُفَّـاظِ حَدِيثِ المُـــرْسَلِ
المسنِدِ الصَّحِيحِ ذِى القَدْرِ العَلِى
أحْمَـــدُهُ الحَمْـــدَ الأَتَمَّ الوَافِـــى
حمداً لفَـــيْضِ فَضْلِـــهِ يُكَافِـــى
ثم صَلاتُـــهُ عَلَـــى مَنْ شَرَّفَـــا
أهْلَ الحَـدِيثِ وَهْـوَ جَدُّ الشُّرَفـا
صلَّى عليـه رَبُّنـا عَلَـى الأبَـــدْ
ما وَصَلَ الراوِى الحديثَ بالسَّنَـدْ
وبعـدُ فالعبـدُ الفقيـرُ قَدْ وَقَـــفْ
مُجْتَنِيـاً زَهْـرَ الكِمَـامِ وَاقْتَطَـــفْ

مِن ثَمَـــــــرَاتِ هَذِهِ الأَوْرَاقِ
مَا قَدْ جَنَــاهُ أَفْضَلُ الحُـــذَّاقِ /
أعنــــى مُحِبَّ الديـــن جارَ اللهِ ٢٥٣و
مَنْ فَضْلُهُ قَدْ عَزَّ عَنْ مُضَاهِــــى
وكَيْـفَ لَا وَهْـوَ ابـن عِزِّ الديـــنِ
ذِى الـفَضْلِ والتَّحْقِيـقِ والتَّمْكِيـنِ

ومنها :

أَبْــرَزَ عِقْــدَ جَوْهَــرٍ مُؤَلَّفــــاً
مُخَبِّراً عَنْ فَضْلِ آلِ المُصْطَفَى
وقـــد كَفَاهُـــم شَرَفـــاً وَفَخْـــرَا
مَا قَدْ أَتَـــى تَبْصِرَةً وذِكْــــرَى
مُصَدِّراً بِذِكْـــرِ ذِى المَفَاخِــــرِ
زَيْـــنِ ذِوِى الأَقْــلَامِ والبَوَاتِــــرِ
أَبِى زُهَيْـــــرٍ بَرَكَات السَّنَـــــدْ
نَجْـــلِ أَبِـــى البَدْرِ النَّدَى مُحَمَّدْ
مَنْ قَدْ سَمَـــا بِجَـــدِّهِ وَسَعْـــدِهِ
وَقَـــدْ حَمَـــى بِحَـــدِّهِ وجِـــدِّهِ
عَالِى الذُّرَى مَنْ قَدْ حَمَى مِنَ الظَّمَا
لَيْثِ الشَّرَى مَنْ قَد حَوَى خَيْرَ حِمَى
وَعَدْلُـــــهُ قَدْ مَلأَ الأَكْوَانَــــا
وَعَمَّـــرَ الزَّمَــــانَ والمَكَانَـــا

صَارَتْ له كُلُّ لَأَعَادِى مَغْنَمَــــا
وَصَيَّرَ الذِّيَّــابَ تَرْعَــى الغَنَمَــا
وَقَــدْ غَدَا حِجَــــازُهُ عِرَاقَـــا
كَمْ أَمَّـــهُ رَكْبٌ حَوَى عُشَّاقَـــا
عِشْ يَا أَبَا الهَيْجَا عَلى طولِ المَدَى
يَا عِزَّ مَنْ وَالَى وَيَا ذُلَّ العِــدَى
يَا نَاقِلَ الماضِى الصَّقِيلِ المُنْتَضَى
وَكَمْ جَرَى عَلَى الأعَادِى بالقَضَا
يَقْضِى وَتَجْرِى بهَــوَاهُ البَــارِى
دِمَا العِدَى فَهْوَ القَضَاءُ الجَارِى
صَاعِقَــةٌ تَقْــدَحُ ناراً حَامِيَــهْ
لَيْسَ لَهَــا إذا سَطَتْ مِنْ وَاقِيَــهْ
لَوْلَا نَدَى أيْدٍ حَوَتْهَــا لَاشْتَعَــلْ
مِنْ نَارِهَا الوُجُودُ سَهْلٌ وَجَبَــلْ
والأسْمَــرُ الخَطِّــىُّ قَدْ تَعَلَّــى
لَمَّــا بِكَــفِّكَ الــخَضِيبِ حَلَّا
فَيَـــا لهُ مُرَّان أو غُصْن نَقَـــا
لَمَّا جَنَى النَّصْرَ غَدَا حُلْوَ الجَنَا
لَا زَالَ مَرْفُوعــاً وَمَنْصُوبــــاً إلى
أنْ يَخْفِضَ الأعْدَا بِكَسْرٍ وُصِلَا

وَسَلَّمَ المَوْلَـى نُجُـومَ الحَـرَمِ
إِخْوَتكَ الغُـرّ الكِـرَام الشِّيَـمِ
وَمَـنْ بَدَا مِنْ نَسْلِكَ الأَنْجَـابِ
فإِنَّهُمْ خَيْـرُ أولِـى الأَلْبَـابِ
وَخَلَّدَ المَوْلَى الـذِى صَنَّفَهَـا
حَتَّى غَدَتْ كالعِقْـدِ إِذْ أَلَّفَهَـا
وَشَيْخنَـا أَبَـاهُ شَيْـخ السُّنَّـهْ
أسْبَـغَ مَوْلَانَـا عَلَيْـهِ المِنَّـهْ
وَكُـلّ أهْلِ العِلْـمِ سَادَات الأُمَمْ
أَبْقَاهُـمُ اللهُ فَكُـلٌّ كَالعَلَـمْ
وَهَأنَـا اقْتَفَـيْتُ إِثْـرَ السُّبَّـقِ
مُمْتَثِلاً أمْـرَ الفَتَـى المُحَقِّـقِ /
٢٥٣ظ أَلَّفْتُهَـا بَدِيهةً بَدِيعَـهْ
وَقَـد أَتَتْ فِى سَاعَـةٍ سَرِيعَـهْ
من غِيْـرِ كلفـةٍ وَلَا تَعَسُّفِ
لَا خَيْـرَ بالـوَارِدِ بالتَّكَلُّـفِ
وقَالَـهُ كَاتِبُـهُ الفَقِيـرُ
أحمدُ نَجْـلُ عُمَـرَ الحَقِيـرُ
الجَعْفَـرِيُّ الشَّافِعِـىُّ الشَّامِـى
عَامَلَـهُ الكَرِيـمُ بالإِكْـرَامِ

فى عَام طَيظ[١] فى نهار الجُمْعَــةِ
ثَالِث مَبْـــدَاهُ أتَتْ بِسُرْعَــةِ
وَصَلِّ يَا رَبّ عَلَــى مُحَمَّـــدِ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ دَوَامَ الأَبَدِ
مَا طَافَ بالبَيْتِ العَتِيقِ طَائِــفُ
وَمَا لَجَا إلَى حِمَــاكَ خَائِــفْ
وَالحَمْــدُ للهِ وَلِــىُّ الحَمْـــدِ
والشُّكْــرُ للهِ المُعِيــدِ المُبْــدِى

وقال الشيخ شهاب الدين بن العُلَيْف :

للهِ دَرُّ ابــن فَهْــدٍ فى تَفَنُّنِـــهِ
وما تحدّى بِهِ مِنْ خِدْمَةِ الأَثَـــرِ
مُحَدِّثٌ ثِقَةٌ فِى النَّقْــلِ رَاوِيَــةٌ
قَدْ مَارَسَ الفَنَّ فى وِرْدٍ وفى صَدَرِ
أبدَى أحَـادِيثَ فَضْلٍ مِنْ مَعَارِفِهِ
غَوَامِضاً بَرَزَتْ فى أحْسَنِ الصُّوَرِ
وصَارَ يَجْمَـعُ مِنْهَـا كُلَّ مُفْتَــرِقٍ
حَتَّى تَأَلَّفَ فى عِقْـدٍ مِنْ الـدُّرَرِ
مُسْتَخْرَجَات لمَوْلَانا الشَّرِيف عَلَتْ
وإنْ تَكُنْ بَعْضَ مَا يُرْوَى مِنَ الخَبَرِ
لَا زَالَ والفَضْلُ يُرْوَى عَنْ مَحَاسِنِهِ
وَذِكْـرُهُ زِينَـةُ الأخْبَـــارِ والسِّيَـــرِ

(١) طيظ : تساوى ٩١٩ لأن الطاء بتسع والياء بعشر والظاء بتسعمائة فى حساب الجمل .

وَلَا خَلَتْ مَكَّةٌ مِنْ مُلْكِهِ أبــداً
مُؤَيَّداً بعَظِيمِ الـنَّصْرِ والظَّفَـــرِ

وقال الفخرى أبو بكر الرئيس ممتدحاً للشريف فقط ، وهى واقعة حالٍ بدخول ملحم ومن معه إلى القاهرة :

زَمَانٌ عَجِيبٌ كَمْ لَدَيْهِ عُجَابُ
وَلَيْسَ عَلَيْـهِ يَا هُمَـامُ عِتَـابُ
زَمَــانٌ بِهِ أسْدُ الشَّرَى تَسْتَفِزُّهَـا
وَتَنْبَحُهَـا بَيْـنَ الأنَـامِ كِلَابُ
ألا قَاتَـل الـرحمن صرف زماننـا
بأحدَاثِـهِ شُمُّ الأنُـوفِ تُصَابُ
لَحَا اللهُ قَوْماً ذِكْرُهُمْ بِكَ قَدْ سَمَا
بِمِصْرٍ وَهُمْ فيمَا سَمِعْتُ غِضَابُ
أرَادُوا عَلَى عُلْيَاكَ تَوْجِيهَ عَتْبِهِمْ
وَمَا لَهُمْ يَوْماً عَلَـيْكَ عِتَـابُ

ومن المدح :

مَلِيكٌ بِهِ أرضُ الحِجَازِ تَمَهَّدَتْ
وَأيَّامُهُ بَعْـدَ المُحُـولِ خِصَابُ
إمَامٌ تَرَدَّى بالسَّمَاحَـةِ والتُّقَـى
فَلَـيْسَ بِهِ وَصْمٌ تَرَاهُ يُعَـابُ /

٢٥٤و جَوَادٌ عَلَى عُسْرِ الزَّمَـــانِ ويُسْرِهِ
وَأَقْوَالُـــهُ بالمَيْـــــنِ لَيْسَ تُشَابُ
إمـامٌ هُمَـــامٌ ضَيْغَـــمٌ وَغَضَنْفَـــرٌ
وَلَـيْـثٌ لعليــاهُ الأسُودُ تَهَـــابُ
بِهِ شَرُفَتْ أمُّ القُـــرَى بَعْـــدَ جَدِّهِ
شريـف لِلُبِّ اللُّبِّ جَاءَ لُبَـــابُ
تَلُـوذُ بِهِ الأبْطَـالُ فى حَالِ كَوْنِهِـمْ
شُيُـوخٌ كُمـاةٌ فِى الوَغَـى وشَبَـابُ
فَلَوْ شَاهَدَ الأطفالُ بعضَ الذى رأَى
مجَازاً لَكَانُـوا فِى الحقيقـةِ شَابُـوا
فلِلَّهِ كَمْ قَدْ خَاضَ جَيْشاً عَرَمْرَماً
تَضِيـقُ بِهِ البَيْـدَاءُ وَهْـىَ رِحَـــابُ
لَقـد أتْحَـفَ اللهُ الوُجُـودَ بِذَاتِـــهِ
فَأَعْظِـمْ بذَاتٍ للجَمَـالِ إهَـــابُ
وَأعْظِمْ بِسُلْطَـانٍ حَوَى العِـزَّ يَافِعـاً
وذَلَّتْ لَهُ فِى الخَافِقَيْـــنَ رِقَـــابُ
وقـامَ بأمْـــرِ اللهِ لِلنَّـــاسِ دَاعِيــاً
إلى الحَقِّ فَانْقَـــادُوا لَهُ وَأجَابُـــــوا
بِوَاقِعَـــةٍ كَمْ دَكَّ طَوْرَ عُدَاتِـــــهِ
وَكَم قَد سَبَى صَفَّـــا له أحْـــزَابُ

فلَــوْلَاهُ لَمْ تُنْظَــرْ بَبَنْــدَرِ جُدَّةٍ
مَرَاكِبُ أفْــلَاكٍ أتَتْ وَجِــلَابُ
وَلَا رَقَصَتْ بالمأزِمَيْــــنِ قَلَائِصٌ
وَلَا دَفَعَتْ للمَشْعَرَيْــنِ قِتَــابُ
عَلَى حُبِّهِ قَدْ أجْمَعَ النَّـاسُ كُلُّهُــمْ
وَمَن خَالَفَ الإجْمَـاعَ لَيْسَ يُثَـابُ

وقالت الأديبـة سُتَيْتَـة ابنـة سِيرِيـن(١) ممتدحـة الشريـف أيضاً فقط :

مَا فِى سَمَا المَجْدِ إلَّا هاشِمٌ وَهُمُ
شَمْسٌ أضَاءَتْ جَلَتْ أنْوَارَهَا الظُّلَمُ(٢)
إذْ أنْتَ يَابْنَ ذَوِى النُّورَيْنِ كَوْكَبُهَا
أيَّـامَ مُلْكِكَ يَنْشَا العَـدْلُ والنِّعَـمُ
هَا أنتَ نَجْـلُ عَلِـىٍّ وابـنُ فَاطِمَـةٍ
قَوْمٌ عِظَـامٌ بِهِـمْ تُسْتَمْطَـرُ الدِّيَـمُ
إنْ قِيـلَ كُلُّ شَرِيـفٍ ذَاكَ نِسْبَتُـهُ
بِفَهْمِهِـمْ ذَا وَهَـذَا فَوْقَ مَا فَهِمُـوا

(١) لها ترجمة فى البدر الطالع ٢: ٢٥ برقم ٢٦٧ وفيها : فاطمة بنت القاضى كمال الدين محمود بن سيرين الحنفى ، حجت مراراً وجاورت ، ومدحت أصحاب الرتب ، وتوفيت بالقاهرة فى سنة ٩٤١هـ . وانظر النور السافر ص ٢٠٥ .

(٢) كذا الرسم والضبط فى الأصل .

أعْلَى المُلُوكِ لَهُ أدْنَى فَضَائِلكُمْ
وَقَد تعارف هذا سَائِر الأمَمُ(١)

ومنها :

مَوَاهِبُ اللهِ لَا تُحْصَى وَمِنَّتُهُ
جَاءَتْ بِتِذْكَارِهَا الآثَارُ والرُّسُمُ
فالحِلْم والعِلْمُ فِي الدُّنْيَا سَجِيَّتُهُ
بَرٌّ تَقِىٌّ رَحِيمٌ وَاصِلٌ رَحِمُ
فِى الأربعين حديثاً من روايته
غرائب علمها تُسْتَنْبَط الحِكَمُ

ومنها :

فى الحلم والجود يَحْكِيه ابنُ زَائدةٍ
وآلُ بَرْمَك والطَّائِى بِهِ خُصِمُوا
فى الجمع فردٌ وإنْ قَاسَوا به بَطَلاً
سِوَى عَلِىٍّ ووثْبَاتٍ لَه ظَلَمُوا /
فى الحَرْبِ فَاتِحُ أبْوَابٍ ومُغْلِقُهَا ٢٥٤ظ
بِصَارِمٍ تُفْلَقُ الهامَاتُ والقِمَمُ
لَوْلَا مَسَاعٍ له فى اللهِ صَالِحَةٌ
مَا وَاصَلَ الحَج بيت الله مَن حرموا

---

(١) كذا الضبط فى الأصل ، ويلاحظ ما فيه من خطأ نحوى .

أحميت كل جهات نحوها فغدت
كأنما أمنها فى طُرْقِهَــــــا حَرَمُ
بُورِكْ لمكــة فيــه يوم نازلـــة
بها إذا وُضِعَت فيها له قَدَمُ
عَمَّـرْتَ مَكَّـةَ إِذْ أَطْلَالُهَا خَرِبَتْ
فَمُـذْ أَتَيْتَ لَهَـا والنَّـارُ تَضْطَّــرِمُ

ومنها :

فَهْـوَ ابـنُ مَرْيَـم فى أيـامِ عَوْدَتِـــهِ
يَرْعَى بأدْنَى حِمَاهُ الـذئبُ والغَنَـمُ
فيــــا له أسد لم يأو غابتـــــه
مِنْ بَأْسِهِ حَجَبَتْ أسادَهَـا الأُجُمُ
تَرَى قُلُوبَ العِدَى بالرُّعْبِ خَافِقَـةً
إِذْ بالـردى واقـعٌ فِيهِــمْ ومُنْتَقِـــمُ
وذَلَّ مَنْ عَزَّ مِنْ جَبَّـارِ مُبْــــغِضِهِ
وبَعْـدَ مَا خُدِمُــوا صَارُوا لَهُ خَدَمُ

ومنها :

تَخَالُهُ فِى جُمُوعٍ مِن بَنِى حَسِنٍ
كبَـدْرِ تِمٍّ أضاءَتْ حَوْلَـهُ النُّجُـــمُ
أو غُصْنِ بَانٍ بِرَوْضٍ يَانِـــعٍ نَضِرٍ
لذلك الـغُصْنِ أزْهَـارٌ بِهِ نُظِمُـــوا

أو ذلك الليـل فى إقبالـــه وتَــرى
أشْبَالَـهُ حَولــه تَسْتَنْفِــرُ الغَنَـــمُ
بِنْتُ ابنِ سِيرِينَ مَوْلَاةٌ لَكُمْ عُرِفَتْ
بِحُبِّهَا وَلَهَــا فِى ذلِـكَ العِظَـــمُ
تَدْعُو لَكُـمْ وَرِجَـالُ اللهِ تَعْضُدُهَـا
وَتَسْأَلُ اللهَ تُعْقَـــل هذه النِّعَـــمُ
بِطُـولِ عُمْـرِكَ يَا مَنْ لَا شَبِيـهَ لَهُ
وَلَا يُضَاهَـى بِهِ عُرْبٌ وَلَا عَجَـــمُ
وَتَعِيشُ فِى غِبْطَةٍ عُمْرَ الطبيعَةِ فِى
أَتَـــمِّ عَافِيَـــةٍ لَا سَاءَكَ الهَـــرَمُ

وفى شهر صفر سنة ثمانى عشرة وتسعمائـة لَمَّـا بَطَشَ البَـاشُ خاير بك المعمار بالقاضى زيـن الديـن الناظـر بجُـدَّة بها ، ثم ألـبسه خلعة وأركبه فرساً إلى بيته ، وتكلم الخواجا شمس الديـن القـارى على الباش كثيراً ، ومنع زيـن الديـن السَّنَابِيـقَ والقَبَّـان والعَتَّـالين ، وأرسل عبدين لمصر ، وبلَغَ السيـد بركات حضر إلى جدة بنـفسه ، وجـلس بفرضته ، فجاءه القاضى زين الدين فطيَّب خاطره ، وألبسه خلعـة ، وأطلـق السنابِيـقَ والقَبَّـان والعَتَّـالين ، وأمـر المنـادى ينـادى بالأمـان والاطمئنان ؛ فَفُعِل . ثم جاء الباش للسيد بركات ، فأسمعـه كلمـات مُزْعِجَة ، ويقال إنـه كُتِبَ محضر بذلك ، وأرسل للسلطـان ، وأرسل

الباش أيضاً قاصداً لمصر(١) .

وفى هذا الشهر وصل من الهند إلى جُدَّة الأمير الحُسَامى حُسَين باش التجريدة البحرية للفرنج ، ونائب جُدَّة ــ كان ــ ولما وصل جدة نادى بالأمان والاطمئنان ، ومَن ظُلِمَ أو قُهِرَ عليه بباب الأمير حسين . فأرسل له السيد بركات وقال له : ما لك هذا ، إلَّا حتى يأتيك / مرسوم السلطان ، وزين الدين معه الولاية ، ثم توجَّه ٢٥٥و لمصر وجاء بالولاية(٢) .

وفى عصر يوم الأحد ــ أو قبيله ــ حادى عشرى ربيع الأول مات السيد قَايِتْبَاى بن محمد بن بركات بأرض حسَّان ، وحمل إلى مكة على أكتاف الرجال ، والعسكر كلهم يمشون حوله ، والسيد بركات وجماعته راكبون ، فجُهِّزَ ببيته ، وصَلَّى عليه صبحَ ثانيه عند باب الكعبة القاضى الشافعىُّ الصلاحى بن ظهيرة ، ونادى الرئيس بالصلاة عليه فوق ظلة زمزم ، ودفن بالمعلاة إلى جانب والده بقبته ــ رحمة الله تعالى عليهما ــ وعمل له ربعة بالمسجد الحرام والمعلاة صباحاً ومساءً ، والسيد بركات يحضر ذلك هو وجماعته ، وأنشد الشعراء يوم الختم عدَّة قصائد ، أُثْبِتُ بعضها فى ترجمته كما سيأتى إن

(١) وانظر ما فعله خايربك المعمار فى القاضى زين الدين ناظر جدة وسبب ذلك : فى بلوغ القرى لوحة ٢٠٤ظ .

(٢) المرجع السابق .

شاء الله[١] . ثم سافر السيد بركات بعد ذلك .

ولما سمع السلطان ــ نصره الله تعالى ــ بموته أرسل القاضى ناظر الخواص الشريفة العلائى بن الإمام للسيد بركات يطلبه ليطأ البساط ويتولى البلاد كما سيأتى بيانه .

وفى يوم الجمعة سادس رجب دخل السيد بركات مكة من جهة الشرق ، ومعه أهله وعسكره ، وحمى ناحية عرفة وبعض أماكن ، ثم خرج فى يومه إلى ناحية حِرَى[٢] ، ثم عاد لمكة فى صبيحة يوم الاثنين تاسع الشهر ، وطلب من التجار قرضاً ــ يقال ــ خمسة عشر ألفاً ــ وأعطى الكثيرُ منهم ، وتوقّف بعضُهم ثم أعطى[٣] .

وفى ثالث عشر الشهر توجه السيد بركات للوادى للنظر فى أمواله ، وعاد لمكة فى خامس عشر الشهر[٤] .

(١) ولم يتيسر للمؤلف رحمه الله أن يضيف ترجمة له مستقلة إلى كتابه هذا ، ولعله أعدها كما يفهم من هذا النص ، ولكنه مات خلال ترجمة الشريف بركات بن محمد ، وكان فى عزمه أن يأتى بتراجم إخوته الذين تخللت إمارتهم فترة إمارته بعد إتمام ترجمته ولكن حال انتهاء الأجل بينه وبين ما عزم عليه .

(٢) حرى : لغة فى حراء ، ففى معجم البلدان « قال بعضهم : وللناس فيه ثلاث لغات ؛ يفتحون حاءه وهى مكسورة ، ويقصرون ألفه وهى ممدودة ، ويميلونها وهى لا تسوغ فيها الإمالة » .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٠٧و .

(٤) المرجع السابق .

وفى سادس شعبان وصل لمكة القاضى ناظر الخواص الشريفة العلائى على بن الإمام ، فلاقاه السيد بركات إلى الزاهر ، فخلع عليه خلعة خضراء بمقلب سنجاب ، وعلى ولده الشريف أبى نُمَىّ أخرى ، وأعطى السيد بركات مرسوماً ولم يقرأ[١] ، وكان فيه الطلب ليطأ بساط السلطان ؛ فتوقَّف السيد بركات فى ذلك ، وصار حائراً لا يجزم بشيء ، ثم أجمع رأيه على إرسال ولده الشريف أبى نُمَىّ .

فلما كان أوَّل رمضان سافر لمصر القاضى ناظر الخواص والسيد أبو نُمَىّ ، وعمره نحو تسع سنين ، ومعه القاضيان الشافعى والمالكى والشريف عرار ، ومع الشافعى بعض جماعته ، ومع المالكى ولداه[٢] .

ولما وصلوا لمصر فى رابع شوال أكرمهم السلطان إكراماً كثيراً ، وأرسل لهم الملاقية إلى قرب عَجْرُود[٣] ، ثم القاضى الشهابى أحمد بن الجيعان إلى فوق البويب[٤] ، ووصل للسيد أبى نُمَىّ هناك

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٠٧ظ .

(٢) المرجع السابق ٢٠٨ظ .

(٣) عجرود : هى منطقة صحراوية بها محطة للحاج على الطريق بين القاهرة والسويس ، تقع فى شمال غربى السويس ، وبها خان ينزله المسافرون وقلعة مشحونة بالحرس ، وبها بئر ماؤها مر ، وعليها ساقية تخرج الماء فى حوض لمنافع الحجاج ، وقد اندثرت المبانى ولم يبق إلا إطلالها على السكة الصحراوية من القاهرة إلى السويس ، قبيل السويس بعشرين كيلاً . وانظر هامش النجوم الزاهرة ٦ : ٧٤ .

(٤) البويب : نقب بين جبلين ، ويقال مدخل أهل الحجاز إلى مصر . (معجم =

فرسٌ بسَرْج وكُنْبُوش مُغَرَّقَيْن ذهباً ، وكاملية مخمّل بسمُّور ، فلبسها ، وللقاضيين ببغلتين عظيمتين بشكيمتين ، ثم بعد قليل تَلَقَّاهم الأميرُ الكبير وغيرُه ، ثم قضاة القضاة ، وكاتب[1] السرِّ ، وغيرهم ، ومُدَ لهم بالبِرْكَة سماطٌ عظيم أيضاً . ومن بعده الطَّارِىّ[2] والمَشْرُوب ، وسلم عليه بقيَّة الأمراء . وفى ثانى يوم طلعوا إلى السلطان بالمقعد فى الميدان ، فلما أقبل القضاة قام السلطان ،
٢٥٥ظ واستمر قائماً حتى وصل السيد أبو نُمَىّ / وقبَّلَ يَدَ السلطان ؛ فاحتضنه وسَلَّم على خَدِّه ، وأجلسه بين يديه ، وجبر خاطره بكلام كثير ، وأمر القاضيين بالجلوس ، وألبس الشريف كاملية ثانية تماسيحاً ذهباً بمقلب سمور طرشاء لم يلبس مثلها إلا ولد ابن عثمان — على ما ذكره المصريون — وألبس القاضيين كامليتين خُضْراً بسمور طرشاء ، وألبس الشريف عراراً كاملية . وقام السلطان ثانية فقبَّلوا يده . ونزل

= البلدان لياقوت) . ويقال : اسم للممر الذى يأتى مدينة العقبة من الجنوب بين الجبال والبرث المعروف باسم البريج (معجم معالم الحجاز) .

(١) فى الأصل « وكاتم » والمثبت عن بدائع الزهور ٤:٢٨٧ ، وهو محب الدين محمود ابن القاضى شمس الدين محمد بن أجا الحلبى كاتب السر ، توفى فى حلب فى سنة ٩٢٥هـ وهو آخر كتاب السر بالديار المصرية (بدائع الزهور ٥:٣٠٧ ، وشذرات الذهب ٨:١٣٩) .

(٢) الطارى : هو سماط يمد بعد سماط الطعام وقبل سماط الشراب والفاكهة : وكان يحتوى على الحلاوات والعسليات وما أشبه . وقد تحدث المقريزى فى خططه ٣:٤٣ عن الأسمطة السلطانية . وانظر بدائع الزهور ٤:٣٩٤ .

فى خدمة الشريف أبى نُمَىّ جميعُ الموكب إلى منزله ، واستمر السّماط للشريف ثلاثة أيام غداءً وعشاءً . وأَلْبَسَ الشريفُ جميع أرباب وظائف المقام الشريف الذين نزلوا لخدمته كَوَامِلَ ، واستمر الشريف يركب والقضاة معه ، ويسلم على الأمراء ، وأنعم السلطان بالبلاد للسيد الشريف بركات ، وبعود ولده صحبة الرَّكْبِ الشريف .

وفى عاشر الشهر قدمت الهدية للسلطان ؛ فقبلها وقابلها بمزيد الشكر ، وألبس المتقدمين بها كوامل ، وهم : الشريف عرار ومن معه .

ولما ودعوا السلطان وقت السفر خَلَع على السيد الشريف أبى نُمَىّ والقاضيين ، وأنعم عليهم وعلى جماعتهم بمبلغ له صورة ، وجُعِلَ لكل قاض مائتان ، ولكل واحد من جماعة القاضى ثلاثون أشرفياً ، وهما أخوه بدر الدين وابن خالته أبو البقاء ، ولولدى القاضى المالكى ستون[1] . وسافروا مع أمير المحمل تِمْرَاز الحسنى الزَّرَدْكَاش أحد الأمراء المقدمين إلى العقبة ، ثم تقدّموا عنه إلى يَنْبُع ، ثم إلى مكة ودخلوها ليلة الأحد ثانى عشرى ذى القعدة ، فلاقاه والده إلى الزاهر . وفى صباحها عرض له والده فى عسكره ولبس السيد أبو نُمَىّ خلعة بطرز ، ولبس عمامة بطرز ، ولبس [الشريف

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٠٩ظ .

بركات][١] عمامة مدورة ــ طبعاً ــ لكن بغير طرز ، ودخلا مكة في عرضة عظيمة إلى أن وصلوا بيتهما .

وفى عصر يومه دخل السيد أبو نُمَىّ الطواف ؛ فدعا له الرئيس فوق ظلة زمزم بالذى يدعى به لصاحب مكة ، وصلى العصر عند باب أم هانئ[٢] على عادتهم ، وبسط له البساط كعادة الأمراء ، وصار يدعى له مع والده في الخطبة وغيرها ، وضربت السكة باسميهما .

وهنأ الشعراء السيد بركات بقدوم ولده بعدَّةٍ من القصائد يأتى بعضها فى ترجمة ولده إن شاء الله تعالى . ومنها قصيدة لصاحبنا شيخ الأدباء ، وقدوة البلغاء شهاب الدين أحمد بن الحسين بن العليف المكى أبقاه الله تعالى ، مطلعها :

خَدَمَتْكَ الحُظُوظُ والأَقْسَامُ
[وجَرَتْ باخْتِيَارِكَ الأَحْكَامُ

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) فى بلوغ القرى لوحة ٢٠٩ظ « عند باب الحزورة » ومعروف أن باب أم هانى فى الجانب الجنوبى للمسجد الحرام ، وأن باب الحزورة فى الجانب الغربى للمسجد ، ويبدو أن الأمر أشكل على المؤلف فجاء بأحدهما فى كتاب والآخر فى كتاب ، وذلك لقرب البابين فالحزورة فى آخر الجانب الغربى وباب أم هانى فى أول الجانب الجنوبى عند اتصاله بالغربى . وانظر الجامع اللطيف ١٣٥ ، ١٣٦ .

وقَضَتْ بالـذِى تُرِيـدُ اللَّيَالِـى][1]
واستَقَـــادَتْ لأَمْرِكَ الأيَّـــامُ
وَأطَاعَـتْكَ المُرْهَفَاتُ المَـــوَاضِى
والمَذَاكِـى والسُّمْـرُ والأقْـلَامُ
وَوَقَـاكَ المَحْـذُورَ رأىٌ شريـفٌ
وحمَـاكَ التَّدْبيـرُ والإلْهَـامُ
وَكَفَـاكَ الإلـهُ مَا أُضْمَرَ الدَّهْـ
ـرُ وَمَـا سَوَّلَتْ لَهُ الأوْهَـامُ
لَا تَخَـفْ مِنْـهُ نَبْـوَةً وَاهْتِضَامـاً
عادَةُ اللهِ لَا يُضَامُ الكِــرَامُ /
خَصَّكَ اللهُ بالعِنَايَــةِ مِنْــهُ ٢٥٦و
وَكَــلَاكَ الوقــارُ والإعظَـامُ
حَسْبُكَ اللهُ أنْ يَطِيشَ بِكَ الظَّـ
ـنُّ وأنْ يَسْتَفِــزَّكَ الإيهَـامُ
ليس للمُـلْكِ غَيْـرَ ذَاتِكَ كُفْءٌ
أنْتَ للمُـلْكِ والملـوكِ نِظَـامُ[2]

ومنها :

(١) ما بين الحاصرتين سقـط فى الأصل ، والمثـبت عن سمط النجـوم العـوالى ٤:٣١٢ .

(٢) وفى سمط النجوم العوالى ٤:٣١٢ « أنت للملك يا همام نظام » .

لَوْ عَلَى الأَمْـرِ عَارَضَتْكَ اللَّيَالِـي
قَارَعَتْهَــا الأَقْــدَارُ والأَحْكَــامُ
لَمْ يَكُـنْ غيْـرَ مَا تُرِيـدُ وَلَــوْ كَا
نَ فإِنَّ العَزِيــــــزَ مَنْ لَا يُضَامُ

ومنها :

فَهَنِيئــاً أَبَــا زُهَيْــرٍ بِعَــوْدٍ
لِسَرِيــــــــرٍ بِهِ السُّرُورُ دَوَامُ
مَهَّدَتْـهُ لَكَ الخِفَـافُ المَــوَاضِي
وَجَــلاهُ بِعَــزْمِكَ الإِقْــدَامُ
لَمْ تُجَــدِّدْ لَكَ الولايَــةُ عَهْــداً
أَنْتَ مِنْ قَبْلِهَــا مَلِــيكٌ هُمَــامُ
لا أُهَنِّيك بَلْ أُهَنِّـى بِكَ المُلْـــ
كَ فَقَــــدْ حُزْتَــــهُ وأَنْتَ غُلَامُ
أَنْتَ يَابَا زُهَيْــرٍ أعْلَــى مَحَــلًّا
فَعَــلَامَ الهَنَــــاءُ والإِعْــــلَامُ
لَمْ تَرِثْــهُ كَلَالَــةً لا وَلَا العَهْــ
ـدُ حَدِيثٌ بِهِ وَلَا الإِلْمَــــــامُ

ومنها :

لَمْ يَزِدْنَـا البَشِيرُ عَمَّــا عَلِمْـــ
ـنَاهُ وَلَا خَامَــرَ العُقُــولَ اتِّهَــامُ

عَمْــرُكَ اللهُ لَوْ تَرَاخَــى قَلِيــلاً
بَشَّرَتْنَــا بِسَعْــدِكَ الأحْــلاَمُ
أنْتَ روحٌ للمُـلْكِ والغَيْــرُ جِسْمٌ
لَا تُقَــاسُ الأرْوَاحُ والأجْسَامُ
ذَاتُكَ القُــطْبُ لِلسِّيَــادَةِ وَالآ
لُ نُجُــومٌ وأنتَ بدرٌ تَمَــامُ
وَإذَا كَانَ فِى المَقَايِــيسِ قُرْبٌ
كُنْتَ نَوْراً ومَــنْ سِوَاكَ كِمَــامُ
كَيْفَ يَسْمُو إلى مَسَاعِيكَ[١] قَومٌ
سَهِرَتْ مُقْلَتَــاكَ فيهَــا ونَامُــوا
أيـنَ كَانُـوا أبَـا زُهَيْــرٍ وَقَــدْ ذُدْ
تَ عَنِ المُـلْكِ والخُطُـوبُ عِظَـامُ
يَوْمَ أدْجَــى ضِيَاؤُهَــا وَتَــوَارَى
صُبْحُهَـا فَانْجَلَــى بِكَ الإظْــلاَمُ
كُنْتَ طَلَّاعِ نُقْبِها والثَّنَايَــــا
يومَ أنْتَ المُقَــدَّمُ المِقْــدَامُ
هِمَّــةٌ دُونَهــا الثُّرَيَّــا وحَــزْمٌ
وَاعْتِــرَامٌ وسَطْــوَةٌ وانْتِقَــامُ

(١) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « معاليك » .

لَمْ أقُلْ مَا أقُولُ جَهْـلاً ولَكِـنْ
يَظْهَـرُ الأمْـرُ إذْ يَزُولُ اللِّثَـامُ

ومنها :

إنَّ دَهْـراً أتَـيْتَ فِيـهِ لَدَهْـرٌ
سحـرٌ كُلُّـهُ ولَيْـلٌ تَمَـامُ
هَذَا المُـلْكُ بَعْدَ طُولِ جِمَـاحٍ
مُذْ تَوَلَّـيْتَ وَاسْتَقَـامَ النِّظَـامُ
وَكَسَاهُ حُلاَكَ حُلَّـةَ فَخْـرٍ
لَمْ تُبْدِهَا[1] الشُّهُورُ والأعْوَام /
أنْتَ عَيْنُ الوُجُودِ فِيـهِ وَلَـوْلَا ٢٥٦ظ
كَ تَسَاوَى الإيجَـادُ والإعْـدَامُ

ومنه :

حُزْتَ كُلَّ الكَمَالِ فِى كُلِّ وَصْفٍ[2]
قَصُرَتْ عَنْهُ فِى الصِّفَاتِ الأنَـامُ
كَرَمٌ فِى شَجَاعَـةٍ وَوَفَـاءٌ
وَحَيَـاءٌ وَحُرْمَـةٌ وذِمَـامُ

(١) فى سمط النجوم العوالى ٤:٣١٣ « وكساه حلاك رونق حسن * لم تبده ... » .

(٢) فى المرجع السابق « جزت حد الكمال فى كل وصف * » .

وَارْتِفَـاعٌ إلى العُلَـى وَسُمُـوٌّ
وَحُنُـوٌّ وَرَحْمَـةٌ واهْـتِضَامُ
وأيَـادٍ إذا اسْتَهَـلَّ نَدَاهَـا
يَسْتَمِدُّ الحيـاءَ مِنْهَـا الغَمَـامُ
لَا يَزِيـدُ الثَّنَـاء فِيكَ وَلَكِـنْ
يَتَحَلَّـى إذَا ذُكِـرْتَ النِّظَـامُ

ومنها :

والهَنَا فِى أبِى نُمَـىٍّ المُفَـدَّى
لَكَ وَالاجْتِمَـاعُ والِالْتِئَـامُ(١)
فَرْعُ غَرْسٍ يَنْمِـى إلى خَيـرِ أصْلٍ
جاء تالٍ وفى السبـاق إمَـامُ
وابـنُ ملكٍ ومِنْبَـرٍ وسَرِيـرٍ
ومَـدَى الغَايَـةِ التـى لَا تُرَامُ
سَيِّـدٌ أدْرَكَ السِّيَـادَة طِفْـلاً
وبَنَـى المَكْرُمَاتِ وَهْـوَ فِطَـامُ

ومنها :

لَا عَجِيبٌ أنْ نَالَ وَهْـوَ صَغِيـرٌ
مَا حَوَاهُ الآبَاءُ والأعْمَـامُ

(١) فى سمط النجوم العوالى ٤:٣١٥ « والأمانى والجمع والالتئام » .

ما عَلى الشِّبْلِ أنْ يَحُوزَ المَعَالِى
وأَبُــوهُ الغَضَنْفَــرُ الضِّرْغَــامُ

ومنها :

دُمْتَ حَتَّى تَرَى الوِلَايَةَ(١) والمُلْكَ
لأوْلَادِهِ وأَنْتَ الزِّمَـــامُ

ومنها :

قِسْ ثَنَائِى عَلَى ثَنَــاءِ سِوَائِـــى
تَدْرِ أنَّ الكَـــلَامَ مِنْـــهُ كَلَامُ
واقْسِمْ اللحظ(٢) بَيْنَنَا يَا أَخَا الفَضْـ
ـلِ فَأَنْتَ المُهَــذَّبُ الفَهَّـــامُ
لَوْ دُعِينَا إلى التَّنَاصُفِ فى الحُكْـ
ـمِ لَبَذَّ الضَّعِيفَ مِنَّـا المـلَامُ
وبِقَـدْرِ البَلِيـغِ والبَلْــغ فى القَــوْ
لِ يَكُــونُ الإعــرَابُ والإعْجَــامُ

وقصيدة الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد العمرى الحرازى المكى(٣) الحنفى ـــ أبقاه الله تعالى ـــ قال :

(١) فى المرجع السابق ٣١٦:٤ « السيادة » .

(٢) فى المرجع السابق « الجود » .

(٣) له ترجمة فى المختصر من نشر النور والزهر ص ٨٤ برقم ٥٠ ، وفيه « ولد سنة ٨٦٤هـ ، وتوفى سنة ٩٢٨هـ » .

لِيَهْنِكَ يَا مَلِيكَ الـــعَصْرِ يَا مَنْ
طَوَالِــعُ عِزِّهِ سَعْــدُ السُّعُـــــودِ
وكَهْـف المُلْتجِيـــنَ إلى حِمَـــاهُ
وعين المُـلْكِ بَلْ عَيْـنُ الوُجُـــودِ
فَأَضْحَى حَاتِمـاً عِنْـــدَ العَطَايَـــا
وعَمْـراً فى لِقَـا الحَـرْبِ الشَّدِيـــدِ
وعِنْـدَ الفَهْـــمِ للمَعْنَـــى إيَـــاساً
وَأحْنَـفَ تَلْقَـهُ عِنْـــدَ الوَعِيـــدِ /
إذا ما هَمَّ فى إجْـــــــلَا عَدُوٍّ ٢٥٧و
أتَـــاهُ الـــرُّعْبُ فِى أمَـــدٍ بَعِيـــدِ
مبيـــد المارِقِيـــنَ أبَـــا زُهَيْـــــرٍ
وَحَامِـى حَوْمَـة البَـيْتِ السَّعِيـــدِ
سُرُورٌ لَا يُعَادِلُـــــــــــهُ سُرُورٌ
بِمَقْـدِمِ سَيِّـدِى النَّجْـــلِ الفَرِيـــدِ
سَلِيـــلِ المُـــلْكِ مِنْ شُمٍّ أُبَـــاةٍ
سَعِيـــد فى الصُّدُورِ وفى الـــوُرُودِ
نجيبٍ ذِى وَقَـــارٍ وابْتِهَـــاجٍ
أتـاهُ السَّعْـدُ يَرْفُـــلُ فِى البُـــرُودِ
يَلُـوحُ عَليـه أنْ سَيَصِيـــرَ غَوْثـــاً
وَفـــىَّ العَهْـــدِ ذَا رَأْيٍ حَمِيـــدِ

أَتَـــــى بَدْراً لَهُ هَالَاتُ عِزٍّ
سَمَاءُ سُمُــوِّهِ حُسْنُ الشُّهُــودِ
فَيَـا لِلَّهِ مَا أَحْلَـى وَأَغْلَـى
قدوم أبِى نُمَىْ غَالِـى الجُـدُودِ
لِيَـوْمِ قُدُومِـهِ عِيـدٌ عَظِيـمٌ
يُفَاضِلُ بَلْ وَيَـفْضُلُ كُلَّ عِيـدِ
فمَكَّـةُ حَلْيُهَـا لَبِسَتْـهُ لَمَّـا
أتَـى فى حُلَّـةِ العِـزِّ المَشِيـدِ
وتَـاهَتْ فِى تَفَاخُرِهَـا وَقَـالَتْ
تُخَاطِبُ نَفْسَها سُدْتِى فسُودِى
بمَقْدِمِ نَجْـلِ مَنْ مَلَكَ البَرَايَـا
عَلَى رغْمِ المُعَانِـدِ والـحَسُودِ
هِزَبْـــر لَا يُطَـــاقُ لَهُ نِزَالٌ
إذَا مَا الحَرْبُ كالنَّـارِ الوَقُـودِ
فَيَـا ما جَلَّـلَ الحَصْبَـا عَدُوًّا
بأَبْـيَضَ مُرْهَـفٍ وَسِنَـانِ عُودِ
وَيَـا مَا مِنْ بِحَـارِ نَدَاهُ أَثْـرَتْ
أيَـادِى المُرْمِلِيـنَ مِنَ الوُفُـودِ
لَعَمْـرِى كَمْ لَهُ وَصْفٌ جَمِيـلٌ
يُقَـالُ لِحَاكِـهِ هَلْ مِنْ مَزِيـدِ

وَعَمْــــرِى هَلْ يَثُـــورُ بِهِ بَلِيـــغٌ
لَعَمْـــرِى مَنْ يَرُومُ لَفِـــى صُدُودُ
تَهَـنَّ أَبَـــا زُهَيْـــرٍ وَاعْـــلُ وابْـــقَ
قَرِيـرَ العَيْـنِ فِى كَنَـــفِ الـــوُرُودِ
أَدَامَ اللّٰهُ عِزَّكَ فِى نُمُـــــــــوٍّ
مَلِيكَ الـعَصْرِ فِى عَيْشٍ رَغِيـــدِ
وَصَلِّ ثُمَّ سَلِّـــــمْ كل حِيـــنٍ
عَلَى المُخْتَارِ ذِى العَرْشِ المَجِيدِ[1]

وفى هذه السنـة دخـل أمير الحاج الأوّل[2] والمحمـل مكـة فى ليلة واحدة ؛ ليلة الجمعة سابع عشرى ذى القعـدة ، وخـرج السيـد بركات وولدُه السيد أبو نُمَىّ فى الصبـح لهمـا للعـرضة ، فخلـع أمير الأول على السيد أبى نُمَىّ ودخل معه مكة ببعض العسكر ، وتخلَّـف والده السيد بركات عند أمير المحمـل[3] إلى أن عاد السيـد أبـو نُمَـىّ وعسكـره وأمير الأول . وخلـــع أمير الحاج على السيديـــن خلعـــتين

(١) هذه شطحة من الشاعر ؛ حيث جعل النبى صلى الله عليه وسلم ذا عرش مجيـداً ، وذو العـرش المجيـد هو الله تعـــالى ، كما جاء فى سورة البروج الآيتين ١٤ ، ١٥ ﴿ وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ﴾ ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم عرش كما كان لملكة سبأ مثلاً . وإن وصف عرشها بالعظم .

(٢) وهـو يوسف النـاصرى الأشرفى شاد الشراب خانـاه (بلـوغ القـرى لوحـــة ٢١٠و ، ودرر الفرائد المنظمة ٣٥٨) .

(٣) هو تمر الحسنى الأشرفى ، وانظر المرجعين السابقين .

عظيمـتين بِطُـرُزٍ عظيمـة وعصائب فوق العمامـتين وهما طبقـان على
٢٥٧ظ عادة سلاطين [الحجاز][١] ، ولم يختلع / السيد بركات فى مخيم الأمير بل مقابلـه ، وقـال عن ولـده : هو السلطـان ، وقبَّـلَ الولـدُ ــ على العـادة ــ خُفَّ جمل المحمـل ، وأمـا السيـد بركات فإنـه مسح بيـده ثيـاب المحمـل ، وأرسل له السلطـانُ فرساً بكنْبُـوش وسرج مُغَـرَّق ، فلم ينزل الشريـف عن فرسه ، بل قُرِّب له الفـرسُ إلى جانبـه فركب عليـه ولم ينـزل إلى الأرض ، ودخلـوا جميعـاً ، وكان يومـاً مشهـوداً ، والعسكر والخلق كثيراً ، وسر الناس بذلك[٢] .

وفى موسم هذه السنة أرسل السيد بركات إلى المقام الشريـف الملك الأشرف قَانْصُوَه الغورى ــ نصره الله تعـالى ــ قصيـدة طويلـة من نظمه ، امتدحه بها ، وذكر فيها الشكر منه فيما فعله مع ولده ، وهى :

لِى مِنْ زَمَانِىَ مَا يُعْطِى وَمَـا يَدَعُ
وَقَـدْ شَكَرْتُ فَلا يَأسٌ ولَا طَمَـعُ
أَلْبَسُهُ كُرْهاً عَلَى العِلَّاتِ مُحْتَسِبـاً
فَالعَيْشُ شَطْـرَانِ ذَا أَمْـنٌ وذَا فَزَعُ
أُغْضِى وإِنْ خَدَشَتْ نَابُ الصُّروفِ يَدِى
وَاسْكُن إلى الصَّبْرِ لا طَيْشٌ ولا جَزَعُ

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٢١٠و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٢١٠و .

إنَّ الزَّمَانَ جديرٌ أنْ طَعِمْتَ بِهِ
حلاوة يَقْتَفِيهَا الصَّابُ والسَّلَعُ(١)
إنْ أنْكَرَ المَرْءُ بالأيَّـامِ مَعْرِفَـةً
بَعْدَ التَّجَارِبِ فَهْوَ العَاجِزُ الضَّرِعُ
تَجْرِى المَقَادِيرُ والآمَالُ وَاقِفَـةٌ
والمرءُ بَيْنَ الرَّجَا والخَوْفِ مُضْطَّجِعُ
إذا قَضَى اللهُ أمْـراً فِى خَلِيقَتِـهِ
لَا الحَزْمُ يَدْفَعُ مَا يَقْضِى وَلَا يَزَعُ
أو دَبَّر اللفظَ أمرٌ دَقَّ مَسْلَكُهُ
فَالحَظُّ يَأخُذُ مِنْهُ فَوْقَ مَا يَدَعُ
مَا عَزَّ مَنْ كَانَ غيـرَ اللهِ نَاصِرُهُ
وَذَلَّ مَنْ بِسَوَى مَوْلَاهُ يَمْتَنِـعُ
لَا تَحْمِلِ الضَّيْمَ فِى أمْرٍ تُحَاوِلُهُ
نَفْسٌ إلى غَايَـةِ العَلْيَـاءِ تَطَّلِـعُ
تَسَنَّمَتْ غَارِبَ(٢) الجَوْزَاءِ وَاقْتَعَدَتْ
فِى ذِرْوَةِ العِزِّ لا فَخْرٌ ولَا سُمَعُ
تَرْقَى إلى هَضْبَةٍ فى المَجْدِ سَامِيَةٍ
لكنها بارتفـاعِ القَـدْرِ تَتَّضِعُ

(١) السلع : شجر مر ينبت فى اليمن وهو من الفصيلة العنبية (المعجم الوسيط) .

(٢) الغارب : الكاهل ، وأعلى كل شيء يقال له كاهل (المعجم الوسيط) .

ذُلٌّ يُعِــــزُّ ولا عِزٌّ تُقِيــــمُ بِهِ
نفسُ الكـريمِ عَلَـى ذُلٍّ وتُجْتَــدَعُ
لَا كَامْرِئٍ هَمُّهُ الرَّاحَاتُ فِي دِعَةٍ
وغايـةُ الحَـالِ مِنْـهُ الـرِّيُّ والشِّبَعُ
تَنْهَــــاهُ آرَاؤُهُ طَوْراً وَتَأْمُـــــرُهُ
وأبْدَعُ الوَصْفِ فِيهِ البُخْلُ وَالجَشَعُ
إنِّـى عَلَـى ثِقَــةٍ فيمــا أُؤَمِّلُــــهُ
لم أخْشَ ضَيْمـاً فإنَّ الحِلْـمَ مُتَّسَعُ
إنَّ الكِـــرَامَ إذَا أمْضَتْ عَزَائِمُهَــا
عَهْداً مَضَى القَوْلُ فِيهِ لَيْسَ يُرْتَجَعُ
واللهُ أكْـرَمُ أن يَحْبُــوا بمَوْهِبَــةٍ
مِنْـهُ وَيَسْلُبَ مَا يُعْطِى ويَنْتَـزِعُ /
٢٥٨و أرْجُو الرِّضَى مِنْ كَرِيـمٍ ثُمَّ أسْأَلُـهُ
إنّ الكَرِيمَ بحُسْنِ القَـوْلِ يَنْخَـدِعُ
وَقُدْرَةُ المَـرْءِ تَمْحُـو مِنْ حَفِيظَتِـهِ
والحُـرُّ بالعَفْـوِ والإغْضَاءِ يرتـــدعُ
أحْسَنْتُ ظَنِّـى بَعْدَ اللهِ فِى مَلِكٍ
كُلُّ المُلُـوكِ عَلَـى آثَــارِهِ تَبَــعُ
رَبّ التُّخُـوتِ وَرَبّ التَّـاجِ يَعْقِـدُهُ
عَلَـى جَبِيـنٍ بِنُـورِ المُـلْكِ يَلْتَمِـعُ
تَجْـرِى الملـوكُ عَلَـى آثَـارِ سِيرَتِـهِ
فيُـدْرِك الكـلّ دُونَ الغَايَـةِ الضَّلِـعُ

تَشَرَّفَتْ باسْمِهِ الدُّنْيَا كَمَا شَرُفَتْ
به المَنابِــرُ والأعْيَــادُ والجُمَــعُ
ذُو عَزْمَـةٍ فِى فُؤَادِ الدَّهْـرِ نَافِــذَةٍ
وَهِمَّــةٍ بَعْضُهَــا الآنَامُ لَا تَسَعُ
وهَيْبَةٍ كَلَّ عَنْهَـا الطَّـرْفُ مُنْـحَسِراً
يَكَادُ مِنْهَا جَمَادُ الصَّخْـرِ يَنْصَدِعُ
مَلِك مَتَــى تَرِدُ الآمالُ حَضْرَتَــهُ
يَصْدُرْنَ والجُـودُ مِنْ أيْدِيـهِ يَنْدَفِـعُ
حَيْثُ الذمامُ بِهَا يُرْعَـى لِصَاحِبِهَـا
وَالعَفْـوُ مُلْتَـمَسٌ وَالعِـزُّ مُنْتَجَــعُ
فَضْلُ الفَتَـى أنْ تَرَاهُ فِى سَجِيَّتِــهِ
مُهَذَّبـاً لَيْسَ فى أخْلَاقِــهِ طَبَــعُ
ذَا هِمَّـةٍ كُلُّ شَيْءٍ دونَ غَايَتِهَــا
لَهَـا بِحُبِّ المَعَالِـى وَالنَّـدَى وَلَـعُ
يَرَى عَوَاقِبَ مَا يَأْتِـى بِعَيْـنِ فَتًــى
يَسْتَنْبِطُ العِلْـمَ بالذِّكْـرَى وَيَخْتَـرِعُ
يَأيُّهَــا الملكُ الموفِــى بِهِمَّتِــهِ
عَلَى السِّمَاكَيْنِ لَا زُورٌ وَلَا مَذَعُ[1]
قَنَصْتَ مُلْكَكَ وَالأقْـدَارُ جَارِيَــةٌ
يَا قَانْصُوَاهُ بِمَا تَأْتِــى وَمَــا تَدَعُ

(١) المذع : يقال مذع مذعاً : كذب وادعى ، والمذاع الكذاب المدعى ، ومن لا وفاء له . ولا يحفظ أحداً بالغيب ، ومن لا يكتم السر (المعجم الوسيط) .

وَنِلْتَ مَا نِلْتَ وَالأَسْيَافُ مُغْمَدَةٌ
والأَمْرُ مَاضٍ وَرأْىُ الدَّسْتِ مُجْتَمِعُ
فَاسْتَأْنَفَ الملكُ عِزًّا واسْتَعَادَ عُلىً
يَبْقَى وَزَالَتْ بِكَ الأَهْوَاءُ والبِدَعُ
جَرَّدْتَ سَيْفاً عَلَى أَهْلِ العِنَادِ فَمَا
أَغْمَدْتَ إِلَّا وَحَبْلُ الشِّرْكِ مُنْقَطِعُ
مَا زِلْتَ تَضْرِبُ عَن ذَاتِ الإِلـه به
حتى استقادت له الصُّلْبان والبيعُ
اللهُ يُكْرِمُ مَنْ أَوْلَيْتَهُ كَرَماً
وَمَنْ منعتَ الرِّضَا عنه فَمُمْتَنِعُ
مَا عَزَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ لَهُ ذِمَمٌ
وَلَا يَنَالُ العُلَى إِلَّا لَكُم تَبَعُ
وَمَنْ بَدَا بِعُلَاكُمْ غَيْرَ مُعْتَصِمٍ
فَلَيْسَ بالعَيْشِ فِى دُنْيَاهُ يَنْتَفِعُ
قَضَيْتَ بالحَزْمِ أَمْراً جلَّ مَوْقِعُهُ
للهِ دَرُّ الذى يَقْضِى بِمَا يَقَعُ
وكُنْتَ فِيهِ لَعَمْرُ اللهِ ذَا بَصَرٍ
مُوَفَّقاً لجَمِيلِ الرَّأْىِ تَبْتَدِعُ
عَهْدٌ إلى بَرَكَاتٍ بالأَمَانِ مَضَى
فِى الدَّسْتِ كَانَ لَهُ مَرْأًى ومُسْتَمَعُ /

ضَاعَفْتَ مِنَّتَكَ العُظْمَى عليـه فَلَا ٢٥٨ظ
حَدٌّ فيُعْـرِبَ عَنْهَـا نَاطِـقٌ وَرِعُ
فإنَّه ــ وخِيَار القَـوْلِ أحْسَنُـهُ ــ
نونٌ وأنتَ لَهُ بَحْـرٌ فيــتَّضِعُ
إنْ كَانَ ذَنْبٌ فإنَّ العَفْـوَ يَغْفِـرُهُ
أوْ كَانَ عَتَبٌ فإنَّ الصَّفْـحَ مُتَّسِعُ
مَا زَالَ مُبْتَهِـلاً بالـفَضْلِ مُعْتَرِفـاً
فِي طَاعَةٍ ضِمْنُهَا الإخْلَاصُ والوَرَعُ
ألْقَـى بأوْلَادِهِ مِنْ بَعْـدِ مُهْجَتِـهِ
دُونَ الرَّعِيَّـة والأبْطَـالُ تَمْـتَصِعُ
وَقَـارَعَتْ حَادِثَـاتِ الدَّهْـرِ سَوْرَتُـهُ
وَنَالَ مَا شَاءَ مِنْهُ الأَزْلَمُ الجذَعُ[1]
وَحَمَّلَ النَّفسَ عَمْـداً فَوْقَ طَاقَتِهـا
لِيُـدْرِكَ العِـزَّ أوْ يُردِى بِهِ الضَّلِـعُ
ونَـازَلَ النَّائِبَـاتِ الجُهْـمِ مُمْتَطِيـاً
عَزْمـاً يَفُلُّ مَوَاضِيهـا وَيَقْتَطِـعُ
وَاسْتَـدْرَكَ الأمْـرَ فِيـهِ بَعْـدَ فَارِطَةٍ
وَشَدَّ سَعْـدُكَ عُضْواً مِنْـهُ يَنْصَدِعُ

(١) الأزلم الجذع : الدهر ، والأسد (المعجم الوسيط) .

حَتَّى اسْتَقَامَ بِهِ مَنْ كَانَ ذَا مَيَلٍ
وَرَافَقَ الشاةَ فِيهِ الذِّئبُ والضَّبُعُ
وَكُلُّ ذلك بالتَّأْييدِ منكَ لَهُ
عَلَى الحَقِيقَةِ قَوْلٌ لَيْسَ يَنْدَفِعُ
فَأوْلِهِ منك صَفْحاً تَصْطَنِعُهُ بِهِ
فَأيّ صُنْعٍ جَمِيلٍ عِنْدَهُ تَضَعُ
فإنَّه سَيْفُكَ الماضِى تَصُولُ بِهِ
عَلَى العُدَاةِ وَسَهْمٌ فِيهِمُ يَقَعُ
لَوْلَا المَقَادِيرُ تَجْرِى فِى أزِمَّتِهَا
أتَى إلَيْكَ بِثَوْبِ الفَقْرِ يَدَّرِعُ
وَقَدْ أتَاكَ ابنُهُ والسَّعْدُ يَقْدُمُهُ
أبو نُمَيٍّ وَأدْنَى خَطْوِهِ سَرَعُ
يُقَبِّلُ التُّرْبَ مِنْ أرضٍ مُقَدَّسَةٍ
ويَخْلَعُ النَّعْلَ إجْلالاً وَيَخْتَضِعُ
غَدَا قِرَاهُ الرِّضَا عَنْ ذَنْبِ وَالِدِهِ
عَفْواً وَفَضْلاً بِهِ التَّشْرِيفُ والخِلَعُ
فَاجْعَلْهُ نَشْأَكَ لَا يَصْغُرْ لَدَيْكَ فَقَدْ
يُقَصِّرُ العَوْدُ عَمَّا يُدْرِكُ الجَذَعُ[1]

---

(١) العود : المسن من الإبل وفيه بقية ، والجذع منها ما بلغ من السن أربعة أعوام (المعجم الوسيط) .

إنَّ الملـــــوكَ إذا مَا أسَّسُوا غَرسُوا
وَشَيَّدُوا وَسَقُوا الغَرْسَ الذى زَرَعُوا
فقد أطَـاعَكَ مَنْ أعْطَـاكَ مُهْجَتَـهُ
وبـات منها بحَـرِّ الـبين يَلْتَذِعُ[1] .
ما زَال والشوق يدنيـــه ويُزْعِجُـــهُ
إلـيكَ والخوفُ يُقْصِيهِ فَيَنْجَمِـــعُ
وحـــيثما كان لم يخرج بطاعتــــه
عن خدمة لم يكن فى طيِّها خِدَعُ
يود تقبيــــل أرض أنت ساكنُهـــا
والـطير يَخْشَى وُرُودَ المَـا فَيَرْتَفـعُ
ولـــــيس يروى صداه غير مورده
حَتْـــمٌ عليــــه وأمـــرُ اللهِ مُتَّبَـــعُ
فِراره مُؤذنٌ مع حُسْن طاعتـــــــه
عَلَـى الـدَّوَامِ بأنَّ العَفْـــوَ مُتَّسِعُ /
لا غرو للشِّبْـلِ إن شَذَّت هزيمتـــه ٢٥٩و
وفَرَّ مِنْ خَوْفِ ما يأتِـى به السَّبُعُ
ولا يُلَامُ الفَتَـى مِنْ خَوْفِ مَالِكِـهِ
فالبازُ يَفْرَقُ مِنْ مِخْلَابِهِ الـوَصَعُ[2]

(١) يلتذع : يحترق وجعـاً (المعجم الوسيط ٢:٨٢٢) .

(٢) الـوصع : نوع من الطيـور الوصعيـة ورتبـة العصفوريـات ، مناقيرهـــا قصيرة =

إنْ لَمْ تَكُنْ دَرَجَاتُ العَفْوِ أعْظَمُ مِنْ
ذَنْبِ الـمُسِيءِ فإنَّ العَفْـوَ مُبْتَـدَعُ
ما أوْسَعَ العُذْرَ عِنْدَ الأكْرَمِينَ لِمَنْ
جَنَى سِوَى طَاعةٍ بالقَـوْلِ تُسْتَمَـعُ
وعَـادَةُ اللهِ فى العَبْـدِ الـمُسِيءِ إذَا
أتـاهُ مُعْتَــذِراً يَعْفُــو وَيَصْطَنِــعُ
حَلُمْتَ عَنْ مَعْشَرٍ سَاءَتْ صَنَائِعُهُمْ
فِى أهْلِ مَكَّةَ بالفِعْلِ الذى ابْتَدَعُوا
واسْتَأْصَلُوا شَأْفَةَ الحُجَّاجِ عَنْ عَرَضٍ
قَتْـلاً وَنَهْبــاً فَيَــا للهِ مَا فَجَعُــوا
وأنتَ مُنْتَــدبٌ للهِ مُحْــــتَسِبٌ
ذو حَزْمَـةٍ تَشْرَبُ الدُّنْيَـا وتَبْتَلِــعُ
وَمَا رَعَـوْا لَكَ عَهْـداً فى تَقَحُّمِهِـمْ
عَلَى الرعيَّـة لكـن شَرَّ ما شَجُعُـوا
وَقَدْ أبَاحُوا حِمَى البَيْتِ الحَـرَامِ بِهِ
وخَالَفُوا الشَّرْعَ بالفِعْلِ الذى شَرَعُوا
فِى دَوْلَـةٍ قَيَّـدَتْ أخْبَـارَ دَوْلَتِهَــا
أهلُ التَّوَارِيخِ فِى الكُتُبِ التى جَمَعُوا

= وأجنحتها مستديرة ، وأذنـابها قصيرة مستديـرة عمودية على جسمهـا ، تستوطـن أوربـة ، ومن أنواعه : الوصع الأوربى ، وهو يهاجر شتاء إلى الأردن ومصر (المعجم الوسيط) .

وطِيبُ أيَّامِكَ اللاَّتِى مَلَكْتَ بِهَا
كأنَّهـا غُرَرٌ فِى الدَّهْـرِ أوْ لُمَـــعُ
حَلُمْتَ عَنْهُمْ وَبَعْضُ الحِلْمِ دَاعِيَةٌ
تُغْرِى اللِّئَامَ عَلَى الصُّنْعِ الذى صَنَعُوا[1]
لَوْلَا سُيُــوفُكَ حَزَّتْ فِى رِقَابِهِــمُ
يَوْمَ السّويـقِ لَمَـا كَفُّـوا وَلَا رَجَعُـوا
كأننـى بِهِـمُ وَالغَــدْرُ شِيمَتُهُــمْ
لَا يَنْزِعُونَ عَنِ الطَّبْعِ الـذى طُبِعُـوا
أعَاذَكَ اللهُ أنْ يَشْقَـى الولـىُّ بِكُـمُ
وَيَسْعَدَ الضِّدُّ وَهْوَ الخَائِـرُ الضَّرِعُ
لَيْتَ الجزاءَ عَلَى قَدْرِ الذُّنُوبِ لِكَىْ
يُرَى أخُو الجَرْحِ بالتَّهْدِيدِ يَرْتَـدِعُ
وَمَـا امْتِيَـازُ حَكِيــمٍ فِى بَرَاعَتِــهِ
إذَا تَسَاوَى لَدَيْـهِ البُــرْءُ والوَجَــعُ
فَلَا بَرِحْتَ عَلَـى الأمْـلَاكِ قَاطِبَـةً
مُمَلَّكاً تَمْـلِكُ الدُّنْيَـا وَمَـا جَمَعُـوا

وفى شهر صفـر سنـة تسع عشرة وتسعمائـة وصل إلى السيـد بركات ـــ وهـو بخليص ونـواحيها ـــ الشريـفُ عرار بن عجـــل من ينبـع ، ومعـه أوراق ومـراسيم من مصر له ، فأرسل ولـدَه السيـد أبـا

(١) ورد هذا البيت فى هامش اللوحة .

نُمَىّ والشريفَ عراراً إلى مكة ، فاجتمعا يوم الخميس حادى عشرى صفر بالحطيم ، ومعهم القضاة الثلاثة ، والأمير الباش ، والفقهاء .

وقُرِئ مرسومٌ للسيد بركات ، مضمونه بعد الألقاب :

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى تهدى إليه سلاماً ، وتحية وإكراماً ، وتوضح لعلمه المبارك أن مكاتبته وردت إلى أبوابنا الشريفة ، وعلمنا ما تضمنته من معنى أمر المدينة الشريفة ، وما ذكره فى معناه على الصورة المشروحة ، وفهمناه مفصلاً ، فصار ٢٥٩ظ ذلك على خواطرنا / الشريفة ، وغير خاف على الجناب العالى أن مقامنا الشريف لا يعتمد فى أمور الأقطار الحجازية ـــ فى جميعها ـــ إلا على الجناب العالى ، ولا نُعَوِّل فى الأمور كلها إلا عليه ؛ لسديد إبرامه ، وجميل تصرفاته ، ومن كان الجناب العالى غضباناً عليه فمقامنا الشريف أشد غضباً عليه ، والجناب العالى حاضر فَيَرَى ما لا يراه الغائب . وإن الجناب العالى يتقدم بالاجتماع هو والمجلس العالى الشيخى الكبيرى ، العالمى المجاهدى المؤيّدى الأوحدى الأكملى الشجاع عضد الملوك والسلاطين شاهين شيخ الحرم الشريف النبوى ـــ على الحال فيه أفضل الصلاة والسلام ، أدام الله تعالى نعمته ـــ والمجالس السامية القضائية الكبيرية القضاة ، كما ذكر الجناب العالى فى مكاتبته ، ولينظر فى ذلك ، ومن يقع اختيار الجناب العالى [عليه] ، ويعرف أن فيه كفاءة وسداداً وصالحاً للإمرة المذكورة فيطالع مسامعنا الشريفة بأمره ؛ ليبرز أمرنا الشريف بتجهيز تشريف إلى الجناب العالى لِيُلْبِسَهُ الجنابُ العالى

لمن يقع اختياره عليه ؛ فإنا لا نعرف أمورَ الأقطار الحجازية إلَّا منه ، وأمورها منوطة به ، وهو العمدة والبركة ، فليكن ذلك على علم الجناب العالى ، وأما غير ذلك فليس بخافٍ على الجناب العالى [وبخاصة](١) ما برز به أمرنا الشريف للمجلس السامى الأميرى الكبيرى الشريفى الزينى عرار حين كان بأبوابنا الشريفة فى معنى الصدقة الرومية ، وأن يوافقهم على ما يقع القرار عليه ، ثم حضر قاصدُ المقامِ العالى الكبيرى الزينى صاحب المملكة الرومية ــ أعَزَّ الله تعالى أنصاره ــ وعرف مقامنا الشريف أن قصده لا يعطى ديوان الجناب العالى إلا دون الثلث بالكثير قدر معلوم ، وأن الجناب العالى لم يوافق على ذلك ، وعند ذلك برز أمرنا الشريف بالكتابة إلى المقام العالى الزينى صاحب المملكة الرومية المشار إليه أعلمناه بأن العادة جرَت بأن أمراء مكة المشرفة يراعون ، وأن الله تعالى قال فى كتابه العزيز ــ حكاية عن سؤال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ــ ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُمْ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٢) وأعلمناه أيضاً أن مقامنا الشريف لا يمكنه إلزام الجناب العالى بقطع شىء من معاليمه ، وأن المقام العالى المشار إليه ، وكُلّ مَلِك يريد التقرُّب من خُدَّام تلك

---

(١) إضافة على الأصل .

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٧ .

الأماكن المشرفة لقرب خُدَّامِها للنبيّ صلى الله عليه وسلم . فالجناب
العالى يتقدَّم بالكتابه إلى المقام العالى الزينى صاحب المملكة الرومية
المشار [إليه][1] بذلك ، وإعلامه بأن هذه عادة لهم على أسلافه
ليقطع طمعهم وليستريح الجناب العالى ويريح مقامَنَا الشريف من
التلاحى معهم فى كل وقت بسبب ذلك ؛ فإنه لا يخفى عن الجناب
العالى أن كل قصدنا الشريف وصول الجناب العالى إلى معاليمه
وتعلقاته ، وهو مقدم عندنا على كل أحد ، وقد حاججنا عن
الجناب العالى ، وكتبنا / عنه إلى المقام العالى المشار إليه ، فالجناب ٢٦٠و
العالى يكتب كما كتبنا ، ويكون طيِّب القلب ، منشرح الصدر ،
قرير العين ، آمناً على نفسه وماله وأهله وذويه ؛ فإنه مشمول بنظرنا
الشريف ، ولَنَا بِهِ غاية العناية ، ووافر الرعاية ، وهو أعظم المقربين
لخواطرنا الشريفة ، وأخلص الخلصاء ، وهو العمدة والبركة ، وليُحَطْ
الجناب العالى عِلْماً بأن ما جَهَّزَهُ من القصيدة قرئت على مسامعنا
الشريفة ، ووجدناها مشتملة على فنون من أنواع البديع ، ووقعت فى
خواطرنا الشريفة بموقع حسن ، وشكرنا الجناب العالى على مقاصده
الجميلة ، ومحبته لمقامنا الشريف ، فرسمنا بالكتابة إلى الجناب العالى
جواباً عظيماً ، فليحط الجناب العالى بذلك علماً ، وقد أعددنا إليه
هذا الجواب الشريف ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه (بتاريخ شهر
صفر[2] الخير سنة تسع عشرة وتسعمائة) حسب المرسوم

---

(١) سقط فى الأصل .

(٢) وفى بلوغ القرى لوحة ٢١٢و « خامس صفر » .

الشريف ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

وصورة القصيدة التى أرسلها السلطان الملك الأشرف قَانْصُوَه الغورى ــ نصره الله تعالى ــ مع هذا المرسوم ، جواب قصيدة الشريف زين الدين بركات ــ أدام الله عزه ــ المتقدمة ، ويقال : إنها أيضاً من نظم قاضى القضاة بالديار المصرى سرى الدين عبد البر بن الشحنة ، الحنفى ــ كان الله له ــ هى :

الحمدُ للهِ فِينَا الحُكْمُ(١) مُجْتَمِعُ
وَلَيْسَ فِينَا لمَخْلُوقٍ يُرَى طَمَعُ
اللهُ سَخَّرَ لى أمْرَ الزَّمَانِ فَمِنْ
أقْلَامِىَ الغُرِّ مَا يُعْطِى ومَا يَدَعُ
فَضْلاً مِنَ اللهِ أوْلَانِيهِ مُبْتَدِئاً
فَلَيْسَ شُكْرِى عَلى الأيَّامِ(٢) يَنْقَطِعُ
بأمْرِهِ مَنْ أرَادَ اللهُ رِفْعَتَهُ
رَفَعْتُهُ أوْ يُرِدْ تَوْضِيعَهُ أضَعُ
والنَّصْرُ حَقَّقَ لى مِنْ جُوْدِهِ كَرَماً
فَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ ــ واللهِ ـ لِى جَزَعُ
وَتَاحَ لِى أزَلاً نَفْساً مُهَذَّبَةً
مِنْ دُونِ غَايَتِهَا الآيَاتُ تَتَّضِعُ

(١) فى الأصل « الحلم » والمثبت عن السنا الباهرة ٣٠٦ .

(٢) فى الأصل « على الآيات » والمثبت عن المرجع السابق .

وَزَادَهَا رِفْعَـــةً قَدْ قَارَنَتْ شَرَفـــاً
عَنْ مَفْرِقِ الفَرْقَدَيْـنِ الزُّهْـرِ تَرْتَفِـعُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَـى خَيْـرِ البَرِيَّـةِ مَنْ
اَلعَالَمِيـنُ[١] لَهُ فِى فَضْلِـهِ تَبَـــعُ
وآلِـهِ الغُـرِّ والصَّحْبِ الكِـرَامِ وَمَـنْ
بِحُسْنِ فِعْلٍ لَهُـمْ فِى الخَيْـرِ يُتَّبَـعُ
وَبَعْدُ قَدْ جَاءَنَـا مِنْ نَظْمِكُـمْ غُرَرٌ
نُورُ البَلَاغَـةِ مِنْ مَعْنَـــاهُ يَلْتَمِـــعُ
جَزْلٌ بَلِيـغٌ بَدِيـــعٌ فِى فَصَاحَتِـــهِ
عَلَـى حَلَاوَتِـهِ الأَلْبَـابُ تَجْتَمِـــعُ
فَرَاقَ مُذْ رَقَّ فِى الأَسْمَـاعِ رَوْنَقُـهُ
وَالشَّهْدُ مِنْ لَفْظِهِ بالسَّمْـعِ يَنْجَـرِعُ
أَجْدَتَ فِيهِ وَمَا فِى ذَاكَ مِنْ عَجَبٍ
وَمَـا بَدَائِعُـــهُ مِنْ بَيْتِكُـــمْ بِدَعُ /
٢٦٠ظ بَسَطْتَّ عُذْراً بِأَلْفَـــاظٍ مُهَذَّبَـــةٍ
وَحِلْمُنَـــا فِيـــهِ للأَعْـــذَارِ مُتَّسَعُ
فكُـنْ عَلَـى ثِقَـــةٍ فيمـــا تؤَمِّلُـــهُ
لَا تَخْشَ ضَيْماً فَنَحْنُ العَفْوَ نَصْطَنِعُ
فَعَهْدُنَـــا عُقْـــدَةٌ اَللّٰهُ أَوْثَقَـــــهُ
فليس يُخْشَى لَهُ نَقْضٌ وَمُنْتَـــزِعُ

(١) كذا فى الأصل . ولعل الشاعر أرادها على مذهب بن يعرب جمع المذكر السالم بالحركات .

وناكِثُ العَهْـدِ نُوْلِيـهِ النَّكَـالَ جَزَا
وَمَــا لَهُ مِنْ يَدَيْنَــا قَطُّ مُنْتَجَعُ
سَجِيَّـةٌ خصَّنَـا اللهُ العَظِيـمُ بِهَــا
وَالعَفْـوُ شِيمَتُنَـا والعِلْـمُ والــوَرَعُ
إنْ نَقْضِ بالحَـقِّ أمْـراً جَلَّ مَوْقِعُـهُ
وَفِيـهِ كُنَّـا جَمِيـلَ الـرَّأْيِ نَبْتَـدِعُ
مِنْ عَهْدِنَـا بأَمَـانٍ نِلْتَ فِيـهِ مُنًـى
بالـدَّسْتِ كَانَ لَهُ مَرْأى ومُسْتَمَـعُ
بُشْرَاكَ إنّ الوَفَـا بالعهـدِ شِيمَتُنَــا
لِمَـنْ وَفَـى وَلِأَهْلِ الغَـدْرِ نَنْتَشِعُ
يَا نُونُ فِى نِيلِنَا العَذْبِ الفُرَاتِ فَعِشْ
مُمَتَّعــاً بِلَذِيــذِ العِــزِّ تَنْتَفِــعُ
ذَا الذَّنْب نُوْلِيهِ مِنَّا لُطْـفَ مَغْفِـرَةٍ
وحُسْنَ صَفْحٍ فَمِنَّـا الصَّفْـحُ يَتَّسِعُ
وأنتَ لَمْ تَأْتِ مِنْ ذَنْبٍ فَنَغْفِـرهُ(١)
بَلْ كُلّ مَا جِئتَ فِيهِ الحُسْنُ مُجْتَمِعُ
ومَـا مَحَـلُّكَ فِيتَـا قَطُّ مُنْخَــفِضٌ
بَلْ أنْتَ حَقًّا لَدَيْنَـا الدَّهْـرَ مُرْتَفِـعُ

(١) فى الأصل « لنغفره » والمثبت عن السنا الباهرة ٣٠٦ ، ومنائــح الكــرم ٢:٤٥ .

إنْ كُنْتَ قَارَعْتَ مِنْ دَهْرٍ حَوَادِثَهُ
وَنَالَ مَا نَالَ مِنْكَ الأَزْلَمُ الجَذَعُ
فَلَمْ نَدَعْكَ بحَمْدِ اللهِ مِنْ مَدَدٍ
أَصَابَ مَجْمُوعَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ ضِلَعُ(١)
وَلَمْ نَدَعْ مِنْهُمُ رَأْساً بمُرْتَفَعٍ(٢)
وَكُلُّ قلبٍ لَهُمْ ـ واللهِ ـ مُنْصَدِعُ
تَفَسَّخُوا قسماً مِنْ ثِقْلِ مَاوَجَدُوا
كَمَا تَفَسَّخُ مِنْ أَحْمَالِهَا الرِّبَعُ
ونِلْتَ تَأْيِيدَنَا حَتَّى اسْتَقَامَ بِهِ
لَكَ المَرَامُ ومَاشَى شَانَكَ الضَّبُعُ
ثُمَّ اصْطَنَعْنَاكَ بالصَّفْحِ الجَمِيلِ وَمَا
يَضِيعُ عِنْدَكَ مَا نُولِى وَنَصْطَنِعُ
لَوْلَا المَقَادِيرُ مَا وَافَيْتَ سَاحَتَنَا
كَمَا ذَكَرْتَ بِثَوْبِ الفَقْرِ تَدَّرِعُ
رَأَيْتَ مِنَّا وَمِنْ أَجْمَالَنَا جُمَلاً
مَا مَرَّ مُشْبِهُهَا وَلَا يَقَعُ

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى المرجعين السابقين « ظلع » .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجعين السابقين « لمرتفع » .

ومُذْ بَعَثْتَ ابْنَكَ المَسْعُودَ مُعْتَذِراً
أبا نُمَىّ وَفَاهُ الجُودُ والخِلَعُ[١]
وَنَالَ خَيْراً وإكْرَاماً وَكَانَ لَهُ
عَدْلَ الرِّضَا خَيْرُ مَا يُقْرَى وَيُنْتَجَعُ
والشِّبْلُ إنْ يَنْهَزِمْ مِنْ خَوْفِ وَالِدِهِ
فَذَاكَ أمْرٌ لَعَمْرُ اللهِ مُتَّبَعُ
نَعَمْ يُلَامُ الفَتَى مِنْ خَوْفِ مَالِكِهِ
بَعْدَ الأمَانِ وَبَابُ العَتْبِ مُرْتَفِعُ[٢]
وَحِلْمُنَا عَنْ أُولَاكَ القَوْمِ حُجَّتُنَا
فطوَّدَتْكَ مَتِيناً لَيْسَ يَنْصَدِعُ[٣] /
وَقَدْ قَبِلْنَا اعْتِذَاراً جَاءَ مِنْكَ لَنَا ٢٦١و
بِحُسْنِ نَظْمٍ بِأُذْنِ القَلْبِ يُسْتَمَعُ[٤]
فَعِشْ مُهَناً بِثَوْبِ الأمْنِ مُرْتَدِياً
فِى طَاعَةِ اللهِ مَا تَأْتِى وَمَا تَدَعُ

---

(١) وفى السنا الباهر ٣٠٧ ، ومنائح الكرم ٢ : ٤٥ :
وقد بعثت ابنك المسعود معتذراً * أبا نُمىّ أتاه الجود والخلع
(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « مرتبع » .
(٣) فى الأصل « * فطودتك متيناً ما ليس ينصدع » ولعل الصواب ما أثبته أو لعله « * فطود تأميننا ما ليس ينصدع » .
(٤) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « مستمع » .

وَلَوْ بَسَطْنَا جَوَابَ القَوْلِ كَانَ لَهُ
وَجْـهٌ بِهِ دُرَرُ الأَلْفَـاظِ تَنْدَفِـعُ
لَكِـنَّ مِثْلَكَ إيجَازُ الكَـلَامِ لَهُ
خَيْرٌ مِنَ البَسْطِ إذْ فِي فَهْمِكُمْ سَرَعُ
بَعْدَ السَّلَامِ مَعَ الإكْـرَامِ ثَانِيَـةً
تِضِيءُ مِنْهَا عَلَيْكُمْ دَائِمـاً لُمَعُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الوَرَى وَعَلَى
آلٍ وَصَحْبٍ وأعْـلَامٍ لَهُ تَبِعُـوا

وبعد قراءة المرسوم والقصيدة طافَ السيد أبو نُمَىّ ، ودعا له الرئيس فوق ظُلَّة زمزم الدعاء المعتاد ، ثم سافر لوالده ، وأراد السيدُ بركات التوجّه للمدينة بسبب أميرها فسَمِعَ أخبار الفرنج بعَدَن فترك (١) .

وأرسل فى رجب وَلَدَه السيد أبا نُمَىّ ، والشريفَ عراراً ، وقاضى القضاة الشافعى الصلاحى بن ظهيرة للمدينة ؛ ليجتمعوا بشيخ الحرم شاهين ، والقضاة ، وينظروا مَنْ يتفقون عليه لولاية المدينة فيولّوه (٢) .

فلما اجتمعوا بالمدينة اتَّفَقَ رأيُهُمْ على ولاية ثابت بن ضُغَيْم ،

(١) بلوغ القرى لوحة ٢١٤ظ .
(٢) المرجع السابق ٢١٤ظ ، ٢١٥و .

فولّوه وعادوا لمكة[١] .

وجاء السيد بركات لمكـة فى سابـع الشهـر مُحْرِمـاً ، فطـاف وسعى ، وتوجّه لعرفة لأجل المَرْعَى ، وانتقل لغير ذلك[٢] .

وفى ثالث عشرى القعـدة وصل السيـد بركات لمكـــة ، ولاقى الحجاج[٣] هو وولدُه ، واخْتَلَعَا جميعاً .

وحضر السيد بركات وولدُه فى ليلة الثامن والعشريـن من ذى الحجة بالمسجد الحرام عَقْـدَ القـاضى تاج الديـن ابـن قاضى الـقضاة جمال الدين أبى السعود بن ظهيرة على ابنة عَمّه فاطمـة ابنـة القـاضى تقى الدين ، وسافـرا ثانى ليلـة بحِلَّتِهِـم إلى وادى مَرّ ، يقـال بقصد جهة الشام[٤] .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الثانى سنة عشرين وتسعمائة وصل الخبرُ لمكة أن السيـد بركات جالس بمَـخْشُوش ـــ وهـى فيمـا بين بَدْر ويَنْبُع ـــ ومعه الحلة وإخوانـه والعسكـر ، فخالـف[٥] عليـه

(١) بلوغ القرى لوحة ٢١٥و .

(٢) المرجع السابق .

(٣) وكان أمير الركب الأول الأمير طومـان باى الأشرفى أمير أربعين ، وأمير الحاج والمحمل الأمير قانصوه كرت أحد المقدمين (بلـوغ القـرى لوحـة ٢١٧ظ ، ودرر الفرائـد المنظمة ٣٥٩) .

(٤) بلوغ القرى لوحة ٢١٨و .

(٥) فى بلوغ القرى لوحة ٢٢٠و « فخامر » .

ثلاثةٌ من إخوانه وهم الشرفاء : راجح ، وأبو الغيث ، وقاسم ، وولدا أخيهم هزَّاع ، وهما : محرم ، وزائر ، وصهر أبي الغيث أبو سعد بن رُمَيْثَة بن بركات بن حسن بن عجلان ، وقصدوا يَنْبُعاً ، ونَزَلُوا على الصَّيَادِلَة[1] ؛ فضربوا لهم النقَّارة ، وآووهم ، وأراد القوَّادُ محاربة الصيادلة لذلك ، فصَدَّهم الشريفُ عرار عن ذلك ــ وكان بينبع ــ وقال لهم : معهم أولاد السيد محمد ، لا ، حتى يجيء خبر من السيد بركات ــ والله يعطي المسلمين خيرهم ، ويصرف عنهم شرهم ــ .

وفي يوم الأربعاء ثانيه[2] جاء البشيرُ من السيد بركات : أن جماعة من جماعة السيد بركات كان أرسلهم ــ قبل ذلك ــ لينبع ، ومعهم الشريف عرار بن عجل والقواد من أهل ينبع رَكِبُوا على الصيادلة ، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ، يقال إن المقتول منهم مائة وخمسون ، وهرَبَ باقي الصيادلة ، وأُخِذَ جميعُ ما لهم من خيل وإبل وغير ذلك ، وأمر بزينة / ٢٦١ظ مكة سبعاً ، فزُيِّنَت ، وكان الأمير الباشُ قُطْلُو بَاي توجّه لبُسْتَان جَانِبَك ؛ فتوجّه القائد مبارك بن بدر بالمبشر إلى الأمير ، فلبسه صوفاً ، وعادا لمكة . وتوجّه المبشرُ أيضاً

(١) الصيادلة : بطن من بني إبراهيم من مالك من جهينة ، منازلهم حول أم لج (معجم قبائل الحجاز) .

(٢) يعني ثاني الثلاثاء الماضي ، وهو تاسع عشر ربيع الثاني .

للتجـار ، فأعطوه ثياباً وذهباً ـــ والله يزيد المسلمين سروراً[١] ـــ .

وعاد للسيد بركات أخوه أبو الغيث من ينبع ، وسافـر الباقـون من جماعته للقاهرة[٢] .

وتوجّه الشريـف بركات بعـد ذلك لِيَنْبُـع ، وأقـام بها مُدَّة نحو الشهريـن ، وهَنَّـأهُ الشعـراءُ بظفَـرِهِ فى هذه الواقعـة بعـدة قصائـد ، منها : ما قاله صاحبنا الشيخ الإمام ، أوحد الأدباء ، الإمـام شهـاب الدين أبو الطيب أحمد بن الحسين بن العُلَيْف المكى ، نزيـل المدينـة الشريفة ـــ أبقاه الله تعالى ـــ ومطلعها :

السَّيْف يُعْرِبُ عَمَّـا أعْجَـمَ القَلَـمُ
فجـوِّد الكَلْـمَ إنْ لَمْ يَنْفَـعِ الكَلِـمُ

ومنها :

بالسَّعْـدِ تُدْرِكُ مَا تَرْجُـوهُ مِنْ أَمَـلٍ
فالحَظُّ يَفْعَـلُ مَا لَا يَفْعَـلُ الخَـدَمُ
والمَـرْءُ مَا دَامَتْ الأقْـدَارُ تَخْدُمُـهُ
يُطِيعُـهُ المُرْهَفَـانِ السَّيْـفُ والقَلَـــمُ

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٠٠ظ .

(٢) وقد وصلوا إلى القاهرة ، وحضروا إلى باب السلطان فى يوم الخميس العشريـن من جمادى الأولى سنة ٩٢٠هـ (بدائع الزهور ٤:٣٨٣) .

مَا لِى وَمَا لِلَّيَالِى كُلَّمَا جَنَــحَتْ
سَالَمْتُهَـا وَهْـىَ لَا رَعْـىٌ وَلَا ذِمَـمُ
حَمَلْتُ مِنْ جَهْلِهَا مَا لَيْسَ يَحْمِلُهُ
قَلْبٌ وَأَوْسَعْتُهَــا حِلْمــاً وَلَا سَأَمُ
فِى كُلِّ حِينٍ عَلَى عَمْـدٍ تُقَارِعُنِـى
وَلَـيْسَ لِى عِنْدَهَـا ذَنْبٌ فأَجْتَــرِمُ
يُسَالِـمُ المَرْءُ هَذَا الدَّهْـرِ عَنْ غَرَرٍ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ فِى مَحْذُورِهِ السَّلَـمُ
ويُغْمِضُ الطرفَ عَنْ حِلْمٍ فَتُحْوِجُهُ
لَا عَنْ رِضىً حَادِثَاتٌ فِيـهِ تَقْتَحِـمُ
وأنتَ يَا رَائِحـاً تُفْـرِى البِطَـاحَ بِهِ
جُرُفٌ تَسَاوَى لَدَيْهَا القُورُ والأَكَمُ
إنْ جِئْتَ دَاراً أَعَــزَّ اللهُ جَانِبَهَــا
وَجَادَهَا المُـزْنُ لَا يَنْـفَكُّ يَنْسَجِـمُ
حيثُ المكـارِمُ مَضْرُوبٌ سُرَادِقُهَــا
والملكُ مُجْتَمِــعٌ والعِــزُّ مُلْتَئِـــمُ
أَبْلِـغْ تَحِيَّـــةَ مَمْلُـــوكٍ إلى ملكٍ
أغـرّ أَبْلَـــجَ فى عِرْنِينِـــهِ شَمَـــمُ
وَاخْصُصْ بِهَا بَرَكَاتِ الفَضْلِ مُبْتَدِئاً
تُقَبِّـلُ الأَرْضَ إجْــلَالاً وَتَسْتَلِــمُ

وقُـلْ لَهُ وَخِيَـارُ القَـوْلِ أصْدَقُـــهُ
قَوْلَ امْـرِىءٍ لَيْسَ فِيمَـا قَالَ يُتَّهَـمُ
فِيمَ المُقَامُ وبِيضُ الهِنْدِ قَدْ عَرَفَتْ
مَوَاقِـعَ الضَّرْب والأبْطَـالُ وَالبُهَـــمُ
مَا زِلْتَ تَعْفُو وَبَعْضُ العَفْوِ مَطْمَعَةٌ
تُغْـرِى السَّفِيـهَ وَتُطْغِيـهِ فَيَجْتَـــرِمُ

ومنها :

إلَى مَتَى يَقْتَضِيكَ الحَزْمُ فِى عَجَلٍ
عَزْماً ويُثْنِيكَ عَنْـهُ الصَّفْـحُ والكَـرَمُ

ومنها :

وَشَمِّـرِ الذَّيْــلَ فَالأيَّـــامُ مُقْبِلَـــةٌ
وَالنَّصْرُ والعِزُّ والدُّنْيَـا لَكُـمْ خَدَمُ /
لَا تَنْتَظِـر فَرَقـاً حَرُّ الهَجِيـرِ بِهِـمْ ٢٦٢و
فالظِّلُّ ظِلُّ القَنَا لَا الضَّالُ[1] والسَّلَمُ
فَحَيْثُ سِرْتَ يَسِيرُ النصرُ مُبْتَهِجاً
والعِـزُّ يَقْدُمُـه والسُّحْبُ والدِّيَــــمُ
وفِى يَدَيْكَ المَنَايَا وَالمُنَـى جُمِعَـا
كَفٌّ بِهَا البَأْسُ والأُخْرَى بِهَا النِّعَمُ

---

(١) الضال : السدر البرى ، أو ما يسقيه المطر (المعجم الوسيط) .

مَا عَزَّ جَانِبُ مَنْ وَلَّاكَ جَانِبَهُ
وَذَلَّ مَنْ بِسِوَى عُلْيَاكَ يَعْتَصِمُ
وَلَا يَبِيتُ قَرِيرَ العَيْنِ غيرُ فَتًى
أَمْسَتْ لَهُ مِنْكَ يابْنَ المُصْطَفَى ذِمَمُ
مَنْ كَانَ حِبَّكَ لَمْ يَمْلِكْ حُشَاشَتَهُ
فإنَّه فى ادِّعَاءِ الحَقِّ مُتَّهَمُ

ومنها :

لَا تُحْسِنْ الظَّنَّ إلَّا بأمْرِىءٍ ثِقَةٍ
بالنصْحِ متَّصِفٌ بالوِدِّ يَتَّسِمُ
مِثْل الشريفِ عِرَارِ النَّدْبِ خَيْرِ فَتًى
يُرْضِيكَ إنْ نَابَ خَطْبٌ أوْعَدَا لَمَمُ
إنْ أنْتَ قَدَّمْتَهُ يَوْماً لمُعْضِلَةٍ
يَخُوضُ غَمْرَتَهَا والموجُ يَلْتَطِمُ

ومنها :

أبا زُهَيْرٍ رَعَاكَ اللهُ مِنْ مَلِكٍ
وَلَا بَرِحْتَ عَلَى الأيَّامِ تَحْتَكِمُ
إنَّ الأعَادِى وَإنْ شُدَّتْ شَكَائِمُهَا
وَظَاهَرَتْهَا عَلَيْكَ العُرْبُ والعَجَمُ
رِمَاحُهَا عَنْ مَدَى عليَاكَ قَاصِرَةٌ
أبَا زُهَيْرٍ وَفِى أسبَابِهَا ثُلَمُ

ذَاقُوا بِسَيْفِكَ مَا ذَاقَتْ سُرَاتُهُمُ
مِنَ الجِلَادِ غَدَاةَ الدَّرْبِ إِذْ هُزِمُوا
وَجَرَّبُوكَ عَيَاناً يَوْمَ جَدَّ بِهِمْ
حَرُّ المِصَاعِ[1] وَنَارُ الحَرْبِ تَحْتَدِمُ
يَوْمٌ عَصِيبٌ كَيَوْمِ النَّحْرِ فِي شَبَهٍ
تصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الهِنْدِ والقِمَمُ
لَمَّا وَرَدْتَ إِلَى الدَّهْنَاءِ مُحْتَفِلاً
ظَنُّوا وُرُودَكَ ــ جهْلاً ــ أَنَّهُ حُلُمُ
فصَبَّحَتْهُمْ عِتَاقُ الخَيْلِ مُعْلَمَةً
كأَنَّها البَرْقُ لَوْلَا العُذُرُ[2] واللُّجُمُ
فَغَادَرُوهَا وَفَضُّوا عَنْ مَنَازِلِهِمْ
ذُلًّا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الثِّقْلُ والحُرَمُ
لَا زِلْتَ مُنْتَصِراً فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ
عَلَى العدَاةِ وأَنْتَ المُفْرَدُ العَلَمُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
وَالآلِ والصَّحْبِ مَا سَارَتْ بِهِ قَدَمُ

ومن القصائد ما قالت الأديبة الأصيلة الكاتبة ستيتة

(١) المصاع : الجلاد بالسيوف (المعجم الوسيط) .
(٢) العُذُر : جمع عذار ، وهو ما سال من اللجام على خد الفرس (المعجم الوسيط) .

ــ وتدعى ناجية ــ ابنة القاضى كمال الدين محمود بن سيرين القاهرى الحنفى نزيل مكة ــ أعزها الله تعالى ، وصان حجابها ــ وأولها :

أيَا مَلِكاً قَدْ خَصَّهُ اللهُ بالظَّفَــرْ
وَمَنْ لَيْسَ يُبْقِى فِى العَدُوِّ وَلَا يذَرْ
فَمَغْزَاكَ ينْبَعَ لَهْوَ أعْظَمُ حِجَّةً
يَرَاهَا ذَوُوا الألْبَابِ ذِكْرَى ومُعْتَبَرْ
وقَمْعُكَ أعْدَاءً جُلُوفاً أغَاشِمــاً
جَعَلْتَ دِمَاهُمْ فِى أمَاكِنِهِمْ هَدَرْ /
٢٦٢ظ أخَذْتَ بثَارَاتٍ وَأشْفَيْتَ خَاطِراً
فَنِلْتُ بِسَمْعِى ضِعْفَ مَا نِلْتُ بالنَّظَرْ
كَصَبْرِ أولِى العَزْمِ الكِرَامِ صَبَرْتُمُ
ظَفِرْتُمْ وَحَقًّا أُعْطِىَ النَّصْرُ مَنْ صَبَرْ
فأَوْرَثكَ رَبِّى(١) أرْضَهُمُ وَدِيَارَهُمْ
وأمْوَالَهُمْ قَدْ صَحَّ ذَلِكَ فِى الخَبَرْ

ومنها :

لَأَنْتَ هُوَ العَبْدُ الشَّكُورُ لِسَيِّــدٍ
فَتَحْمَدَ مَوْلًى وَهْوَ مُجْزٍ لِمَنْ شَكَرْ

(١) فى الأصل « الله » والمثبت يستقيم به الوزن .

مَلِـــيكٌ لَهُ جُودٌ وفَخْــــرٌ وَسُؤْدَدٌ
سَجَايَاهُ بِيضٌ تَحْكِى(١) الأَنْجُمَ الزُّهُرْ

ومنها :

وَمَـاذَا عَسَى عَنْكُـمْ أَبُثُّ مَحَاسِنـاً
وأَوْصَافُكَ الحُسْنَـى تُحَيِّـرُ بالفِكَـرْ
فَيَا مَلِكٌ قَدْ حَسَّنَ الخَالِـقُ اسْمَـهُ
وَبَـارَكَ فِيـهِ اللهُ لِلْبَـدْوِ والـــحَضَرْ
فَيَـا بَرَكَـاتِ اللهِ نَحْبُــوكَ دَائِمــاً
بِقَوْلٍ وفِعْلٍ يُدْهِشُ السمعَ والبَصَرْ
فأَغْبَطْتَ أَحْبَاباً وأَكْمَـدْتَ حُسَّداً
لِمَا قَدْ وَهَـبْكَ اللهُ نَصْراً بلَا كَدَرْ

ومنها :

أَتَـــى لِبِـــلَادِ اللهِ أَشْعَثَ أَغْبَـــرَا
رِضَى رَبِّهِ يَرْجُو يَضَعْ عَنْـهُ مَا وَزَر
تَقَبَّـلَ منـهُ اللهُ نُسْكــاً أَتَـــى بِهِ
تَقَبَّـلَ مِنْـــهُ اللهُ مَا حَجَّ وَاعْتَمَـــرْ

ومنها :

فَلَا زِلْتُمُ يُغْبَطْ بِكُـمْ كُلُّ مَنْ رَجَـا
وَيَبْقَى بِكَ المَخْذُولُ فِى اللهِ مُنْتَصِرْ

(١) كذا فى الأصل . والوزن مكسور .

بِجَدِّكَ خَيْرِ الرُّسْلِ مَنْ جَاءَ رَحْمةً
وأشْرَفِ مَبْعُوثٍ إلى النَّاسِ مِنْ مُضَرْ
عَلَيْـهِ صلاةُ اللهِ مَا طَافَ طَائِـفٌ
وَمَا اسْتَلَمَ الرُّكْبَانُ مِنْ سَائِرِ البَشَرْ

وفى يوم الأحد رابع عشرى الشهر وصل مكة من اليمن الشريف شار(١) بن إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان من عند أبيه ، ومعه ابن عمه الشريف سيسد بن محمد بن بركات ، الذى كان تسحّب إلى جهة اليمن خفية ، ويقال إنه وصل لصاحب جازان المهدىّ بن أبى الغَوَايِر أحمد بن دُرَيْب ، وأنه أعطاه فرساً وغيرها ، وعاد واجتمع برُمَيْثَة بن أحمد بن رُمَيْثَة بن أبى القاسم وأخويه أبى القاسم وعلى ، وموسى بن زويكى شيخ سوادة ، وأرادوا التخريب ببلاد اليمن والتشويش على السيد إبراهيم بن بركات ، فسمع بذلك إبراهيم بن بركات فجمع عليهم [جمعاً](٢) من العرب وسار عليهم ، وكان السيد بركات أرسل خيلاً مُلَبَّسَةً تكون رَتَبَةً عنده ؛ فساروا معه فظفر السيد إبراهيم بهم بعد أن قُتِل بعض جماعته ، وقُتِلَ شيخُ سوادة موسى بن زُوَيْكى ، وصبىّ الشريف سيسد ، وقيّد أولاد أحمد بن رميثة وأرسلهم فى شقدف ، وأما الشريف سيسد فأطلقه وأرسله فى شقدف أيضاً . ولما وصلوا مكة أُسْكِنوا ببيت السيد

(١) شار : كذا فى الأصل وبلوغ القرى لوحة ٢٢٠ظ .
(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٢٢٠ظ .

إبـراهيم بن بركات ، وأرسلـوا للسيـد بركات يخبرونــه بذلك ، ثم عاد الرسول من عنده بالصفـح عنهم ــ على عادتـه فى الحلـم ــ والأمـرِ بإكرامهم واحترامهم ، وفَكِّ قيودهم ، وأمر لهم بكسوة / ونفقة حتى ٢٦٣و يصل .

وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الثانيـة وصل من السيـد بركات أوراق للقـاضى الشافعـى وغيره ، ومـرسوم ــ وصَلَـهُ ببـدر من السلطان وهو عائد من ينبع ــ للقائد مبارك بن بدر ، وأمره أن يُرِى المرسومَ للقاضى الشافعى ، ونائب جُدَّة الأمير حسين ، وفيـه الإخبـار بوصول كُتُبِهِ وأخويه الشريفين راجح وقاسم ، وقريبهمـا أبى سعـد بن رميثة بن بركات ، وولـدى أخيهمـا هَزَّاع ، وأننـا أسكنـا راجحـاً بيتـه الذى كان ساكنه أولاً بالبندقانيين[1] وابنى هزَّاع باليزبكية[2] ، وقاسماً وأبا سعد ببركة الرطلى ، وفيه : وإن هذا مِنْ سَعْدِكَ ، وفيـه : تعـظيم كبير للسيـد بركات ــ فالله يزيـده شرفـاً وتعظيمــاً ، ويــنصره على أعدائه ــ .

---

(١) البندقانيين : خط من أخطاط القاهرة ينسب إلى صناع قسىّ البنـدق الذيـن كانت لهم دكاكين كثيرة به . وهـو يقـع غربى شارع القاهـرة الأعظـم « المعز لديـن الله الفاطمى حالياً » وانظر الخطط للمقريزى ٣:٣٤٢ ــ ٣٤٤ .

(٢) اليزبكية : وكذا فى بلوغ القرى لوحة ٢٢١و : ويراد بها الأزبكية ، وهى حى من أحياء القاهرة ، كان بركة ومتنزهاً . عمرها الأمير أزبك من ططخ الأشرفى ثم الظاهـرى جقمق ، فى أيام أتابكيته ، وبنى فيها داره وحواصله وجامعاً وحمامـاً ، وأذن للأعيـان ومـن دونهم فابتنـوا فيها أماكـن على مراتبهم (الضوء اللامـع ١:٢٧٠ برقـم ٨٤٤ ، والخطــط التوفيقية لعلى مبارك ١:٤٧) .

وفى ليلة الأحـد سابـع عشرى رجب وصل السيـد بركات إلى مكة من الوادى محرماً بالعمرة ، وبعد صلاة الصبـح طاف وسعـى ، ودعا له الرئيس أبو بكر على ظلة زمزم بالدعاء على العادة[١] .

وفى ثانى ليلتـه عاد إلى الـوادى بِنِيَّـة التوجّـه إلى الشرق[٢] ، وسافـر إليـه آخـر شعبـان وأوّل رمضان[٢] ، وعـاد إلى مكـة حادى عشر شوال[٣] . وفى ليلة العاشر الذى قبله ولدت زوجته وابنة عمتـه السيدة الشريفة الجليلة الرئيسة العفيفة ، قرة عين السيادة ، وواسطـة العقد والقلادة ، أم الملوك والسلاطين ، ملجـأ الضعفـاء والمساكين ، ذات المفاخـر والمنـاقب ، والمجد والشرف الثـاقب ، صاحبـة المآثـر والخيرات ، والبر والصدقات ، التى منها الرباط الـذى أنشأتـه بأجيـاد الصغير ، وأوقفته فى سنة تسع عشرة وتسعمائة على النساء المنقطعات بالبلدة الشريفة ، والأرامـل المتطوعـات فى المواطـن المعظمـة المنيفـة ، أم الكامل ابنة الشريف عجل بن رميح بن حازم بن عبـد الكـريم بن أبى نمىّ الحسنية المكية ، ذات المحاسن البهية ـــ صان الله حجـابها ، وحفظها من سائر جهاتها ، وتقبل منها صالح أعمالها ، ورزقهـا ذريـة صالحة تذكر بها فى الحال والمآل ـــ ولداً ذكـراً ميتـاً يقـال إنها كانت

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢١ظ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢٢٢و .

حاملاً به نحو ثلاث سنين[١] ، وهى منه فى غاية الثقل والألم ، فجىء لها بامرأة مصرية عملت لها أدوية حتى نفست وتخلصت من غير ألم ـــ عوضها الله خيراً ـــ وجعل بذلك غاية السرور ، والفرح والحبور ، وأنعم على المرأة بشىء كثير من الكسوة وغيرها ، وهنأها الشعراء بخلاصها . ومما اطلعت عليه قصيدة العالم الأصيل الأديب الجليل رئيس المؤذنين بالحرم الشريف المكى فخر الدين أبى بكر بن أبى عبد الله محمد بن أبى الخير الحنبلى المكى ـــ كان الله له ـــ وفيها مدح زوجها أيضاً ، وهى :

حُسْنُ الخَلاصِ مِنَ العَظِيمِ الجُودِ
هُوَ غَايَةُ المَأمُولِ والمَقْصُودِ
فَرَجٌ أَتَى مِنْ بَعْدِ شِدَّةِ أَزْمَةٍ
سُرَّتْ بِهِ سُكَّانُ سَفْحِ زَرُودِ[٢]
والبَيْتُ والخَالُ الكَرِيمُ[٣] وزَمْزَمٌ
وَمَقامُ إبراهيمَ ذِى التَّمْجِيدِ /

(١) وفى بلوغ القرى لوحة ٢٢٢و « خمس سنين » .

(٢) زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطرق الحاج من الكوفة فيها بركة وقصر وحوض ، قالوا : أول الرمال الشيحة ، ثم رمل الشقيق وهى خمسة أجبل : جبلا زرود ، وجبل الغر ، ومربخ ـــ وهو أشدها ـــ ، وجبل الطريدة ـــ وهو أهونها ـــ حتى تبلغ جبال الحجاز (معجم البلدان لياقوت) .

(٣) الخال الكريم : يراد به الحجر الأسود ، تشبيهاً له بالخال فى الوجه الحسن .

٢٦٣ظ والكَوْنُ قَدْ دَقَّتْ بَشَائِرُ سَعْــدِهِ
والنَّـاسُ مِنْ فَرْطِ الهَنَـا فِى عِيــدِ
فَرَحـاً بِحُسْنِ خَلاَصِ أُمِّ مُلُوكِنَـا
عَيْـنِ القِــلاَدَةِ آخِــرِ العُنْقُــودِ
خَابَتْ ظُنُونُ الحَاسِدِينَ مَعَ العِدَى
وَغَــدَوْا بِذُلٍّ دَائِــمٍ وخُمُــــودِ
وَلَـرُبَّ أمْــرٍ فِيــهِ كُرْهٌ لِلْفَتَــى
والخَيْــرُ فِيـــهِ مُؤْذِنٌ بِسُعُــودِ
والصَّبْرُ مَحْمُــودٌ عَوَاقِبُ أمْــرِهِ
وَسِوَاهُ فِى التَّحْقِيـقِ غَيْرُ حَمِيــدِ
وَرِضَا الفَتَـى بِقَضَا الإلَـهِ وحُكْمِـهِ
مِنْ أعْظَــمِ الإيمَــانِ والتَّوْحِيــدِ
والحُــرُّ لا يَعْيَــا بحالِ زَمَانِــــهِ
عِلْمــاً بأنَّ الــدَّارَ دَارُ نُفُــودِ
كَمْ مِنْحَــةٍ مَطْوِيَّـــةٍ فِى مِحْنَــةٍ
فِيهَـا العُقُـولُ تَحُـومُ حَوْلَ وَصِيـدِ
ولأَنْتِ مِنْ رَبِّ الأنَــامِ جَدِيــرَةٌ
بِسَلاَمَــةٍ تَتْــرَى بِحُسْنِ مَزِيــدِ
إنَّ الأعَـادِىَ مِنْكِ أوْلَـى بِالضَّنَـى
يُفْـــدِيكِ كُلُّ حَسُودَةٍ وَحَسُودِ

وإذَا بَقَى بَرَكَاتُ زَيْنُ الدِّينِ لَا
تَأْسَى عَلَى مَالٍ وَلَا مَوْلُودِ
يَا بِضْعَةَ النورِ التى قَدْ أشْرَقَتْ
مِنْ نَسْلِ طَهَ صَفْوَةِ المَعْبُودِ
أَنْتِ التى تُعْطِى الرِّيَاسَةَ حَقَّهَا
بِمَحَاسِنٍ شَرُفَتْ بِحُسْنِ مُرِيدِ
يَا امَّ المَآثِرِ.والمَفَاخِرِ والعُلَى
والمَكْرُمَاتِ مَعَ المُلُوكِ الصِّيدِ
أنْتِ الخُلَاصَةُ مِنْ خُلاصَةِ أحْمَدٍ
طَهَ البشيرِ محمّد المَحْمُودِ
فَرْعٌ زَكِىٌّ مِنْ أصُولٍ قَدْ زَكَتْ
بأجَلِّ آباءٍ لَهَا وَجُدُودِ
أَشْبَهْتِ بَعْلَكِ ذَا الفَضَائِلِ والثَّنَا
بَرَكَاتِ زَينَ الدينِ خَيْرَ مُجِيدِ
مَلِكٌ تَرَدَّى بالشجاعةِ والتُّقَى
ومَقَالُهُ صِدْقٌ بِلَا تَفْنِيدِ
بَطَلٌ هُمَامٌ هَمُّهُ كَسْبُ العُلَى
طَبْعاً وبَذْلُ الجُودِ بالمَوْجُودِ
ذُو هَيْبَةٍ تَعْنُو المُلوكُ لِبَأْسِهَا
وَبِهَا الزمانُ يَصِيرُ كالمَرْعُودِ

جَرَّارُ كُلِّ كَتِيبَـــةٍ رَجْرَاجَـــةٍ
كَالمَـدِّ أو كَالعَـارِضِ المَمْـــدُودِ
شَمْسُ المَحَافِلِ والجَحَافِـلِ إنْ بَدَا
بَيْتٌ ثَوَى مُلْكـاً سَمَـا لِصُعُـــودِ
لا تَتَّقِـــى الأبْطَـــالُ شِدَّةَ بَأْسِهِ
إلَّا بأخْـــذِ أمَانِـــهِ[1] المَعْهُـــودِ
فَرْعٌ زَكِـىٌّ مِنْ أُصُولٍ قَدْ زَكَتْ
مِنْ خَيْـــرِ أبَـــاءٍ لَهُ وَجُــــدُودِ
الضَّارِبِيـنَ عَلَـى سُرَادِقِ مُلْكِهِـــمْ
عِزًّا مَدَى الأيَّـــامِ فِى تَخْلِيـــدِ /
٢٦٤و فَهُـمْ هُمُ مَا إنْ لَهُـمْ مِنْ مُشْبِـــهٍ
بَيْـنَ المَـــلَا مِنْ طَارِفٍ وَتَلِيـــدِ
بِيضُ الصَّوَارِمِ عِنْدَ مُحْتَبَكِ القَنَـا
حُمْرُ الأَسِنَّةِ مِنْ طُلىً[2] وكُتُودِ[3]
يَا بِنْتَ عِجْـلٍ يَا مَلِيكَـــةَ دَهْرِنَـــا
يَا مَنْ سَمَتْ عَنْ مُشْبِـهٍ ونَدِيـــدِ

(١) كذا فى المتن . وفى هامش اللوحة « ذمامه » .
(٢) الطُّلَى : جمع الطُّلَاة للعنق أو صفحته (المعجم الوسيط) .
(٣) الكُتُود : جمع كتـد للكاهـل ، أو مجتمـع الكتـفين من الإنسان والفـــرس (المعجم الوسيط) .

لَكِ فى الإلَـهِ جَمِيــلُ ظَنٍّ وَاسِعٍ
فَتَوَقَّعِى لِلْخَيْـرِ مِنْ ذِى الجُــودِ
إنْ كَانَ للأشْرَافِ بَيْتٌ قَدْ سَمَـا
شَرَفـاً فأنْتِ لَهُ أشَدُّ عَمُــودِ
وَلأنْتِ مُفْـرَدَةُ المَحَـاسِنِ والثَّنَـا
ولأَنْتِ فِيهِـمْ آخِـرُ العُنْقُــودِ
تَزْهُـو القَوَافِـى فِيكِ يَآبْنَــةَ حَازِمٍ
أبَـداً وَوَصْفُ ثَنَـاكِ بَيْتُ قَصِيدِى
وتُطِيعُنِـى فِيكِ القَوَافِـى مِثْــلَ مَا
يَحْلُوا بِمَدْحِكِ مَنْطِقِـى وَنَشِيدِى
وإلَـيْكِ مِنْ دُرَرِ البَدِيـعِ قَلائِــداً
نُظِـمَتْ بِسِلْكِ جَوَاهِرٍ وَعُقُــودِ
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ فِى القَرِيضِ لَقَدْ حَكَى
قَصْراً بَدِيعــاً عَالِــى التَّشْيِيــدِ
يَعْنُو لَهَا سَحْبَانُ وَائِـل فِى الـوَرَى
تُزْرِى بِمَنْطِــقِ طَرْفَــةٍ ولَبِيــدِ
سَلِمَتْ مِنَ الإقْوَاءِ والإيطَاءِ[1] والتَّـ
ـشْبِــيبِ والتَّغْــرِيبِ والتَّعْقِيــدِ

(١) الإيطاء : عند الشعراء عيب من عيوب القافية ، وهى أن تتكرر لفظاً ومعنًى (المعجم الوسيط) .

فَلَعَلَّ يَسْعَدُ أوْ يَفُوزُ بِطَائِلِ
وَسَعَادَةٍ مِنْ سَعْدِكَ المَسْعُودِ
لَا زِلْتِ فِى مَجْدٍ وَعِزٍّ بَاذِخٍ
ذُخْرَ الأنَامِ لِوَافِدٍ وَوُفُودِ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى المُشَفَّعِ فِى غَدٍ
يَسِينَ فَارِجِ شِدَّةِ المَصْهُودِ
سِرِّ الوُجُودِ وَصَفْوَةِ اللهِ الذِى
أهْدَى إلى سُبُلِ الهُدَّى مِنْ هُودِ
وأجَلِّ مَبْعُوثٍ وأشْرَفِ مُرْسَلٍ
مَنْ أظْهَرَ الإسْلَامَ بَعْدَ جُحُودِ
وَهْوَ الشَّفِيعُ إذَا تَزَايَدَ خَطْبُنَا
والرُّسْلُ تَحْتَ لِوَائِهِ المَعْقُودِ
صَلَّى عليه اللهُ رَبِّى دَائِماً
والآلِ والأصحابِ ذِى التَّمْجِيدِ
مَا غَنَّت الوَرْقَا بِأفْصَحِ سَجْعِهَا
مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ يَانِعٍ أمْلُودِ

وفى سابع عشر شوال توجه السيد بركات إلى جهة اليمن . قالوا : لأجل الإشراف على إبله ، ولأجل الصيد[1] .

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٢و .

وفى رابع عشرى الشهر أرسل السيد بركات ولده الشريف أبا نمىّ [والشريف عرار][١] لملاقات ابن السلطان وخَوَنْد جهة المقام الشريف ، ومعهما بعض العسكر على خيل ورواحل .

وفى ثامن عشر القعدة وصل السيد بركات لمكة[٢] ، وفى عصر يوم الثلاثاء ثالث عشرى الشهر طاف السيد بركات بن محمد ، ودعا له الرئيس فوق ظُلَّة زمزم ، وخرج للقاء ابن السلطان وخَوَنْد ، وتوجّه معه بعض / عياله ، والقضاة الأربعة ، والأمير ٢٦٤ظ الحُسَامِىّ حُسَين نائب جدة ، والقاضى زين الدين المحتسب الناظر بجدة ، وواجهوهما بخُلَيْص وعادوا ، ولاقى أمير الأول السيد بركات وولده إلى الزاهر ؛ فخلع عليهما[٣] .

وفى ثانى يوم الأحد ثامن عشرى الشهر لاقيا المقام الناصرى محمد بن السلطان إلى الزاهر ؛ فخلع عليهما ، ودخلا معه والباش ، وهم راكبون أمامه إلى رأس الحجون ، فنزل أمير الحاج الأمير طُقْطُبَاى[٤] ، وأمير جُدَّة الأمير حسين ، وأخذ الخادم الفرس . فلما وصلوا المدَّعَى أو قبيله ترجل الراكبون كلهم إلا السيد بركات ؛ أراد النزول فحلف عليه القاضى كاتب السرِّ المحبى بن أجا ، فاستمر

(١) إضافة عن المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ٢٢٢ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) هو الأمير طقطباى نائب القلعة وأحد المقدمين (بدائع الزهور ٤:٤٠٩) .

راكباً إلى عند التَّمَّارين رأس المسعى فترجل ، وأخذ بلجام الفرس ، واستمر إلى باب السلام . فنزل سيدى محمد بن السلطان وانتظر محفة خَوَنْد فأبطأت عليه ، فتوجَّه إلى الكعبة ومعه الشرفاء والقضاة والأمراء ، وقَبَّلَ الحجر الأسود ، وتوجَّه لمنزله بالقصر علو بابِ إبراهيم ، والجماعة كلهم معه ، ثم عادوا لخَوَنْد فوجدوا المحفة مقابلتهم عند باب الحنفى ، فحمل السيد بركات من بعض جوانبها مع الجماعة الحاملين من الأمراء إلى باب منزلها ، وهو قاعة كاتب السرِّ البدرى بن مزهر الكبرى ، فانصرفوا[١] .

وفى ثانى ذى الحجة توجَّه السيد بركات هو وولدُه إلى سيدى محمد بن السلطان بمنزله بالقصر ، وألبسهما خلعة خلعة ، وانصرفا إلى بيتهما . ثم عادَا لِأَمِير الحاج[٢] فقُرِئت المراسيمُ ، وألبسهما خلعتين أيضاً . وأضافهم الشريف أَوَّلَ يومٍ شواءً وجذابة ، وأهدى لابن السلطان أشياء ، منها : اثنا عشر ألف دينار ، ولخوند أشياء منها : ثمانية آلاف دينار ، وأهدى لكاتب السرِّ أربعة آلاف دينار ، ولأمير الحاج مثلها ، ولبقية الأمراء وغيرهم ثلاثين ألفاً ــ كذا سمعنا ، والله أعلم ــ وكان السيد بركات استعان بالأمير حسين نائب جدة فى اقتراض مال من التجار ؛ فطلبهم إليه وأخذ منهم مالاً لا

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٢ظ ، ودرر الفرائد المنظمة ٣٦٠ .

(٢) وكان نازلاً بالمدرسة الأشرفية قايتباى (بلوغ القرى لوحة ٢٢٣ظ) .

أعلم كميته[١] ، وصرح السيد بركات من أوّل ما وصل الحاج أنه يسافر مع ابن السلطان سيدى محمد إلى القاهرة ، فكتب للسلطان بذلك مع المبشر ، أو من أول الموسم ؛ فإن السلطان ــ نصره الله ــ أرسل له بالملاقية[٢] .

ولما سافر الحجاج تأخر السيد بركات عنهم إلى ظهر يوم الجمعة سابع عشرى ذى الحجة فدخل الطواف بعد الصلاة ، وطاف طواف الوداع ، ودعا له الرئيس أبو بكر فوق ظُلَّة زمزم كعادته ، وودعه الناسُ من المسجد الحرام إلا الأمير حسين نائب جدة والقضاة والأمراء والأتراك فتوجهوا معه إلى خارج مكة ، وعادوا إلَّا القاضى الشافعى وأخويه فتوجَّهُوا معه إلى الوادى . وسافر من الوادى ليلة السبت ــ كتب الله سلامته ، ورزقه القبول والإقبال ، ووالى عليه جميعَ الأفضال ، وردّه سالماً إلى وطنه ، معافىً فى بدنه ودينه ودنياه ، وأوليته وأخراه ــ واستصحَبَ / معه ولَدَه الشريف ثَقَبَة وعمره نحو خمس سنين[٣] . ٢٦٥و

وفى يوم الثلاثاء رابع صفر سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ،

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٣و .

(٢) وانظر فى وصف حج الأمير محمد ابن السلطان قانصوه الغورى ووالدته بدائع الزهور ٤: ٤٠٩ ــ ٤١٢ ، ودرر الفرائد المنظمة ٣٦٠ ، وسمط النجوم العوالى ٤: ٣١٧ .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٢٣و ، ظ .

وصل قاصدٌ عقبيٌّ من السيد بركات أرسله من العَقَبة ، وخلع عليه جماعة الشريف ثياباً كثيرة حسنة ، ودقت البشائر بالطبلخانات وغيرها ، ثم بعد العصر حضر السيد أبو نميّ وبعض أعمامه ، وهم الشرفاء : أبو الغيث ، ورميثة ، وشولق ، وابن عمه الشريف زهير بن السيد حميضة ، والقضاة والأميران : الباش والمحتسب ، وغيرهم بالحطيم تحت زمزم ، وقرئ مرسومان من السلطان أحدهما للسيد بركات ، والثانى لولده السيد أبى نُمَىّ ، وللأمير الباش ، ولنائب جدة ، وللقاضى زين الدين ناظر جدة . وفى الثانى أنهم يحتفظون بالبلاد والطرقات حتى يصل السيد برَكات قريباً ، وفى الأول تعظيم زائد للسيد بركات ، وكلمات لم نسمع بمثلها ، فلنذكره لحسنه وفصاحته[1] .

وهو ـــ بعد الترجمة ، والألقاب ـــ : ولا زالت واردات التهانى بقدومه واردة ، وركائب عزه بصلة الأمن والأمان عائدة ، وحُدَاة العِيسِ تترنم بخطوات اليمن والأمان ولزمام البركات قائدة ، ولا برح يُحْيِى بالوفاء سُنَّة أسلافه ، ويسارع فى اتباع مراضينا الشريفة بما يقضى برفعه شأنه وإسعافه ، ويشيّد مبانى الإخلاص بنفاسة طاعته النفيسة ، وجميل أوصافه . صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى ، تطيل فى شكره وتطنب ، وتتحفه من الوصف الجميل بما يخطب تاليه ويعرب ، ويهدى إليه سلاماً يهيج بِوُدٍّ وُدِّه ، وثناءً يتأرّج بعرف

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٤و .

نَدِّه ، ومحبة تنطق بشكر مساعى إخلاصه فى حزمه وجِدِّه ، وتوضح لعلمه المبارك أن مكاتبته وردت إلى أبوابنا الشريفة فوقفنا عليها ، وفهمنا ما اشتملت عليه فى معنى ما ذكره من حلول ركاب المقام العالى الولدى الناصرى ، نجل مقامنا الشريف ، والآدر الشريفة خَوَنْد الكبرى ــ حرس الله ذاته ، وصان حجابها ــ بالأقطار الحجازية .

وقد وردت مفاوضة نجلنا الشريف ، ومكاتبة الجناب العالى الأميرى الكبيرى طُقْطُبَاى أحد أعيان الأمراء مقدمى الألوف بالديار المصرية ، وأمير المحمل الشريف ، ومودة الجناب الكريم العالى القاضوى الكبيرى المحبى محمود بن أجا الحنفى صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية ، وسائر الممالك الإسلامية ، أعز الله جانبه ، إلى أبوابنا الشريفة ، وأثنيا فيهما على شيم الجناب العالى وأجماله ، فى حسن تَلَقِّى المقام العالى والآدر الشريفة المشار إليهما ، وما فعله من مزيد الاحترام وقيام[1] الناموس . فهذا هو المحقق عندنا ، والثابت فى خواطرنا الشريفة ، والمأمول فى شيمه الطاهرة ، وأصالته الباهرة ، ومحبته وصفاء سريرته / ، وسديد تصرفه ، ويمن ٢٦٥ظ
حركاته ، وشديد عزماته ــ كثرها الله تعالى ، وشكر اهتمامه ، وبيض وجهه ، وجَمَّل الممالك الإسلامية والأقطار الحجازية بوجوده ــ .

---

(١) فى الأصل « وقياس » .

وما اقتضاه رأى الجناب العالى من حضوره إلى أبوابنا الشريفة ، للتملى بمشاهدة ذاتنا الشريفة ، وليشمله نظرنا الشريف ، فقد حصل عند مقامنا الشريف بقدوم الجناب العالى من الابتهاج والسرور ما لا يكاد يوصف ؛ فإن خواطرنا الشريفة كانت ملتفتة كل الالتفات إلى رؤية الجناب العالى ، والقيام بما يتَيَقَّن من إعلاء مراتبه ، وإظهار ما هو كامن فى خواطرنا الشريفة ، من محبته وتعظيم جانبه ، وعلو مُقابله ، ولنبالغ فى إكرام نزله ، ورفعة محله ، حتى يعلم القاصى والدانى علو شأنه عند مقامنا الشريف ؛ فإن الجناب العالى ليس عندنا بمنزلة من تقدم من أسلافه الطاهرة عند الملوك السالفة ، بل أعظم من الولد العزيز ، وأخص من الأخ الشقيق ، وأعزّ من ضياء العين ، والله ثم والله ليس عندنا ، ولا فى خواطرنا الشريفة أخصّ من الجناب العالى ، وسَيَرَى من مقامنا الشريف — إن شاء الله تعالى — مِنَ التعظيم والرفعة ما يصير تاريخاً يُذْكر على توالى الأحقاب والأزمنة . فيا مَرْحَباً يا مرحباً ، بل ألف مرحب بقدوم الجناب العالى ، حمد الله قدومه ، وأكْرَمَ ذهابَه وإيَابهُ .

وقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما
يَظُنَّان كلّ الظنِّ أن لا تلاقيا

* * *

مرحباً مرحباً بداعى الهناء
مرحباً مرحباً بقرب اللقاءِ

وأما ما أشار إليه المقام العالى الولدى من تجهيز أمانٍ شريفٍ للجناب العالى ، فالذى نحيط به علمَ الجناب العالى أنه لو حضر إلى أبوابنا الشريفة أحد ينسب إليه ، وكان جنى بكل عظيم ــ وكان منسوباً إليه ــ لأمَّنَّاه رعاية للجناب العالى ، فكيف بالجناب العالى الذى هو عندنا أخَصّ من الولد العزيز الشفيق ، ولم يحصل منه إلا خيراً فى حركاته وسكناته ، وألف أمان ألف ألف أمان على الجناب العالى ، وعلى من يحضر صحبته من صغير وكبير ، أمانُ الله تعالى ، وأمانُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأماننا الشريف ، لا يَمَسُّهم سوء ولا ضررٌ ولا تشويشٌ ، ولهم الإكرامُ والاحترام ، والرعايةُ الوافرةُ الأقسام ، ويعاملون بكل جميل . والآن فقد اقتضت آراؤنا الشريفة تَوَجُّهَ الجناب العالى القاضوى الكبيرى الشهابى [ابن][1] الجيعان ، نائب صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية ، وسائر الممالك الإسلامية ، وصاحب ديوان الجيوش المنصورة ــ أدام الله تعالى نعمته ــ وصحبته كاملية مفرية صموراً طرشاء ، من خاص ذخيرتنا الشريفة ، ومنديل أمان شريف للجناب العالى ، ليلاقى الجنابَ العالى من عقبة أيْلَة ، ويلبس الجناب العالى كاملية ، وليبلغ الجناب العالى سلامنا / ويتحفه بما عندنا من الشوق قديماً ٢٦٦و
والتشوق إلى رؤيته ، خصوصاً لما دنت الديار من الديار ، فالجناب العالى يتقدم أمره المبارك بلبس الكاملية المشار إليها ، ومقابلة صدقاتنا

(١) سقط فى الأصل .

الشريفة بمزيد الدعاء ، ويكون طيّب القلب منشرح الصدر ، قرير العين ، آمِناً على نفسه وماله وولده وذويه ومن يلوذ به وينسب إليه ، وخاطِرُ الجناب العالى يشهد بما عندنا من محبته ، وما نحن عليه قديماً وحديثاً من قيام ناموسه ، وتأكيد صحبته ، فالله تعالى يُقَرِّب الاجتماع به وبصحبه سالماً ، ويعيده بعد بلوغ المرام إلى أوطانه آمناً غانماً ، بمنه وكرمه ، فيحيط علمه بذلك ، مؤيداً بالملائكة بمنه وكرمه إن شاء الله .

وكتب رابع شهر الله المحرم الحرام ، افتتاح سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ، حسب المرسوم الشريف ، والحمد لله ، اللهم صل وسلم على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله أجمعين .

ورأيت ورقة بعض أهل مكة كتبها من العقبة ، وأرسلها مع القاصد ، وفيها : إن ملاقات السلطان لولده جاءت إلى ينبع ، ثم أيضاً واجهه أمير البشائر فى مغارة[1] شُعَيْب وألبسه خلعة سنية من المقام الشريف ، وأخبر بأن القضائى الشهابى بن الجيعان وصل العقبة ، ومعه ملاقاة كبيرة إلى ابن السلطان ، وخَوَنْد ، والشريف ، وأخبر أن السلطان فرح فرحاً عظيماً بوصول السيد الشريف ، وحمد الله ثلاث مرّات على وصوله ، وأرسل له بخاتم ومنديل الأمان ،

(١) مغارة شعيب : من منازل الحاج المصرى . عند مدين ، بين حقل وعيون القصب ، بينها وبين الأولى أربع مراحل ، وبينها وبين الثانية مرحلتان ، وانظر درر الفرائد المنظمة ٤٥٠ .

وألبسه خلعة متمراً[١] مليحة بشارة له ـــ وكنا عنده ـــ وعند وصول العقبة واجهنا سيدى أحمد بن الجيعان ، ومعه من الملاقيِّين خَلْقٌ كثير ، وجاء الشريفَ بخلعة خضراء مليحة ألبسه إياها ، وأرسل له ثلاثة حمول دقيقاً ، وثلاثين إردباً فولاً وشعيراً ، منها عشرون فولاً وعشرة شعيراً ، وفردة خُوشْخَان فيها مائة وعشرون رأس سكر ، وفردة قفص فيها ثلاثمائة واثنتان وثلاثون علبة حلاوة ، وقفصين كباراً فيهما أوز ودجاج ، وأربع ماوَرْدِيَّات فيها جرار ماء النيل وغيره ، وصندوقاً كبيراً فيه تفاح ، وحصل له خير كثير ـــ انتهى ما فى الورقة[٢] ـــ .

وفى يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول وصل قاصد من مصر واسمه مغير ، وهو من أهل الشام ، وخدم فى وادى مرّ ، ثم انتقل لخدمة الشريف ، ومعه بَلَوِيٌّ ، أرسلهما السيد بركات لولده والقاضى الشافعى والأمير الباش والمحتسب ، وخلع هؤلاء الثلاثة على القاصدين خلعة خلعة . ومعنى مضمون كتاب القاضى الشافعى ـــ وقرئ بحضوره فى مجلسه بالزبارة[٣] ـــ : أنه حصل لنا إكرام زائد من المقام

(١) المتمر والمثمر : قماش من الحرير الخالص منسوج بخيوط الذهب طولياً ، يصنع فى الإسكندرية ، ومنه تكون أفخر الخلع وأثمن التشريفات وأعلاها رتبة (خطط المقريزى ٢:٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والملابس المملوكية ٢٧) .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٢٢٤و .

(٣) الزبارة : من قرى وادى مر الظهران ، بعد التقاء النخلتين ، ويسمى الوادى عندها باسمها . وورد ذكرها كثيراً فى أيام الأشراف الحسنيين ، وحالياً هى لبنى عمير وفيها مقر مشيختهم ، وبها مرافق عامة . وانظر معجم معالم الحجاز جـ ٤ ، جـ ١٠ .

الشريف ، بحيث واجهنا الأمير الكبير الدوادار طُومان باى ابن أخى المقام الشريف ، وغيره من الأمراء من عَجْرُود ، ومُدَّ لنا هناك سماط عظيم ، ولما وصلنا البركة وجدنا المدورة[١] السلطانية ، ومُدَّ لنا هناك سماط آخر ، وقدم لنا ثلاث خلع وثلاثة من الخيل بسروج مغرقة
٢٦٦ظ ذهباً / لى وللولد ثقبة وللشريف عرار ، وجاءنا بقية الأمراء ، ثم دخلنا البلد صبح يوم الخميس حادى عشرى المحرم ، وطلعنا القلعة وواجهنا المقام الشريف فى الحوش ، وألبسنى سلَّارياً[٢] كان عليه ، وأكرمنا غاية الإكرام ، وأمرنى بالجلوس ، فقلت : لا أجلس وسيدى واقف ، فقال : لا يمكن ، تَجْلِسُ بحضورِ الأمراء . فقلت : كيف أجلس وبختى واقف ؟! فأعجبه ذلك وطرب له ، وأمر ولده بالانصراف وأجلسنى على يمينه فوق الأمير الكبير ، وألبس ولدى ثقبة خلعة فكانت[٣] على قَدِّه ، ثم انصرفت إلى المنزل ومعى جميع الأمراء وأركان الدولة ، ثم أرسل لى ثانى يوم خاصِّكِيَّيْنِ[٤] وطلعتُ معهما إلى

---

(١) المدورة السلطانية : هى خيمة كبيرة مستديرة تضرب للسلطان فى الأعياد والاحتفالات ويستقبل فيها كبار الزوار والضيوف وعظماء الدولة ، وكان لسلاطين المماليك مائة مدورة (النجوم الزاهرة ١٢ : ٣١٧) .

(٢) السلارى : هو معطف فوقانى ينسب إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين سلار التترى . فى عهد السلطان محمد بن قلاوون والسلطان بيبرس الجاشنكير ، وهو ضيق الأكمام ويصنع من أقمشة مختلفة وقد يكون مزركشاً ، كما ينسب لهذا الأمير أنواع أخرى من الملابس والأسلحة وغيرها . وانظر الملابس المملوكية ٤٤ ، ٤٥ وفهارسه .

(٣) وفى بلوغ القرى لوحة ٢٢٤ظ « فصلت » .

(٤) مثنى خاصكى ، والخاصكية هم الذين يلازمون السلطان فى خلواته ويتعينون =

المقام الشريف ؛ فرحّب بى وأكرمنى كثيراً ، وقال لى : أنت عضو من أعضاء النبى صلى الله عليه وسلم ، وجئتنى قبل ذلك وما تجملت منك ، والماضى لا يعاد ، والله يجمل منك . وقال لى : أنت بالخيار إن شئت أقمتَ وإن شئت عَزَمْتَ إلى بلدك ، وإذنُك مَعَك . فقلت : لا أعزم حتى أتملَّى بمشاهدة الذات الشريفة ، وأنا فى الخدمة هنا ، وولدى أبو نُمَىّ فى خدمتكم بمكة . فقال : يا شريفُ ، شَمِلَتْ وَلَدِى بركَتُكَ ؛ فإنه سافر وما يعرف شيئاً ، وجاء وهو يعرف ، وكل هذا ببركتك ومسايستك له فى الطريق . ثم خلع علىَّ خلعة ثانية ، وانصرفت من عنده ، وأمر لى بألف دينار وبقجتين واحدة لى ، وواحدة للولد ثقبة ، فيهما صوف وفرو ، وأنعم على جماعتنا بنى حسن ، ورتَّب لنا النفقة على يد القاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان ، ويحضه على ملازمتنا ، بل كل من اجتمع به من الأمراء يسأله : هل اجتمع بى ؟ فإذا قال له : نعم . سأله عن حالى ، وأمره بإكرامى ، والذى يقول له : ما رأيته يحضه على الاجتماع بى وإكرامى . وأكرمنى لذلك الأمراء والمباشرون والقضاة ، وجميع أركان الدولة(١) .

وفى اليوم الرابع من صفر قدمت الهدية للسلطان مع الشريف

= بكوامل الكفال ، ويجهزون فى المهمات الشريفة ، والمقربون من المملكة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ١١٤) .

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٤ظ .

عرار ، وهى : عشرة آلاف [دينار][(١)] نقداً ، وعشرة حوالة على بندر جُدَّة ، وعشرون عبداً منها طواشيان ، وستة عشر فرساً [منها][(٢)] أربعة حصن ، وثلاثون هجيناً من هجيننا ، وغير ذلك من القماش والتحف ؛ فأعجبه ذلك .

وفى بعض الأوراق الواصلة من مصر : أن الشاشات والبيارم ثلاثمائة أو أربعمائة ، وغالبها شاشات . وخُلِع على الشريف عرار خلعة[(٣)] . وتاريخ الورقة سادس صفر ، وغيرها من الأوراق مؤرخ بتاسع صفر . وخرج القاصد تاسع الشهر ، فمدة إقامته فى الطريق أربعة وعشرون يوماً . وقال : لولا تعويق ناقتى لجئت قبل هذه المدَّة .

وفى عصر يوم الأربعاء المذكور اجتمع السيد أبو نمى والشرفاء عَمَّاه رميثة وسيسد ، وزهيرُ ابن عمه السيد حميضة ، والقاضيان الشافعى والمالكى ، والأميران الباشُ والمحْتَسِبُ ، وابن نائب حلب إدريس أمير عشرة بالحطيم ، وقرئ مرسومان للشريف أبى نُمَىّ والقاضى الشافعى ، ولم يذكر بهما تاريخ ، وبعد / الفراغ من القراءة ٢٦٧و
لبس السيد أبو نمىّ خلعة خضراء بمقلب سمور [من][(٤)] خاص

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٢٢٤ظ .

(٣) فى الأصل « خلع » والمثبت عن المرجع السابق .

(٤) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٢٢٥و .

ملبوس ابن السلطان ، كما هو مذكور فى المرسوم ، وطاف عقب اللبس ، ودعا له الرئيس أبو بكر على ظُلَّة زمزم فى السبعة الأشواط كالعادة ، ثم صلى وتوجه لبيته ، ومعه القضاة والأمراء ، ومضمون المرسومين نحو ما فى ورقة السيد بركات باختصار وزيادة ، وفيهما أن الشريف يحضر المَوْلِدَ عندنا ويتوجه إلى بلده ، ويأمر السلطان بحفظ البلاد وأمن الطرقات حتى يعود السيد بركات .

ووصلنى مع هذا القاصد ورقة من بعض الأصحاب المصريين . وفيها : أن السيد بركات لم يزل فى تعظيم وإكرام واحترام من يوم توجّه من مكة ، وإلى أن يعود إليها إن شاء الله . فما حصل له : أن المبشر لقيه بمغارة شُعَيب ، وألبسه خلعة سنية ، والأمير طُقْطُباى أمير الحاج ، ونجل المقام الشريف ابن مولانا المقام الشريف ، ومراسيم شريفة بالتعظيم للسيد الشريف فيها ألفاظ لم تكتب لأحد قبله . ولما وصل إلى منزلة عَجْرُود لقيه الدوادار الكبير ، وصحبته جمع من الأمراء ، وقد أخْلَعَ عليه سَلَارِيًّا مُفَرًّى لم يُرَ مثله ، وفرساً ، وزاد فى تعظيمه وإكرامه واحترامه — وهو والله جدير بذلك — ثم لما وصل إلى بركة الحجاج اجتمع به سائر الأمراء قاطبة ، وزادوا فى تعظيمه والأدب معه ومع المقام الناصرى ، ثم لما أن وصل إلى مصر المحروسة ، وطلع إلى المقام الشريف — شرفه الله تعالى وعظمه — حصل له منه من غاية جبر الخاطر ما لم يحصل لغيره من سائر النواب ولا من غيرهم من الأمراء ؛ بحيث إن المقدمين

نزلوا بين يديه بأسرهم قاطبة ، وأنزله المقام الشريف ببيته الـذى بجوار مدرسته الغوريـة[١] ، وأن الأمـراء كلهـم يعظمونـه ويجلونـه . وفى كل مرة يطلع فيها إلى المقـام الشريـف يَرَى من الإكـرام ما لم يَرَه فى المرة الأولى من إكرام واحترام وجبر خاطر ، وتلطُّف فى القول معـه . وقـد طلبه المقام الشريـف لأجـل أن يرى جماعـة من الأجـلاب المصارعين بالميدان الشريف [فأجلسه][٢] فوق المقـدمين ـــ وكيـف لا يكـون ذلك وهو من بيت النبوة ـــ وبالجملة فلـم يقـدر أحـد أن يصف ما حصل له من التعظيم ، وقد ألقى الله عليه القبول فى الأرض من سائر خلقه ، من العالى والدون[٣] ـــ ولله الحمد على ذلك ـــ .

وفى يوم الثلاثاء تاسع ربيـع الأول وصل من جدة قُصَّادٌ جاءوا من مصر بطلب القاضى زين الديـن المحتسب الناظـر بجدة ، ومعهـم مراسيم وأوراق للبـاش ، وقالـوا : إنهم خرجـــوا يوم الرابـــع عشر من صفـر ، وصحـبتهم كتـاب من السيـد الشريـف بركات إلى زوجتـــه الشريفـة أم كامـل ابنـة عجـل بن رميـح النموى ، وفيـــه ـــ على ما سمعنا ـــ : أنه حصل له من السلطان ـــ نصره الله تعـالى ـــ إكـرام زائد ، وفيه أنه عمل له خمسة أشياء لم تعمل لغيره ، وهى :

(١) وفى بدائع الزهور ٤ : ٤٤٠ « قيل أنزله السلطـان فى بيت الأمير جانم مصبغـة الذى بالقرب من مدرسة السلطان » .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٢٢٤ظ .

(٣) المرجع السابق .

أن السلطان أمر المقرئين عنده أن يدعو للشريف مع السلطان بحضوره .

وإذا جاء السلطان يأمر له بمرتبة / يجلس عليها إلى جانبه . ٢٦٧ظ

وقشر له الفاكهة بيده وناولها له .

وأدخله على بعض خواصه من السرارى ، وأسمعه الجنك والعود .

وعزم عليه فى المقياس بالروضة ، فلما انصرفوا توقف خدام الشريف عن تقدمة نعاله هيبة من السلطان ، فوقف السلطان وأمر بتقدمتها له[١] ، وحصل للشريف بذلك غاية الإكرام .

وفى آخر ليلة الاثنين سابع عشرى ربيع الثانى وصل لمكة أوراق من السيد بركات وغيره مع قاصد كان أرسل لينبع للإعلام بولايتها للشريف جعارى[٢] بن هجان بن دراج ، فخلع عليه . وفى بعضها : أن الشريف اشترى خمسة وعشرين مملوكاً — ويقال إنه استخدم بعضهم — بخيولهم ، وأن أخاه السيد راجحاً سأله فى الخلعة الثانية فقال : هى لولدى أبى نمىّ ، بعد أن سأل السلطان فيها فقال له : هذا الأمر يتعلق بالسيد بركات . وقَصْدُه بذلك جَبْرُ

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٥و . وانظر بدائع الزهور ٤: ٤٤٢ — ٤٥٥ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٢٢٥ظ « عجارى بن هجار بن دراج » ، وفى لوحة ٢٢٦و « جعارى » .

خاطر الشريف ، مع كونه قط ما سأله فى شىء من الشفاعات وغيرها إلا أجابه إليه وأكرمه به .

ومما فعله له : أنه عزم عليه فى المطرية[١] يوماً ، فلما عادا إليها[٢] آخر النهار وشقَّا القصبة حصل الدعاء للسلطان من العامة كثيراً ، خصوصاً لما حاذى بيت الشريف أمره بالتوجّه إليه فامتنع ، وأراد النزول فألزمه بذلك ؛ فسمع وأطاع وتوجّه إلى منزله[٣] .

وطلع السيد بركات للسلطان يوم جمعة فوجده بالجامع فى المقصورة فجلس خارجها ، فلما التفت ورآه استدعاه إلى عنده ، وطلب له بساطاً وبسطه له بيده ، وجلس عليه إلى جانبه[٤] .

وفى صبح يوم الأحد عاشر جمادى الثانية وصل قُصَّادٌ من مصر من عند السيد بركات ، ومعهم أوراق منه ، ومن بعض جماعة فارقوهم من نخل ولهم عنهم ثمانية عشر يوماً . ورأيت ورقة بخط السيد بركات أنه كتبها من عجرود ، وتاريخها العشرون من جمادى الأولى ، وورقة من بعض جماعته ، وفيها : أن فى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى لبس السيد بركات خلعة السفر ، ولبس معه متولى

---

(١) وكان السلطان كثيراً ما يخرج إلى قبة الأمير يشبك التى بالمطرية ويبيت كالمتنزه ، ويتفرج على الملقة التى كانت زاخرة بالماء . وانظر بدائع الزهور ٤ : ٤٧٠ .

(٢) أى عاد إلى القاهرة .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٢٥ظ .

(٤) المرجع السابق .

ينبع الذى سأله فى ولايته[١] ، وهو الشريف جعارى بن هجان بن دراج ، ونائبه خشرم بن دلنجى الذى له الخلعة الصغيرة ، ولبس نجل المقام الشريف الناصرى محمد خلعة النظر[٢] . وكان قبلها لبس خلعة أمير آخور بعد وفاة قايتباى الرماح ، وشق الجميع القصبة فى موكب عظيم ما يعلمه إلا الله ، ونزل قدامهم أمير كبير والدوادار الكبير والأمراء حتى الجمدارية إلى أن وصلوا مدرسة السلطان برقوق بالقصبة ، ثم إن الشريف استعفى وسأل ابن السلطان أن يرجع وأنه يروح وحده ، فرجع ابن السلطان ، وتوجه الشريف ومعه الأمراء ، ومن جملتهم أمير كبير إلى أن خرج من باب النصر ونزل بتربة السلطان برقوق ، وأقام بها خمسة عشر يوماً يقضى فيها حوائجه ، وجاء للشريف وهو بها تقدمة السلطان ، وهى : مبلغ ثلاثة آلاف دينار[٣] / وخمسة مماليك على خيولهم كاملة اللبس والسلاح ، ومائة ٢٦٨و

(١) وفى بدائع الزهور ٤:٤٥٥ « وجعل السلطان للشريف بركات التحدث على بندر الينبع ، يولى به من يشاء من تحت يده ، ويعزل من يشاء » .

(٢) فى بدائع الزهور ٤:٤٥٦ « خلعة الإنظار » . وتعنى أن صاحبها يعين للوظيفة ولا يشغلها ، فيخلع عليه خلعة الانتظار لتولى الوظيفة المعينة له . وكل ما ورد فيه الإنعام بخلعة الإنظار يدل على ذلك (النجوم الزاهرة ١٦:٢٧٢ حاشية ٢) .

(٣) وفى بدائع الزهور ٤:٤٥٦ « وفى يوم الجمعة ثانى هذا الشهر [جمادى الأولى] أرسل السلطان إلى السيد الشريف بركات تقدمة حافلة — وهو فى تربة الظاهر برقوق — فكان فى جملتها : ذهب عين أربعة آلاف دينار ، وأربعة مماليك فرسان ، وهم باللبس الكامل ، وكان الشريف بركات اشترى من مصر مماليك ، وأهدت إليه الأمراء عدة مماليك ، فكان معه نحو خمسين مملوكاً مكملة بالسلاح ، وأرسل إليه السلطان ست =

قطعة قماش ، وسنجق سلطانى ، وطبل ، وسيف من ذخائر الملوك ، وفَوَّض إليه جميعَ أمورِ الحجاز وأعمالها ، ومن جُمْلَتِهَا الرِّضَى على بُرْدُبَك عَجوز الخاصكى المنفى بمكة ، وتَرَقِّى المُحْتَسِب كَسَبَاى لأمرية أربعين بشفاعته لهما ، ومعه مرسومان لهما ، وأقام فى المبرز إلى يوم رابع عشر جمادى الأولى ، ورحل إلى البِرْكَة يوم تاريخه ، وسُرّ الناس بهذه الأخبار ، ودقّت البشائر ، وحصَلَ للقُصَّاد خِلَعٌ كثيرة من جماعة الشريف والقاضى الشافعى والأميرين الباش والمحتسب ، ونودى بالزينة ، وبرز الشرفاء : السيد أبو نُمَىّ وبعضُ أعمامه وجماعته ، والأميران والترك والعسكر إلى المعلاة ، ولعبوا بها الحمام ثلاثة أيام بعد صلاة العصر . وأما أهل مكة فاستمروا على العادة يلعبون عند بيت الشريف تكملة الأسبوع[١] .

= بقج ضمنها صوف وصمور ووشق وسنجاب ، وبلعلبكى ، وتفاصيل حرير سكندرى ، وأبراد منزلاوى ، وشقق برق بجر ذهب ، وأثواب مخمل ملوّن ، وأثواب برصاوى مزهر بقصب ، فأرسل إليه من كل صنف من هذه الأصناف عشر قطع ، وأرسل إليه نمجاة — زعموا أنها نمجاة بعض الصحابة — فكتب السلطان اسم الشريف بركات عليها ، وسقطها بالذهب ، وأرسل إليه أربعة أسياف خاص ، وهى مسقطة بالذهب ، وأرسل إليه أربع زرديات ، وهى مسقطة بالذهب ، وأرسل إليه صنجقين سلطانى بطلعتين فولاذ ، أحدهما حرير أصفر مرقوم بالذهب ، وآخر حرير أصفر برسم الأسفار ، وأرسل إليه محفة بغشاء جوخ أصفر ، وكان قبل ذلك أرسل إليه عدة خيول وهجن وجمال بخاتى وبغال وسلاح برسم المماليك الذين معه . وقد أغدق عليه بكثرة الإنعام له حتى أدهشه بالعطايا فوق ما أهدى إليه السيد الشريف بركات بأضعاف .

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٥ظ ، ٢٢٦و .

وضَمَّـن غالبَ ما حصل للسيـد بركات من إكـرام السلطـان ـــ نصره الله تعـالى ـــ له فى هذه السفـرة الأديبـةُ الأصيلـةُ الكاتبـة الجليلة ستيتة ابنة القاضى كمال الدين محمود بن سيرين المصريـة نزيلـة مكة المشرفة ـــ صان الله حجابها ـــ فقالت :

قِفُوا واسْمَعُوا قَوْلاً صَحِيحاً لَهُ سَنَدْ
عَنِ الأشْرَفِ الغُوْرِيِّ مَا عَنْهُ يُعْتَمَدْ
وَمَـا نَالَ مَوْلَانَـا الشَّرِيفُ مِنَ العَطَـا
ثَمَانِيَـــةٌ مَا نَالَهَـــا قَبْلَـــهُ أَحَـــدْ
فأَوَّلُهَـــا يُدْعَـــى لَهُ بِمَقَامِـــهِ
كَمَا يُدْعَى لِلسُّلْطَانِ هَذَا بِهِ انْفَرَدْ
وأسْمَعَـهُ القَيْنَـــاتِ فِى وَسْطِ دَارِهِ
وَذَلِكَ ثانى مَا ذَكَرْتُ مِنَ العَـــدَدْ
وَثَالِثُهَـــــــــا يُوْضَعْ لَهُ بِإزَائِهِ
بِمَرْتَبَةٍ عُلْيَا وَفِـــى بِرِّهِ اجْتَهَـــدْ
وَرَابِعُهَـا يُطْعِمـــهُ بِاليَـــدِّ مَا يَشَا
كَوَالِـدِ مَوْلُـودٍ إذَا يُعْـــنَ بالوَلَـــدْ
وَخَامِسُهَـــا سَارَا فَلَـــمْ يَرَ نَعْلَـــهُ
تَمَهَّلَ حَتَى حَامِـلِ النَّعْلِ قَدْ وَرَدْ
وَسَادِسُهَـــا جَازَا جَمِيعـــاً بِدَارِهِ
فَأَنْزَلَـهُ بَيْـــنَ العَسَاكِـــرِ وانْفَـــرَدْ

وَسَابِعُهَا فَرْشَ المُصَلَّــى بِيَــدِّهِ
وَصَلُّوا جَمِيعاً هَكَـذا غَايَـةُ المَـدَدْ
وثَامِنُهَـــا مَا كَانَ يَوْمَ وَدَاعِــــــهِ
وأَكْبَتَ أعْـدَاهُ وَوَفَّـــاهُ مَا وَعَــدْ
وَزَادَ ثَلَاثـــاً رَفْعَـــهُ لمَقَامِــــــهِ
بِسَنْجَقِـهِ وَالطَّبْـلِ لِلْجُنْـدِ وَالقَــوَدْ
وَقَـدْ نَالَ هَذَا مِنْـهُ بالبِرِّ والتُّقَـــى
وصِدْقِ مَقَـالٍ وَالوَفَـاءِ بِمَـا وَعَـدْ
وَذَلِـكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيــهِ مَنْ يَشَا
وَيَـخْسَأُ غَوَّاءٌ لِذَاكَ وَمَـــنْ حَسَدْ
وَصَلَّى إلَهُ العَرْشِ تَتْرَى عَلَى الَّذِى
لِمَوْلَاهُ مِنْ فَوْقِ البُرَاقِ لَقَدْ صَعَدْ[١]/

٢٦٨ظ وفى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الثانية وصل قاصد من السيد بركات وقال : إنه فارقه من أكْرَا ونيَّته يَتَوَجَّهُ مِنْ يَنْبُع لزيارة جدِّهِ المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان طلبَ مع القاصِد الأوَّل الذى قبل هذا ذَهَباً حَلَالاً مِنْ قِيمَةِ النَّخِيلِ لِيُفَرِّقَه فى المدينة على أهلها ؛ فأُرْسِلَ له تسعمائة[٢] دينار .

(١) وقد وردت هذه القصيدة فى سمط النجوم العوالى ٤: ٢٩١ ما عدا البيت الأخير .

(٢) فى بلوغ القرى لوحة ٢٢٦ظ « بسبعمائة دينار » .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشر الشهر وصلَ قاصدٌ[١] من عند الشريف ، وأخبرَ أنه وصلَ إلى يَنْبُع يوم الثلاثاء ثانى عشر الشهر ، ثم جاء آخرون وأخبروا أنهم خرجوا من يَنْبُع ليلة الجمعة ثانى عشرى الشهر ، وفى نِيَّتِهِ فى ذلك اليوم التَّوَجُّه إلى المدينة الشريفة .

وفى يوم السبت ثالث عشرى الشهر طَافَ ولدُه السيد أبو نُمَىّ بعد صلاة العصر ، ودعا له الرئيسُ فوق ظُلَّة زمزم الدعاء المعتاد ، وكذلك طاف قاضى القضاة الشافعى الصلاحى بن ظهيرة ، وخرجا جميعاً إلى الوادى لملاقاة السيد بركات[٢] ، واستمرَّا إلى أن وصلا إلى خُلَيْص ، وأقاما بها إلى أن وصل لها السيد بركات فى صبح يوم الجمعة سادس رجب ؛ فسَلَّمَا عليه وعادا إلى مَكَّة ومعهما الشريفُ ثقبة ، فوصلوها صبح يوم السبت سابع رجب[٣] .

وكان خرج قبلهما بيوم أو يومين الجمالُ محمد بن راجح بن شميلة للملاقاة[٤] ، واستمر سائراً إلى أن لاقى الشريفَ بالفُرَيْش[٥]

---

(١) فى المرجع السابق أن القاصد هو عبد للشريف عرار .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٢٢٧و .

(٣) المرجع السابق .

(٤) وانظر المرجع السابق .

(٥) الفُرَيْش : تصغير فرش : واد من روافد ملل ، يأخذ على مساقط مياهه من السفوح الشرقية لجبل ورقان ، يقطعه طريق المدينة إلى مكة على ٤٨ كيلاً ، فيه بئر درويش ، وكانت محطة للجمال ، وصارت اليوم تسمى الفريش ، وإذا اجتمع الفريش بملل وتربان تكونت له وسعة سميت فرش ملل ، وانظر معجم معالم الحجاز للبلادى ، ووفاء الوفا ٢:٣٥٥ ، وكتاب على طريق الهجرة ١٢٦ ــ ١٢٩ .

قرب المدينـة ، ثم إنـه توجـه للزيـارة مع جماعـة أرسلهـم مع السيـد الشريف ؛ فزار وعاد إلى الشريف وجاء معه .

وفى يوم الأربعـاء سابـع عشرى جمادى الثانيـة توجـه الأمير المحتسب كسباى إلى الوادى للملاقاة ، وفى ثانيه توجّـه الأمير البـاشُ قانى بك إلى الوادى أيضاً ، وتوجـه من جُدَّة نائبها الأمير حسين إلى الوادى لأجل الملاقاة ، وجـلس ببـيت السيـد بركات بالدكنـاء ، وكان معه القاضى زين الدين المحتسب الناظر بجُدَّة ، وفارقـه وجـاء لمكـة ، ثم توجّه للوادى لما سمع بوصول السيد بركات ، وجـاء لمكـة من جدة قاضيها الجمـالى محمـد بن محب الديـن بن عبـد الحى بن ظهيرة ، وجميع النواب والمباشرين والتجار ممن يذكر لأجل الملاقاة والسلام على الشريف . وجعـل جميـع اليـدّان(١) من أهـل مكـة فى حدهـم أربـع فازات ؛ أهل المعلاة بالمدعى ، والجزارون عنـد الـدرب الجديـد تحت المدعى ، وأهل سوق الليل عند الخياطين ، وأهل المسفلـة عنـد رأس أجياد الكبير ، وتبعهم أهل السويقة فجعلوا خامسة بالسويقة ، وزيـن كل منهم فازته بأنواع من الحرير والبرصاويـات(٢) وغيرهما ، وكـذا فعـل

---

(١) اليدّان : كذا فى الأصل ، ويفهـم من السيـاق أن اللفـظ يعنـى الطوائـف أو الجماعات ، ولعله جمع يَدِىّ لمن ينسب إلى الصنعة باليد أو إلى القـوة والغنـى والعطـاء . وانظر تاج العروس (ى د ى) .

(٢) البرصاويـات : الأقـمشة والمنسوجـات والبسط المصنوعـة فى برصا ، وهـى مدينة كبيرة من بلاد الروم ، وهـى قصر مملكـة آل عثمان جق (النجـوم الزاهـرة ٣٢:١٣ هامش ، وصبح الأعشى ٣٤٣:٥) .

العطارون وأهل المسعى .

وفى يوم الخميس سادس رجب وصل الشريف إلى عُسْفان فوجد بها أخاه الشريف رميثة فأضافه هناك(١) ، ثم وصل الوادى ليلة الأحد ثامن الشهر ؛ فسلم عليه الأمراء الثلاثة ليلاً ، وعادوا فى ليلتهم إلى مكة(١) . وفى النهار أضافه أخوه الشريف حميضة(١) . وفى آخر النهار برز لملاقاة ولِده السيد أبى نُمَىّ وقاضى القضاة الشافعى صلاح الدين بن ظهيرة ، فوصل إلى المعلاة قبل المغرب فزار / والده ، وصلى المغرب هناك(٢) ، وركب راحلته ، وسار معه ولدُه ٢٧٩و وقاضيا القضاة الشافعى والحنبلى ، وأقاربهما والمماليك والعسكر ، والناس والعوام مُحْدِقُونَ بالشريف من كل مكان ، وداعون له بكل حنان ، وماسكون بزمام ناقته ، وأُوْقِدَ له الفازات الأربعة فى الشوارع وجميع المسعى ، ومحل العطارين ، وكثير من البيوت . وكان إذا مَرَّ بفازة وقف عندها وقرأ الفاتحة وانصرف ، وأُسْرِجَ له شمعُ الحرم كله ، وأخرج له به إلى عقد العطارين الذى بالمسعى ، وكذا علما الخطيب . ونزل هو ومن معه هناك ، ولاقاه الفقهاء من باب السلام ، ودخلوا أمامه ، وهو محرم ، فى أُبَّهة عظيمة ، وشيبة منيرة ، وطلعة سنيّة كريمة ، إلى أن وصل الطواف . فَطَوَّفه قاضى القضاة الشافعى ، ودعا له الرئيس فخر الدين أبو بكر فوق ظلّة

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٢٧و .

(٢) أى بمقابر المعلاة .

زمزم ، والناس يضجون بالدعاء له ـــ كما تقدم ـــ وأظهروا من الفرح والسرور والمحبة والحبور ما لا يعبر عنه اللسان ، ولا يحصره قلم ولا بنان ، وأنشد فيه لسان الحال قول من قال :

يَا سَيِّداً مُذْ وَفَى وَافَى الهَنَاءُ إِلَى
جَمْعِ الخَلَائِقِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ

وقول الآخر :

هَذَا الذِى بَجَحَ[1] الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ
وَتَزَيَّنَتْ بِقُدُومِهِ الأَكْوَانُ

وصدق فيه قولُ جَدِّه المصطفى عن رَبِّه جلّ وعلا ، فى حديث المحبة الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة صاحب كل طُرْفَة ونُخْبة : إن الله عزّ وجلّ إذا أَحَبَّ عَبْداً نادى جِبْرِيلَ : إنَّ الله قد أحبَّ فلاناً فأَحِبَّه ، فيُحِبّه جبريلُ ، ثم ينادى جبريلُ فى السماء : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أحبَّ فلاناً فأَحِبُّوه . فيحبه أهلُ السماءِ ، ويُوْضَع لَهُ القَبُولُ فى أهلِ الأرض[2] .

ولما فرغ الشريف من الطواف صلَّى خلف مقام الخليل ركعتى الطواف ، وتوجّه إلى باب الصفا ومعه الجماعة ، وسعى وهو

---

(١) بجح : يقال بجح أى فرح وافتخر (المعجم الوسيط) .

(٢) البخارى ، فى بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٦:٣٠٣ برقم ٣٢٠٩ ، وفى كتاب الأدب ، باب المقة من الله تعالى ١٠:٤٦١ برقم ٦٠٤٠ .

راكب ، والقاضى الشافعى يُسَعِّيه وهو راكب معه ، وأمامه بعضُ الفوانيس والمشاعِل ، والناس جَنْبَتَانِ فى المَسْعَى . ولما فرغ من السَّعْى توجّه إلى بيته ومعه الخلق . وبات به إلى الصباح ، ثم عاد إلى الزاهر ، وتبعه ولدُه والعسكرُ والأمراء ، فاختلع فيه خلعةً تَمُرْبُغَاوِيَّةً[1] خضراء بجَرٍّ ذَهَب فى أكمامها ، لم يلبسها أحدٌ من أمراء مكة قبله ، وهى مَلْبُوس خمسةٍ من الأمراء : نائب الشام ، وأمير كبير ، وأمير مجلس ، وأمير آخور ، والدوادار الكبير . ولبس ولداه أبو نُمَىّ خِلْعَتَه العَادَة ، وثقبة خلعةً على قَدِّه ، والقاضيان الشافعى والحنبلى ، وعلى ثانيهما طَرْحَةٌ لكونه تولّى قضاء المدينة مع ما كان معه من قضاء مكة ، والثلاثة الأمراء : نائب جُدَّة الحُسَامِى حُسَين ، وباش المماليك بمكة / ، والمحتسب بها ، والقاضى زين الدين المحتسب ٢٧٩ظ
الناظر بجُدَّة ، ودخلوا مكة جميعهم من باب المعلاة ، ومعهم العسكر والترك وعرب الحجاز وغيرهم من عُرَيْبِ الدار وأهلِ جُدَّة والتجار والحُبُوش بستورهم . والنقارة ، والسنجق السلطانى خلفه ،

(١) أى على شاكلة ما كان يلبسه الأمير تمربغا الظاهرى أبو سعيد الرومى الظاهرى جقمق ، فإنه كان له تجمل زائد فى ملبسه ومركبه ومأكله ومشربه ، وله فى ذلك اختراعات تنسب إليه ، وعلى ذهنه الكثير من الصنائع ، كعمل القوس والسهام ، ويعرف رمى النشاب معرفة تامة ، وإليه انتهت الرياسة فيه وفى غيره من أنواع الفروسية والملاعيب ، توفى فى ذى الحجة سنة ٨٧٩هـ (الضوء اللامع ٣: ٤٠ برقم ١٦٧) . وانظر بعض ما ينسب إليه فى النجوم الزاهرة جـ ١٥ ، ١٦ .

والطبلُ السلطانى الذى جاء به معه أمامه خلف محفته ، وشقادف سَرَارِيه اللائى[1] توجّه بهن إلى مصر ، وخرج لرؤيته جميعُ الناس حتى النساء المُخَدَّرات فى البيوت ، ولم يُرَ مثلُ هذه العَرْضَةِ مِنْ كَثْرَة الخلق وسرورهم بها .

ولما وصل الشريف المسعى دخل المسجدَ من باب السلام ، ومعه القضاةُ والأمراءُ ، وجلسوا بالحطيم ، وقرئ فيه ثمانية مراسيم : اثنان للشريفين السيد بركات وولده أبى نُمَىّ ، والستة الباقية لمن خُلِعَ عليه ، خلا القاضى زين الدين المحتسب فلم يُقْرَأ مرسومُهُ وأُعْطِيَ له فى المجلس ، مع مرسوم آخر أُعْطِيَ للخاصِّكِىّ بُرْدْ بَك عجوز ، الذى شفع الشريفُ فيه عند السلطان ؛ فرضِيَ عنه ، وأذِنَ له فى الرجوع إلى مصر . ولبس الجمالُ محمد بن راجح بن شُمَيْلَة الحفصى ، رأس المباشرين بجُدَّة خِلْعَةً بالحطيم ، وقُرِئ له مرسوم . وفى المراسيم الإخبار بما حصل للشريف من التعظيم والإجلال والاحترام من المقام الشريف مُجْمَلاً ، وفى مرسومه مُفَصَّلاً ، وفيه من البلاغة والمحاسن ما لم يذكر فى مرسوم أحدٍ من أسلافه .

(١) فى الأصل « الذين » .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « بياض فى الأم هكذا » وبقية اللوحة وتقدر بنصفها ، ظهرها بياض لا أثر فيه لكتابة ، ويلى ذلك لوحة بيضاء .

ولنذكره بِرُمَّتِهِ لِيُعْلَمَ منه ما حصل للسيد الشريف من الإنعام ١
والتشاريف[1] .

* * *

(١) لما كانت مخطوطة غاية المرام قد وقفت فى علاج ترجمة الشريف بركات بن محمد عند أخبار يوم لأحد تاسع رجب سنة ٩٢١هـ ، بعد عودته من مصر إلى الحجاز ولم يرد فيها ذكر مرسوم السلطان الذى أفاد المؤلف أنه سيذكره برمته . وكان كتاب بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى للمؤلف قد زاد فى تأريخه حتى يوم تخص الشريف بركات وحرصت على استخدام لغة المؤلف فى إيرادها وجعلت ذلك ملحقاً لغاية المرام .

ملحـــق

وبعد الفراغ من المراسيم توجّه الجميعُ مع السيد الشريف إلى باب أم هانئ ، فركب إلى بيته ، وفارقه الجميع ، وعاد الفقهاء مع قاضى القضاة الشافعى إلى الزيادة ، وجلسوا هناك .

وعمل الأمير حسين ضيافة عظيمة للسيد الشريف رميح ، وطبخ ذلك فى دار ، فحضر السماط القضاة والفقهاء والأمراء والرؤساء ، ومن أمكنه من العسكر ، وكان شيئاً كثيراً ، ويقال : إن مغرمه يجىء ألف دينار ، ويقال : إنها ثلاثمائة خروف ، منها خمسون شواء ، وستة قناطير سكر ، وقالوا : يعملون قنطارين أو ثلاثة فى أحواض ثلاثة ، منها شىء خاص فى دوارق مختصة بالشريف ، ومد ذلك فى بيت الشريف فى السباط .

وفى ثانى يوم عمل السيد أبو نُمَىّ سماطاً ، حضره المذكورون ، وبعده ألبس السيد الشريف الأميرَ حسين خلعته
٢٢٧ظ السلطانية ،/ وقدم له فرساً ركبها ، وأصلح الشريف بين الأمير حسين ، ومحمد بن راجح ، وتوجه الأمير حسين إلى سكنه بالمدرسة الأشرفية ، ومعه الأميران الباش والمحتسب ، وأخلع عليهما السيد الشريف أيضاً ، والجمال محمد بن راجح ، وخلع الأمير حسين عليه ، وعاد راكباً .

وكان الأمير حسين فى الصباح دخل له القاضى زين الدين المحتسب وناظر جدة ، فخلع عليه خلعته التى وصلت له من مصر ، ولبسها بالأمس وتوجه لبيته ومعه دويدار الأمير حسين ، فلما وصل بيته لبس الدويدار الخلعة ، وعاد للسكن .

وفى صبح يوم الأربعاء حادى عشرى الشهر [شهر رجب] كانت ضيافة الشريفة أم الكامل زوجة الشريف زين الدين بركات ؛ فعملت سماطاً — أظنه بالمكان الأول — حضره الشريف والقضاة والفقهاء والأمراء والأعيان .

وفى يوم الخميس ثانيه كانت ضيافة قاضى القضاة الشافعى الصلاحى بن ظهيرة للسيد الشريف ؛ حُملت الأطعمة فى يومها وقُدُورُهَا لبيت الشريف فى الطبالى .

وأضافه بعض إخوانه — لعلهم وغيرهم — بدقيق وغنم ، وعمل بعضهم مع ذلك معمولاً .

وبعد أيام فرّق السيد الشريف هديته للأمير حسين والباش والمحتسب ، وجميع إخوانه وأولاد هزَّاع وجازان ، وقاضى القضاة الشافعى وعياله . وبعد ذلك مبارك بن بدر ، وأحمد بن حسن ، وقيل لهما : إن ذلك هدية أبى نُمَىّ .

ومدحه الشعراء بقصائد كثيرة ، يزيدون على خمسين ، وأثابهم على ذلك ، وأعلى ما سمعنا عشرة ، إلا الشهاب بن العليف

فزيد ثوباً بعلبكياً ، وغرارة حَبّ حجازى ، ولعل الرئيس[(١)] مثلْه ؛ فإنه أخرجَ ثوبه فى الدلال فوُجِدَ [به] عوار .

وفى يوم الخميس رابع شعبان [سنة إحدى وعشرين وتسعمائة] سمع السيد بركات بن محمد أن بلاده المَدَرَة بالدكناء جاءها سيل طالبٌ ملأها — وهو بها — فتوجه إليها ليرى الماء فيها على أنه يعود لمكة ، فطرأ له أنه توجّه إلى البرود — بالقرب من حُنَين — ونزل هناك وأرسل لأهله ، فتوجهوا له فى يوم السبت سادس الشهر .

وفى مغرب ليلة الاثنين خامس عشر الشهر وصل مكة السيد الشريف زين الدين بركات بن محمد بن بركات مُحْرِماً بعُمْرة ، وجاء معه عياله : السيدة أم الكامل وبعض جماعته ، وجلس بمكة إلى ظهر يومه ، وعاد إلى محله بالبَرُودِ الذى جاء منه .

وفى يوم الجمعة سادس عشرى الشهر وصل الخبرُ من جُدَّة
أن ثلاثة أغربة / وصلت جُدَّة من العسكر ، وأخبروا أن وراءهم ٢٢٨و
مركب رابع ، وقالوا إن بقيَّة المراكب ما تدخل جُدَّة وأنها بالطور تستقى ، وتمر فى الباحة إلى كمران ، وأن أميرهم باش العسكر سلمان الرومى ، توجَّه من ينبع لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم ، ونشر عند

(١) المراد فخر الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبى الخير ، الحنبلى المكى ، ويعرف بابن أبى الخير . وقد سبق ترجمته .

وجه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأعلام . والله يسلمهم ويوجِّه وجْههم ، وينصرهم على أعداء الدين ، ويردهم سالمين غانمين .

وفى هذا الشهر زادت الأسعار جداً فى الحبوب وغيرها .

وفى ليلة السبت خامس شهر رمضان توجَّهْتُ ولَدِى جارُ الله إلى السيد الشريف بركات بن محمد ــ نصره الله تعالى ــ وهو بالبَرُود بالقرب من عين حُنَيْن ، بسبب منازعة جارنا جلال الدين القرشي الذى صار إليه بيتُ عبد الغنى القبانى بجوارنا ، ونازعنى فى ظلة لنا أمام البيت وجدار من جدرانها ابتنيته على القاضى الشافعى صلاح الدين بن ظهيرة ــ وبيننا وبينه الله تعالى ــ وكان هو تقدمنا إلى الشريف ، وخيَّرنا الشريف فى ثلاثة أشياء : الصلح ، والمحاكمة عند القضاة ، والصبر حتى يجيء لمكة ، ويعقد لنا عقد مجلس بالقضاة والفقهاء . فاخترت هذا ، ثم قال لنا بعد انفصالنا عن الشريف : أنا أرضى بما يقول ولدى جار الله ، وقال للسيد الشريف اصطلحنا ، ثم عدنا لمكة ، وأشاع هذا أيضاً ــ والله يقدر لنا وله ما فيه الخير ، ويردع الظالم ولا يمهله ــ وعدنا جميعاً من عند الشريف فى الليلة الثانية ، بعد أن أكرمنا ــ جزاه الله خيراً ــ وتزايد الغلاء فى هذا الشهر . والناس تحت لطف الله .

وجاءت قافلة من حَلْى ، وفيها الشيخ أبو القاسم بن الشيخ عمر بن علي الغمارى الطواشي ، والأمير قَيْس بن محمد بن دُرَيْب صاحب حَلْى بسببية الصلح مع الشريف بركات بن محمد ؛ فأمر

الشريف بإكرامهما واحترامهما ، وجعل لقيس خلعة بِحِيَاصَة ، وجلسا بمكة يومين أو ثلاثة ، وأمر الشريف لتُرْكِهِ فتوجَّهُوا إليه ، وكان يقصد عَرْضَةً لهما . ثم توجّه الشيخ وقَيْس إلى السيد الشريف يوم الاثنين رابع عشر الشهر — أو اليوم الذى يليه — .

وفى يوم الأربعاء سادس عشر الشهر — أو الذى يليه — وصل جُدَّة مراكب التجريدة ، وكبير العسكر سَلْمَان الرومى . وفى يوم الخميس عرض لها الأمير حسين ، وخلع على جماعة كثيرين منها — يقال — مائة وعشرون خلعة . وطلب يخلع على سَلْمَان فامتنع ، وقال : أنا عَلَيَّ خلعة السلطان . ويقال : إن العسكر ثلاثة آلاف ، وجميع المراكب تسعة عشر قطعة منها برشيات[1] والباقى أغربة ، وغرقت برشية كبيرة ، يقال : فيها جملة من العدة .

وفى ليلة الأحد عشرى الشهر وصل بعض مماليك للأمير حسين ، وقبضوا على التقىّ العِزّى ، وولدَى القاضى ابن الرومى ؛ ليتوجَّهُوا بهم إلى الجزيرة . فتوجّه محمد دويدار القاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان ؛ يشفع فى خلاصهم ، فأرسل الشريف وَرَقَةً إلى المحتسب أن يُطْلَقُوا ، وضمانهم عليَّ . فأُطْلِقُوا آخر يومهم .

(١) البرشيات : جمع برشية : نوع من السفن ملون بألوان مختلفة أو به نقط حمراء ، وأخرى سوداء أو غير ذلك . وانظر مادة برش فى القاموس المحيط ، وتاج العروس ، واستنتاج محقق الفضل المزيد على بغية المستفيد ٢٠٧ .

وفى مغرب ليلة الجمعة وصلَ مكةَ الشريفُ أبو نُمَىّ ابن السيد بركات . وفى يوم السبت سادس عشرى الشهر وصل السيد بركات ، ومعه القاضى الشافعى الصلاحى بن ظهيرة ؛ فإنه سمع أن الأمير حسين يسافر هو ومراكب الغَزْوِ يوم الأحد ، واجتمعا بالأمير حسين وسَلْمَان ، وسفَّرَ الأمير حسينٌ القاضىَ زين الدين ناظر جُدَّة والمحتسب بها بعد أن أهانه ـــ يقال ـــ بالضرب والقيد والزنجير غير مرَّة ـــ يقال ـــ واستأصل ماله وتعلُّقَه .

وأَهَلَّ شوال ليلة الخميس ، / ولم يطلع ليلة الأربعاء أحدٌ الجبلَ إلا الشهود ، وعيَّد بجُدَّة قاضى القضاة الشافعى الصلاحى بن ظهيرة ، والأمير حسين ، وسَلْمَان ، وخطب القاضى خُطْبَةَ العيدِ ، وأعْجَبَ الأميرَ حسيناً ذلك ، ويقال : إنه أنعم عليه وعلى أهله . ولم يظهر لذلك أثر . ٢٢٨ظ

وعَيَّدَ الشريف زين الدين بركات قرب جُدَّة .

وركب الأمير حسين وسَلْمَانُ ثانى يوم الجمعة ، وبرزوا ، وسافروا يوم السبت . وسافر القاضى الشافعى إلى مكة يوم الجمعة ، وسافر الشريف بركات يوم الأحد ـــ أو السبت ـــ إلى طرف البرقاء لأجل المرعى ، وأرسل لأهله وهم بمكة ، وتوجهوا إليه ، وأرسل لمكة الشريف عراراً بمالٍ لأجل صاحب حَلْى وشيخها . وسمعنا أنه أعطى الأمير مائتى دينار ، وعَشْرَ قطع ثياب جُوخ ، وصوف وغير ذلك . والشيخَ المقدمَ أبا قاسم بن الغمارى عمر بن على بن عبد الله ،

الطواشى خمسين ديناراً ، ولأخيه الكبير عشرة أشرفيـة ، ولبقيّـة جماعـة الأمير خمسة خمسة أشرفية ، ولأربعـة أنـفس من القِـرَب عشرة عشرة . ويقـال : إن الشريـف طلب منهم ــ يعنـى القِـرَب ــ الخيـلَ والدروعَ ؛ فما وافقوا على ذلك .

وفى يوم الاثـنين خامس عشرى ذى القعـدة شُمِّـرَت ثيـاب الكعبة ، ويقال له : إحرام الكعبة .

وفى هذا اليـوم وصل السبـق : جماعـةٌ من التُّـرك ، وفى هذا اليوم أو ثانيه وصل السيدُ الشريفُ صاحب مكة والحجاز زينُ الدين بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجـلان إلى مكـة ، ووصل لمكة بعض الحجاج .

وفى ليلـة الأربعـاء سابـع عشرى الشهـر وصل لمكـة ، وطـاف وسعى الأمراءُ الثلاثة : أمير أوَّل سيدى ابـن السلطـان المؤيـد ، أحمد ابن السلطان المؤيد شيخ[1] ، والباش بِيبَـرْدِى[2] التركـى ، والمحتسب

(١) كذا فى بلوغ القـرى ، ويوافقـه ما جاء فى درر الفرائـد المنظمـة ٣٦٠ ، وفى بدائع الزهور ٤٨١:٤ « وأمير الركب الأول المقر العـلائى على ابـن الملك المؤيـد أحمد ابـن الملك الأشرف إينـال » . وهـو الصواب ؛ لأن أحمد بن المؤيـد شيـخ توفى سنـة ٨٣٣هـ وسنه أحد عشر عاماً (الضوء اللامع ٣١٣:١) .

(٢) هو الأمير بيبردى من كسباى ، قرره السلطـان باشا للمجاوريـن التـرك بمكـة عوضاً عن جانى بك قرا الـذى كان بها فى السنـة الخاليـة (بدائـع الزهـور ٤٥٥:٤ ، ٤٨١) .

قَرَاقوز[١] الأشرفى الرومى . وفى صبيحتها خرج للقائهم السيد الشريف زين الدين بركات بن محمد بن بركات إلى الزاهر ، وخلع أميرُ أوَّل عليه وعلى ولده السيد أبى نُمَىّ ، وعلى قاضى القضاة الشافعى ، وعلى الباش الجَدِيد ، والمُحْتَسِب الجديد ، والشريف عرار . ودخلوا مكة إلى أن وَصَّلُوا أميرَ أوّل بيته ، ثم السيد الشريف .

وفى ليلة الخميس ثامن عشرى الشهر وصل إلى مكة أمير الحاج المصرى الأمير الدوادار عَلَّان الأشرفى قانصوه ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر . وفى صبيحتها خرج للقائه السيدُ الشريفُ زين الدين بركات ، والسيد أبو نُمَىّ ، وقاضى القضاة الشافعى ، وقاضى القضاة الحنفى الجديد بديع الزَّمَان[٢] ، والباش الجديد ، والمحتسب الجديد ، فخلع عليهم كلهم . والرابع لبس خلعة الولاية والطرحة عليه . واستمروا إلى أن أوصلوا الأمير لمحل سكنه بالمدرسة الأشرفية ، ثم الشريفَ لبيته ، وعاد الباقون إلى بيوتهم .

وأهَلَّ ذو الحجة ليلة الأحد ، وفى صبيحتها اجتمع السيد الشريف زين الدين بركات وولده [السيد أبو نُمَىّ] وقاضى القضاة

(١) وفى المرجع السابق « قراقز الجكمى ، وقرره السلطان فى نظر الحسبة الشريفة بمكة » .

(٢) هو بديع الزمان ابن قاضى القضاة النور على بن أبى الليث بن الضياء الحنفى (بلوغ القرى لوحة ٢٢٩ظ) .

الشافعى الصلاحى بن ظهيرة ، وقاضى القضاة الحنفى الجمالى بديعُ الزمان بن الضياء الحنفى عند أمير الحاج المصرى الداودار الثانى عَلَّان الأشرفى بالمدرسة الأشرفية ، وقرئت المراسيم ، وفيها مرسوم الحنفى بالولاية عن النسيمى عبد الغنى المرشدى ــ أعانه الله وسَدَّدَه ــ وألبسهم الأمير خِلَعاً ، ومشى الفقهاء أمام القاضى الشافعى ، ثم فارقه الحنفىُّ من محل جلوسه بالمسجد ، فمَشَى معه / كثيرٌ [من](١) الناس إلى بيته . وجاء إليهما دُوَيْدَار الأميرِ ٢٣٠و
وبعضُ جماعته فأرضاه الشافعىُّ بأربعة أشرفية بعد تعب ، وما أعطاه الحنفىُّ إلَّا ديناراً ، فما رَضِىَ يأخذه ، ثم تركه يوماً والعبدُ وراءه حاملاً سجادته ، فمسك العبد حتى أرضاه بأربعة دنانير ــ وكان ردَّ الخلعة لهم ــ ثم فى آخر الموسم طلبه الأميرُ(٢) وطلبَ منه حقَّ لبس الخلعة ، ورسمَ عليه حتى أعطاه ثمانين ديناراً وأزيد من عشرة دنانير لجماعته . وطلبَ الشافعىَّ ورسمَ عليه ، وطلب منه جَزَاءَ هذا . ثم تعَلَّل عليه بأنه كان بمصر ، وأنه أعْطَى للسلطان عشرة آلاف دينار وعادته على كل ألف خمسون ، بعد أن طَلَب أكثَرَ من ذلك ؛ فاجتمع الشريفُ السيدُ بركات بالأمير عَلَّان وأصلح قضيَّته بخمسمائة دينار ، وأعطاها للقاضى من عنده بمنى ، ولما وقع الاتفاق أطلق القاضى ، وحَجَّ مع أهله ، ثم أعطى أربعمائة دينار للأمير ،

(١) إضافة على بلوغ القرى .
(٢) أى أمير الحاج المصرى الدوادار علَّان الأشرفى .

فتشَوَّشَ الأميرُ لِتَـرْكِ المائـة ، وطَلَبَـه لِمِنَـى ورسمَ عليـه ، وقـال : ما يأخذ منه إلا أربعمائة دينـار ، ومائـة تكملـة الخمسمائـة ، وثلاثمائـة مقابلة هديته . واستمر عنـده إلى أن وصلَ لمكـة وسَافَـرَ به معـه إلى الـوادى ، وسافـر الحاجُّ [ومعـه] أخوا القـاضى : بدرُ الديـن ، وتاجُ الدين ، وابنُ عمه جلال الدين الخطيب ، وابنُ أخيه يحيـى بن العرفـاء ، والفُضَيْـل بن عبـد البـاسط ، ومحمـد بن أبى الــفضل بن العفيف ، والمحيوىُّ عبد القادر ابن القاضى أبى السعـادات المالكـي ، ووَلَـدِى محمـدٌ جارُ الله ــ كتب الله سلامتهم ، وقضى حوائجهـم ، ورَدَّهم بعد قضاء أوطارهم سالمين غانمين ، بجاه سيد المرسلين ــ .

وفى يوم الجمعة ثالث عشر[1] الشهر توجـه السيـد الشريـف بركات بن محمد إلى جهة جُدَّة ، ونزل بالقـرب منها إلى جهـة اليمن ، وتبعه الفريق .

وفى يوم السبت حادى عشرى الشهـر سافـر الأمير الشامــى وحاجُّهُ إلى المدينة الشريفة .

وأهلَّ المحرم ليلة الثلاثاء مُفْتتح سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، أهلها الله علينا باليمن والبركة والسلامة .

وفى يوم السبت تاسع عشرة جَارَ نائبُ المحتسب زيـن الديـن المصرى ، الذى كان زوج أم كمال بنت أبى البركات بن أبى البقاء بن

---

(١) فى بلوغ القرى « ثالث عشرى » ولا يستقيم ، والصواب ما أثبته .

الضياء الحنفى ؛ فإن الأمير المحتسب قراقوز أَلْبَسَهُ خلعةً ، وزَفَّه على فَرَسٍ . فتكلَّمَ فى السُّوقِ على السُّوقَــةِ ، وعَايَــرَ عليهم المَوَازِيــنَ والمكاييـلَ ، وجـارَ عليهم ؛ فتـأذّوا منـه وصبروا حتـى زاد طَمَعُــه ، واحترس ببعض المصريين ، فأُشْلِىَ عليه عنـد البـاش ؛ فأحضر إليـه القاضيين الحنفىَّ والمالكىَّ ، وحضرَ المشتكـون ، فضُبِـطَ ما بَلَصَه[1] فبلغ مائـتين وخمسين دينـاراً . وأرسل البـاشُ للمحـتسب ليُـحْضِرَه ؛ فخـاف عليـه ، واجتمـع النـاسُ من الغَوْغَـاء بالمسجــد والشارع ، وصاروا يدعون للباش ويقولون : باطلٌ ما يَحِلُّ . وتكرر الـرسل بينهم حتى أرسله ، وحبس عند الباش ــ ظناً ــ .

ثم فى ثانى يوم اجتمع القاضيان والمحتسب وزين [الديـن][2]
٢٣٠ظ عند الباش بعد أن كاتب الباش / السيـد الشريـف بركات ، وجعـل المحتسب نائبـاً غيره ــ وهـو عنـد البـاش ــ وألبسه خلعــة وزُفّ بمكة ، وانفضَّ المجلسُ على أن يكـون زيـن [الديـن] عنـد المحتسب حتـى يجىء جواب السيـد الشريـف . فيقـال : جاء : بأنــه يُرْسَلُ إليه .

ثم فى يوم الثلاثاء جاء القائـد مُبَـارك بن بَدْرٍ هَجِين من عنـد

(١) ما بَلَصَه : أى ما أخـذه ظلمـاً أو بدون وجـه مشروع أو طلبـه فى الخفـاء . وانظر هامش النجوم الزاهرة ١٣ : ٩٥ ، ١٤ : ٤١ .

(٢) إضافة على بلوغ القرى .

الشريف ، وأخذ زين الدين عِنْدَه ، ووضعه فى الحَبْسِ .

وأهلَّ صفر ليلة الخميس أو الأربعاء . وفى هذا الشهر أرسل الأمير حسين إلى جدة مركبين أو جلبتين ، وفيهما قماش وغيره ليرسل إلى مصر ، وحَبٌّ مصرى بيع بجُدَّة ومكة ، ومعهما عسكر ، وكاتبه محمد بن قانصوه ، ويقال : إن هذا جاء جُدَّة بَرًّا ، فوجع بمكة ، ثم جاء خاصكى من عند حسين وبعض تُرْك وقبضوا عليه بمكة نهاراً ، وذهبوا به إلى جُدَّة ليتوجهوا به إلى حُسَين ؛ فإنه وصل الخبرُ من جُدَّة من جماعته أن ابن قَانْصُوَه كتب إلى محمد بن راجح على لسان الأمير حُسَين : أن تكون أنت وجماعتى شيئاً واحداً ، فَتَشَوَّشَ لذلك وأرسل أخذه . فأما ابن راجح فإنه اطَّلع على ذلك ، وأُطْلَعَ السيدَ بركات على ذلك ، فناداه ؛ فَحَلَفَ بالطلاق — فيما يقال — أنه معزول ، وأنه ما يسكن لا جُدَّة ولا مَكَّة ، فجلس فى الفريق مدة ، ثم توجّه إلى المدينة الشريفة ، وتوجهت قافلة من مكة لأجل الصحبة .

وأَهَلَّ ربيع الأول ليلة الجمعة .
فاللهم ببركة من ولد فيه أن تعافينى وتشفينى .

وفى يوم الاثنين حادى عشر الشهر وصل السيد الشريف زين الدين بركات بن محمد بن بركات ، وولده الشريف أبو نُمَىّ وعياله وبعض إخوته — أو كلهم — وبعضُ العسكر بعد أن عُوتِبَ من جهة القاضى الشافعى أن القاضيين الحنفى والمالكى قالا : ما

يمشون فى زَفَّة المَوْلد إن لم يحضروا ، فلما حضروا وصُلِّىَ المغرب بالمسجد توجَّه إليه جماعة القاضى الشافعى ؛ فأرسل معهم ولدَه أبا نُمَىّ فمشى ومشى معه القاضيان والأميران والمحتسب: الباش على يمين الشريف ، والحنفى على شماله ، والمحتسب إلى جانبه ، والمالكى أمامه . وحصل مطر بعد صلاة المغرب ، وتوجهوا ــ والمطر مستمر ــ ثم سكت فى عودهم ، وعملوا الحلاوة على العادة ، وفرقوها ، وعمل المولد فى الصبح ببيت القاضى ، وحضر مَنْ مَشَى فى زفَّة الصبح وجماعته[(١)] .

وفى عشرى الشهر وصلت قافلة من المدينة الشريفة ، وفيها جماعة من المدنيين وغيرهم من الغرباء .

وأهلَّ ربيع الثانى ليلة الأحد .

وفى يوم السبت سابعه والذي يليه سافَرَتْ قافلةُ المدينة

(١) ومثل هذا الاحتفال من البدع التى سادت المجتمع فى ذلك العصر ، وليس لها سند من الدين ولا تقبل شرعاً .

وقد ورد فى هامش اللوحة أمام هذا الخبر « فى العشرين من هذا الشهر كان بروز [السلطان] قانصوه الغورى مع أمرائه وموكبه من مصر لمقابلة السلطان سليم خان ، وكان بروزاً لم يرجع بعده إلى مصر ، وبرز فى موكب عظيم ، وهو أربعة وعشرون أميراً ، كل أمير معه ألف مقاتل ، يقال لهم المقدمون ، وبرزوا بأموالهم وخزائنهم ، فذهب شذر مذر » .

وانظر فى خروج السلطان قانصوه الغورى من مصر إلى الشام لمقابلة السلطان سليم وما جرى بعد ذلك فى بدائع الزهور ٣٨:٥ ــ ٧١ ، والإعلام بأعلام بيت الله الحرام ٢٧٧ ــ ٢٨٣ .

الشريفة ، وفيها جماعةٌ من الأصحاب ، منهم : الشيخ كمال الدين ابن أبى البركات ابن الشيخ شهاب الدين الحرفوش ، والإمام أبو اليمن ابن الإمام أبى السعادات الطبرى ، ومحيى الدين عبد القادر بن حسين بن عبد الرحمن العراقى ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار المصرى ، والشهاب أحمد التركى المدنى بزوجته لطيفة بنت
القاضى غياث الدين أبى / الليث بن الضياء الحنفى . ٢٣١و

وأهلَّ جمادى الأولى ليلة الثلاثاء . وفى يوم الجمعة رابعه وصل مكة قافلة المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام[1] .

* * *

(١) وقد ذكر ناسخ بلوغ القرى بعد ذلك « آخر ما وجد من كتاب بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، وهو بخط مؤلفه « وبعد الظهر يوم الجمعة ثامن عشر جماد الأول المذكور ، عام تاريخه توفى المؤلف رحمه الله تعالى ، وجهز فى يومه ، وصلى عليه ابن عمته الخطيب محب الدين النويرى ، بعد عصر تاريخه بساعات ، ودفن قبل المغرب على قبر أبيه وجده بشعب النور بالمعلاة ، فلحق فضل يوم الجمعة ـــ برد الله مضجعه ورحمه وإيانا وجميع المسلمين ـــ وصلى على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وشرف وكرم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهو بالآمال كفيل . وكان الفراغ من نسخه عصر يوم الخميس عشر جماد الأول عام ألف ومائة وتسعة وعشرين » .

فهارس الكتاب

فهرس موضوعات الجزء الثالث

فهرس الأعلام

الألف

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الراء

الزاى

السين

الصاد

الضاد

الطاء

الظاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

فهـــرس
الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط والطوائف والجماعات

الباء

الراء

الزاي

السين

الشين

الكاف

الميم

فهـــــرس
البلاد والأماكن والجبال والأنهار وغير ذلك

الهمزة

الباء

التاء

الحاء

الخاء

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

فهـــرس
الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الوظائف والرتب والألقاب وأسماء الآلات والأشياء

التاء

الخاء

الذال

الراء

الزاي

الشين

الصاد

الغين

الفاء

الكاف

اللام

الميم

النون

الودائع : جـ١ ٣٩٠ ، ٤٨٩ . جـ٢ ٥٨٩ .

الياء

فهرس أشعار الجزء الأول

القافية	الشطر	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
الوَاجِدِ	زار الحجيجَ عصابةٌ قد خَالَفُوا	الكامل	لم يذكر	٢	٢٨٩
بالعَدِّ	هو البطلُ الضرغام والمُعْضِل الذي	الطويل	لم يذكر	٣	٩
قِدِ	فقُل للذي يَبْغي خلافَ الذي مَضَى	الطويل	لم يذكر	١	٣٤٥
وخَالِدِ	وَهَبْتُ نصيبي منك يامرؤُ كلَّهُ	الطويل	عبدالرحمن بن الحكم	٢	٨٨
بخالِدِ	ألَا قبَّحَ الرحمنُ ظَهرَ مطيَّةٍ	الطويل	الفرزدق	٣	٢٠٩
صِنْدِيَدِ	فأنتَ مِن هاشمٍ في بيتِ مَكرُمة	البسيط	ابراهيم بن علي بن هرمة	٤	٣٢٠ـ٣٢١
يَزِيدِ	رحم صِغَارَ بَني يزيد إنهم	الكامل	حسن بن معاوية	٤	٣٢٢
سعيدهَا	بَكَرتْ مِظَلَّته عليه فلم تُرَح	الكامل	علي بن محمد بن علي الصليحي	٣	٥٠٨
	(الراء)				
وبالكِبَرِ	عَصَيْتُ هَوىَ نفسي صغيراً فَعِنْدَمَا	الطويل	يوسف بن محمد بن عمر (فخرالدين الجويني)	٢	٦١٥
عُمَرْ	قد كَبَا الدهرُ بجدِّى فَعَثَرْ	الرمل	ابن ما فنّه	٢	٢٧٨
إفتِخَارَا	أَيُّها الشامِتُ المُعَيِّر بالشيْبِ	المديد	غناه حنين المُغني	٢	٢٠٨
الفِرارَا	لَعَمْرِكِ والأمورُ لها دَوَاعٍ	الوافر	عبدالرحمن بن الحكم	١	٧٧
أقمَارَا	قومٌ إذا خَاضُوا العَجاجَ حَسِبْتَهُم	الكامل	قاسم بن أبو هاشم أمير مكة	٤	١/٩٩
الثرى	سِبطُ الرسولِ ونجلُ فاطمة التي	الرجز	لم يذكر	١	١١
يصدُرَا	مَلِكٌ إذا ازدحم الملوكُ بِمَوْرِدٍ	الكامل	لم يذكر	١	٤
عسكرَا	وله البَنُون بكلِّ أرضٍ . منهُمُ	الكامل	ابن عنين أبوالمحاسن محمد بن نصرالدين	٦	٦١٢
تَنَوَّرا	فلما أتانا الخيرُ يبرُقُ وَجْهُهُ	الطويل	إبراهيم بن علي بن هرمة	١١	٣٣٦
فتخيَّرا	كأن بني حوَّاء صفُّوا أمامه	الطويل	داود بن سلم	٥	٣٣٦ـ٣٣٧
نثارُ	أنْكَحْتُ بِيضَ الهِنْدِ سُمْرَ رِمَاحِهِم	الكامل	علي بن محمد بن علي الصليحي	٢	٥٠٨
القطْرُ	لمن الديار رُسُومُها قَفْرُ	الكامل	الحارث بن خالد	١	١٢٩
تعمُرُ	أَوْحَشَتِ الجُماءُ مِنْ جَعْفَرٍ	السريع	ابن المولى محمد بن عبدالله بن مسلم	٥	٣٣٧
الزُّهرُ	إن تُمْسِ رَمْساً بالرُّصافَةِ ثاويا	الرجز	أبو صخر الهذلي	٢	٢١٥
النارِ	لا تَرْثِينّ لِجَزْمِيّ رأيت به	البسيط	الأحوص الشاعر	٢	١٢٥
بالغَدْرِ	اعيْنَيّ جُودا بالدموعِ على عَمْرِو	الطويل	يحيى بن الحكم بن أبي العاص	٥	٢٢٤
الفخرِ	منيع الذُّرى عَالي الذُّرى مَعْدِنُ القِرَى	الطويل	لم يذكر	٥	٥

القافية	الشـــطر	البحر	القـــائل	عدد الأبيات	الصفحة
جَعْفرِ	لعمرُك مَا مَروانُ يقْضِي أُمورنا	الطويل	مالك بن الريب	٢	٨٨
الخَمْرِ	فَما جُلِدَ القسريُّ في أمر ريبةٍ	الطويل	أم الضحاك اليمانية	٣	٢٠٤
		(السين)			
الشكِسَا	عباسُ أشْكُو الفَلَسَا	الرجز	عبدالله بن سالم الخياط	٧	٣٥٩
فَلَسِي	إلى الأمير أشتكِي	الرجز	عبدالله بن سالم الخياط	٩	٣٥٩ــ٣٦٠
		(العين)			
وذاعَا	من صيته السامي الجميلُ ثناؤه	الكامل	لم يذكر	٤	٨
واشْفَقا	فُرِضَتْ عليَّ زكاةُ مامَلَكَتْ يَدي	الكامل	الحسن بن سهل السرخسي	٢	٤١٨
صنَعَا	أبلغ أبا الفضلِ يوماً إن عَرَضْتَ به	البسيط	سعيد بن سليمان المساحقى	٩	٣٦٠
يصنَعُ	فوالله ما أدري وإنّي لَسَائلٌ	الطويل	عبدالرحمن بن الحكم المرواني	٢	٨٧
جائعُ	ولاتحْسبَنّي يامُسافِرُ شحمةً	الطويل	لم يذكر	١	١١٥
أبيعُ	ولِي كفُّ ضرْغَام أصولُ ببطشِها	الطويل	أبوعزيز قتادة الحسني أمير مكة	٣	٥٧٣
سريعُ	أنــا لكَ يا ذَا سامِــعٌ وَمُطِيــعُ	الطويل	قتادة بن ادريس الحسني أمير مكة	٤	٥٦٤
مريعُ	قتادة من أضحى يفيض بنانه	الطويل	لم يذكر	٥	١٠
فيضيعُ	ومآأنا إلاّ المسك في كل بقعة	الطويل	قتادة بن إدريس الحسني	١	٥٧٣
		(الفــاء)			
عِجَافُ	عَمْروُ الذي هَشَمَ الثريدَ لقومِهِ	الكامل	لم يذكر	١	١٣
		(القاف)			
الآفاقَا	بركاته والعدلُ منه سَنَاهُمَا	الكامل	لم يذكر	٣	٦
الشفقُ	ياأُم عِمْرَان مَازَالتْ ومابَرِحتْ	البسيط	الحارث بن خالد	٣	١٢٩ــ١٣٠
الشفقُ	ياأُم عِمْرَان مَازَالتْ ومابَرِحتْ	البسيط	الحارث بن خالد	٣	١٣١
وشْرِقِ	لنساءِ بين الحُجُون إلى الحَثْمةِ	الخفيف	الحارث بن خالد	١	١٣١
دمشقِ	ساكناتِ العَقيْق أشهى إلى النفس	الخفيف	الحارث بن خالد	٢	١٣١
		(الكاف)			
وَبِكْ	اِقضِ عنّي يا ابن عمِّ المصطَفَى	الرمل	على بن عاصم العنْبَرى	٣	٣٣٠
جَفَاكِ	وصَلَتْني الهمومُ وَصْلَ هَوَاكِ	الخفيف	شكر بن أبي الفوح	٢	٤٩٨

القافية	الشطر	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
الحرمُ	هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ	البسيط	الفرزدق	١	٧١
الخطمُ	أقـوى مِنَ الِ ظليمـة الحزْمُ	الكامل	الحارث بن خالد	٢	١٣٣
مَذْمُومُ	أَبَعْدَ عَائِذِ بَيْتِ الله تَخْطُبِني	البسيط	زُجْلَة بنت مَنْظُور بن زَبَّان الفزاريّة	١	١٦١
نَعِيمُها	عَطَفْتُ عليك النفس حتى كأنَّما	الطويل	الحارث بن خالد	٢	١٢٩
الأنامِ	أيها المُعْرِضُ الذي قوْلُهُ إنْ	الخفيف	أبو عزيز قتادة الحسني أمير مكة	٤	٥٧٠
بالهامِ	حتّى تَبيد قبيلةٌ وقبيلَةٌ	الكامل	لم يذكر	١	٣٠٦
الحَرَمِ	أضْحَتْ مَكَارِمِ عيسى كعبةً ولَقَدْ	البسيط	الفخر بن سيف العراقي	٢	٥٣٠
بالغميمِ	بآرامٍ فُتِنْتُ بكُلِّ ريمٍ	الوافر	أبو عزيز قتادة الحسني أمير مكة	٢	٥٧٠
	(النون)				
سَنْ	حَسَنُ المليكُ المالكُ المولى الذى	الكامل	لم يذكر	٤	٧
الإحْسَانَا	من لم يزلْ يُولي المكارم والندى	الكامل	لم يذكر	١٠	٧ـ٨
أُمُهَنَّهْ	ياقثمَ الخيرِ جُزيتَ الجَنَّهْ	السريع	إعرابي من اليمامة	٣	٣٤٨
تُغْبَطِينَا	إِستَهِلِّي ياطَيْبَ من كُلِّ قطْرٍ	الخفيف	داود بن سَلْم	٦	٣٢٧
آمينَا	آميـنَ آميـنَ لا أرضي بواحدةٍ	البسيط	لم يذكر	١	٦
جُوَانُ	شَهيـدى جُوَانٌ على حُبِّهَـا	المتقارب	عمر بن أبي ربيعة	١	٣١١
قَمَنُ	من كان يسأَلُ عنا أين منزلُنا	الطويل	الحارث بن خالد	٣	١٣٠
تَهِينُها	سَلُوا خالداً لاقدَّسَ اللَّهُ خَالِدا	الطويل	الفرزدق	٣	٢٠٢
الحُزْنِ	بكى المنبرُ الحَرَميّ واستبكت لَهُ	الطويل	أبو عثمان خبَّاب مولى الهاشميين	٢	٣٧١
جَيرُونِ	القصرُ ذو النخلِ فالجَمَّا فَوْقَهُمُ	البسيط	أبو قطيفه عمرو بن الوليد بن عقبة	١	١٠١
حَزِينِ	ما كنتُ من قَبْلِ مِلْكِ قَلْبي	البسيط	لم يذكر	١	٦١٠
يَرْمَيني	رميتُ بالهمّ غيري إذ رُميتُ به	البسيط	عبدالرحمن بن الضحاك	١	٢٥٨
	(الياء)				
المَطِيَّا	أيها النـاسُ قد برزتُ وطـوَّفْت	الرمل	لم يذكر	١	٣٢١
أَعْطَافِيَه	كأني إذا متُّ لم أضطرِبْ	المتقارب	المهاجر بن خالد	٢	١٣١
رِجَالِيَهْ	ما للزمان وما لِيَهْ	الكامل	أمرأة نائحة	١	٢٩٤

القافية	الشـــــطر	البحر	القـــــائل	عدد الأبيات	الصفحة
الجَالِيَةْ	كُهُولُ دِمَشْق وشبَّانُهَا	المتقارب	عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية	٢	١٣١
الكَمِيِّ	عليِّ الشأنِ ذى السطوات حقَّاً	وافر	لم يذكر	٤	٩
		الألف الميتة			
الهُدَى	أداوُدُ أنت الإِمام الرِّضَى	المتقارب	عيسى بن عبدالعزيز ابن السَلْعَبُوس	٧١	٣٨١ـ٣٨٥
الثرَىَ	سِبْـطُ الرسُولِ ونَجْلُ فاطمة التي	الرجز	لم يذكر	٦	١١
مَضَى	فماذا عَسَى أتْعبتُ نفسي وإنما	الطويل	عبدالعزيز بن فهد	٤	١٥
المُصْطفَى	أداوُدُ قد فزْتَ بالمكرمات	المتقارب	يحى بن مسكين بن أيوب بن محارب	١٠	٣٨٠ـ٣٨١
يُرْوَى	فلاجُودَ إلَّا من تفاريع جُودِهِ	الطويل	لم يذكر	٥	٥

فهرس شعار الجزء الثاني

القافية	الشـــــطر	البحر	القـــــائل	عدد الأبيات	الصفحة
		(الطاء)			
أَطَاعَا	حَفِظَ العهدَ بَعْدَنَا أم أضَاعا	الخفيف	أبوعامر منصور بن سحبان الزَيدي	١٩	١٠٢ــ١٠٤
يجمعُ	أمفرقاً جمعَ الخزائن إذ غَدا	الكامل	نجم الدين محمد بن محمد الطبري	٢٣	٣٢ــ٣٤
		(الفاء)			
يُرتشَفْ	بما فيك ياخِلُّ مِنْ ذا الهَيَفْ	المتقارب	جمال الدين محمد بن عبدالوهاب اليافعي	٢	٣٥٧
التَّلَفْ	بهذا الفُتُور وهذا الهَيَفْ	المتقارب	السيد حسن بن عجلان	٤	٣٥٥
التَّلَفْ	لِمَا أَبْدَعَ اللهُ من ذا التَّرَفْ	المتقارب	محمد بن موسى المُراكشي	١٠	٣٥٥ــ٣٥٦
		(القاف)			
البَرقَا	خليليَّ هيّا فأنظرا ذلك البَرْقَا	الطويل	عبدالواحد القيرواني	١٦	٢٩
دقِيقَا	نَخَلْتُ الناسَ بعد أبي لجَامٍ	الوافر	محمد بن العليف جمال الدين	٢	٢١٥
صَديقَا	فأرْبأ بنفسِكَ أن تُرى	الكامل	لم يذكر	١	٢٨٦
أَليَقُ	أترضى بإتلافِ المحب ظلامة	الطويل	يحى بن يوسف النشو	١٢	١٨٠ــ١٨١
تصدقُ	ها قَدْ مَلَكْتَ لمُهْجَتِي وحشاشَتِي	الكامل	يحى بن يوسف النشو	١٤	١٢٣ــ١٢٤
الخلائفُ	عَدَلْتَ فما تُورِى الهلالَ المشارقُ	الطويل	شهاب الدين أحمد الحسني الفاسي	٢١	٣٥٧ــ٣٥٩
المترقرقِ	ما أومضت سَحَراً بُروقُ الأبرقِ	الكامل	أبو عامر منصُور الزيدي	١١	١٠١ــ١٠٢
		(الكاف)			
بِسَوَاكِ	وقائلةٍ لم نِمْتَ لَيْلةَ وَصْلِنا	الطويل	السيد بركات بن حسن	٥	٤٥٧
الفَتْكِ	ما جاء قطُّ ولم يأْتِنا	السريع	أبوالخير محمد بن عبدالقوى	٥	٤٩٧
		(اللام)			
أمَّلا	وافَتْ بدوْلَتِك السعادةِ لِلْمَلَا	الكامل	قطب الدين أبو الخير محمد	٢٦	٣٧٤ــ٣٧٧
أنْزَلَهْ	يا أهلَ بيت رسول الله حُبُّكُمُ	البسيط	لم يذكر	٢	٦٠٣
مَالَا	رُزءٌ أنال المسلمينَ خَبَالا	الكامل	نورالدين علي بن ناصر الدين الحجازي الشافعي	٣٥	٦٢١ــ٦٢٤
حُلُولُهُ	أما الملوكُ فكلّهم من دونِهِ	الكامل	يحيى بن يوسف النشو	٤	١٥٧
عَذُولُهُ	لولا الغَرامُ وُوَجْدُهُ ونُحُولُه	الكامل	يحيى بن يوسف النشو	١٤	١٥٤ــ١٥٥
الظليلُ	بأمِّ شَمَيْلَةٍ حَسُنَ المقيلُ	الوافر	أبوالخير محمد بن ابي السعود القرشي	٨	٦١٠ــ٦١١
الأسلِ	العِزُّ بالعَزْمِ لا بالجُبْنِ والكسل	البسيط	أحمد بن موسى بن الوكيل شهاب الدين	٦١	٢١٦ــ٢٢٢

فهرس أشعار الجزء الثالث

مصادر التحقيق ومراجعه

١ ـــ إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ دولة بني الحسن .
ابن المحب الطبري : محمد بن علي بن فضل الله ، المتوفي سنة ١١٧٣هـ .
مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

٢ ـــ إتحاف الورى بأخبار أم القرى .
عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي : نجم الدين ، المتوفي سنة ٨٨٥هـ نشر مركز إحياء التراث . تحقيق فهيم محمد شلتوت . ومخطوطة تيمور الجزء الرابع .

٣ ـــ أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار .
الأزرقي : محمد بن عبدالله بن أحمد ، أبو الوليد ، المتوفي سنة ٢٤٤ ترجيحا ، تحقيق رشدي صالح ملحس ـــ مطابع دار الثقافة ـــ مكة .

٤ ـــ أساس البلاغة .
الزمخشري : محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم ، المتوفي سنة ٥٣٨ . دار الكتب المصرية ١٩٧٢ م .

٥ ـــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
ابن عبدالبر : يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي ، أبو عمر، المتوفي سنة ٤٦٣ هـ تحقيق على محمد البجاوي ـــ مكتبة ومطبعة نهضة مصر ـــ القاهرة .

٦ ـــ أسد الغابة في معرفة الصحابة .
ابن الأثير : على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف ، بابن الأثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٠هـ مطابع الشعب ـــ القاهرة ١٩٧٠م .

٧ ـــ الإشارة إلى سير المصطفى وآثار من بعده من الخلفا .
مغلطاي بن قليج المصري : علاء الدين أبو القاسم المتوفي سنة ٧٦٢ هـ ـــ مخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى .

٨ ــ الاشتقاق .

ابن دريد : محمد بن الحسن ، أبو بكر ، المتوفي سنة ٣٢١هـ تحقيق عبدالسلام هارون ــ مؤسسة الخانجي ــ القاهرة ١٣٧٨هـ .

٩ ــ الإصابة في تمييز الصحابة .

ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل ، المتوفي سنة ٨٥٢هـ ــ مؤسسة الحلبي وشركاه (دار إحياء الكتاب العربي) القاهرة ١٣٢٨هـ .

١٠ــ الأعلام .

خير الدين الزركلي ، المتوفي سنة ١٣٩٦هـ ــ طبعة بيروت .

١١ــ الإعلام بأعلام بيت الله الحرام .

قطب الدين النهروالي : محمد بن أحمد بن محمد بن محمود الحنفي المكي ، المتوفي سنة ٩٨٨هـ طبعة أوربا .

١٢ــ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .

السخاوي : محمد بن عبدالرحمن ، شمس الدين ، المتوفي سنة ٩٠٢ هـ ــ مطبعة الترقي ــ القاهرة ١٣٤٩هـ .

١٣ ــ إغاثة الأمة بكشف الغمة .

المقريزي : أحمد بن علي تقي الدين ، المتوفي سنة ٨٤٥هـ ــ دار ابن الوليد ــ القاهرة .

١٤ــ الأغاني .

أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين ، المتوفي سنة ٣٥٦هـ ــ دار الكتب المصرية .

١٥ــ الأمالي .

أبو على القالي : إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، المتوفي سنة ٣٥٦ ــ دار الكتب المصرية ، والهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٦ــ الإمامة والسياسة .
ابن قتيبة : عبدالله بن مسلـم بن قتيبـة الدينـوري ، أبـو محمـد ، المتـوفي سنـة ٢٧٦هـ مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٨٨هـ .
١٧ــ إنباء الغمر بأبناء العمر .
ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقـلاني ، شهـاب الديـن أبـو الفضل ، المتوفي سنة ٨٥٢هـ . تحقيق الدكتـور حسن حبشي ــ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ــ وطبعة الهند .
١٨ــ أنساب السمعاني .
عبدالكريم بن محمد المروزي الشافعي ، المتوفي سنة ٥٦٢ ــ مكتبة المثنى ــ بغداد ١٩١٢ م .
١٩ــ إهداء اللطائف في أخبار الطائف .
حسن بن علي العجيمي المكي ، أبو الأسرار ، المتوفي سنـة ١٢٩٣ هـ تحقيـق يحيى محمود جنيد ساعاتي ــ دار ثقيف ــ الطائف .
٢٠ــ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون .
إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي ــ وكالة المعـارف الجليلـة ــ إسطنبـول ١٣٦٤هـ .

(ب)

٢١ــ البحرية في مصر الإسلامية .
الدكتورة سعاد ماهر ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة .
٢٢ــ البداية والنهاية .
ابـن كثير : إسماعيـل بن عمـر ، أبـو الفـدا ، المتـوفي سنـة ٧٧٤ ــ مكتبـة المعارف ــ بيروت .
٢٣ــ بدائع الزهور في وقائع الدهور .

ابن إياس : محمد بن أحمد بن أياس الحنفي ، المتوفي سنة ٩٣٠هـ ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى . الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ .
٢٤ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .
محمد بن علي الشوكاني ، المتوفي سنة ١٢٥٠هـ ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة ١٣٤٨هـ .
٢٥ــ بغية المرام بأخبار ولاة البلد الحرام .
عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ، المتوفي سنة ٨٨٥ هـ مخطوط الهند ــ مصورة بمركز البحث العلمي .
٢٦ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
الجلال السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر ، المتوفي سنة ٩١١ هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٣٨٤هـ .
٢٧ــ بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى .
عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي المتوفي سنة ٩٢٢هـ مخطوط مكتبة الحرم المكي ــ مصورة بمركز البحث العلمي .
٢٨ــ بلوغ المرام في شرح مسك الختام .
حسين بن أحمد العرشي ، المتوفي سنة ١٣٢٩هـ ــ نشر الأب أنستاس ماري الكرملي طبعة القاهرة ١٩٣٩م .
٢٩ــ بهجة الزمن في تاريخ اليمن .
عبدالباقي بن عبدالمجيد بن عبدالله بن مثنى بن احمد المخزومي اليماني ، المتوفي سنة ٧٤٣هـ ــ القاهرة ١٩٦٥م .
٣٠ــ بهجة المجالس وأنس المجالس .
ابن عبدالبر : يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي ، أبو عمر المتوفي سنة ٤٦٣هـ تحقيق محمد مرسي الخولي الدار المصرية للتأليف والترجمة ــ القاهرة .

٣١ــ بهجة المهج في فضائل الطائف ووَج .
الميـورقي : أحمد بن علي بن عيسى بن محمـد بن زيـاد العبـدري ، أبـو العبـاس الميورقي ، المتوفي سنة ٦٧٨هـ تحقيق الدكتـور إبـراهيم زيـد نشر نادي الطائـف الأدبي الثقافي .

٣٢ــ بين مكة واليمن .
عاتق بن غيث البلادي ــ دار مكة .

(ت)

٣٣ــ تاج العروس .
الزبيـدي : محمـد مرتضي الحسينـي الواسطـي الزبيـدي . محب الديـن أبـو الفيض ، المتـوفي سنـة ١٢٠٥هـ . المطبعـة الخيريـة بالجماليـة ــ القاهـرة ١٣٠٦هـ .

٣٤ــ تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) .
ابـن خلـدون : عبدالـرحمن بن محمـد بن خلـدون الإشبـيلي ، المتـوفي سنـة ٨٠٨هـ ــ المطبعة الخديوية ــ القاهرة ١٢٨٤هـ .

٣٥ــ تاريخ بغداد :
الخطـيب البغـدادي : أحمد بن علي أبـو بكـر ، المتـوفي سنـة ٤٦٣ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .

٣٦ــ تاريخ الخلفاء .
الجلال السيوطـي : عبدالـرحمن بن أبي بكـر ، المتـوفي سنـة ٩١١ هـ تحقيـق الشيخ محيى الدين عبدالحميد ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة .

٣٧ــ تاريخ خليفة بن خياط .
خليفة بن خياط العصفرى ، المتوفى سنة ٢٤٠هـ تحقيق الدكتـور أكـرم ضيـاء العمري ــ مطبعة الآداب ــ النجف ــ العراق ١٣٨٦هـ .

٣٨ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) .
محمد بن جرير الطبري ، أبو جعفر ، المتوفي سنة ٣١٠هـ ـ دار القاموس الحديث ـ بيروت .
٣٩ـ تاريخ عمارة المسجد الحرام .
حسين عبدالله باسلامة ، المتوفي سنة ١٣٥٦هـ ـ المطبعة الشرفية ـجدة ١٣٥٤ هـ .
٤٠ـ التاريخ الكبير للبخاري .
محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الجعض البخاري ، الحافظ ، أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٢٥٦هـ ، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد الدكن ـ الهند ١٣٨٠هـ .
٤١ـ التبر المسبوك في الذيل على السلوك .
السخاوي : محمد بن عبدالرحمن ، شمس الدين ، المتوفي سنة ٩٠٢ هـ ـ القاهرة ١٨٩٦م
٤٢ـ التبيين في أنساب القرشيين .
عبدالله بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، موفق الدين ، المتوفي سنة ٦٢٠هـ مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٣٩٤ تاريخ .
٤٣ـ تجريد أسماء الصحابة .
الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز ، شمس الدين أبوعبدالله ، المتوفي سنة ٧٤٨ هـ تصحيح طالحة عبدالحكيم شرف الدين ـ الناشر شرف الدين الكتبي ـ الهند ١٣٨٩هـ .
٤٤ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة .
السخاوي : محمد بن عبدالرحمن ، شمس الدين المتوفي سنة ٩٠٢ هـ نشر أسعد طرابزوني الحسيني ١٣٩٩ هـ .

٤٥ـ تذكرة الحفاظ .
الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز ، شمس الدين أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٧٤٨ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
٤٦ـ تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور (قلاوون) .
محيي الدين عبدالظاهر ، المتوفي سنة ٦٩٢هـ تحقيق الدكتور مراد كامل ـ وزارة الثقافة ـ الإدارة العامة للثقافة ـ القاهرة ١٩٦١م .
٤٧ـ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى .
محمد البقلي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .
٤٨ـ التكملة لوفيات النقلة .
المنذرى : عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذرى ، زكي الدين أبو محمد ، المتوفي سنة ٦٥٦هـ تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١هـ .

٤٩ـ تهذيب تاريخ دمشق .
الشيخ عبدالقادر بدران ، المتوفي سنة ١٣٤٦هـ ـ دار المسرة ـ بيروت ١٣٩٩هـ .

٥٠ـ تهذيب التهذيب .
ابن حجر : أحمد بن على بن حجر الكتاني العسقلاني ـ شهاب الدين أبو الفضل ، المتوفي سنة ٨٥٢هـ دار صادر ـ بيروت مصورة عن طبعة الهند ١٣٢٥هـ .

٥١ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال .
المزى : يوسف بن زكي المزى ، المتوفي سنة ٧٤٢ ـ مصورة عن مخطوط دار الكتب المصرية .

(ج)

٥٢ــ الجامع الصحيح (سنن الترمذي) .
محمد بن عيسى بن سورة ، أبو عيسى الترمذي ، المتوفي سنة ٢٧٩ هـ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٥٦هـ .

٥٣ــ الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف .
ابن ظهيرة : محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي ، جار الله جمال الدين ، المتوفي سنة ٩٥٠هـ مكتبة الثقافة ــ مكة .

٥٤ــ جمهرة أنساب العرب .
ابن حزم : على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، أبو محمد ، المتوفي سنة ٤٥٦ ه تحقيق العلامة عبدالسلام هارون دار المعارف ــ القاهرة ١٣٩١هـ .

٥٥ــ جمهرة أنساب العرب وأخبارها .
الزبير بن بكار القرشي الأسدي ، أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٢٥٦هـ تحقيق العلاقة محمود شاكر ــ مكتبة دار العروبة ١٣٨١هـ .

(ح)

٥٦ــ حسن القرى في أودية أم القرى .
محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي ، جار الله محب الدين ، المتوفي سنة ٩٥٤هـ ــ مخطوط اليمن .

٥٧ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
الجلال السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر ، المتوفي سنة ٩١١هـ ــ مطبعة الموسوعات ــ القاهرة .

٥٨ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .
أبو نعيم : أحمد بن عبدالله الأصبهاني ، المتوفي سنة ٤٣٠هـ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .

٥٩ـــ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور .
يوسف بن تغري بردي ـــ جمال الدين أبو المحاسن ، المتوفي سنة ٨٧٤ هـ
تلخص وليم پوپر . ط أوربا .

(خ)

٦٠ـــ خطط على مبارك (الخطط التوفيقية) .
على باشا مبارك ـــ المطبعة الأميرية ـــ القاهرة ١٣٠٦هـ .
٦١ـــ خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) .
المقريزي : أحمد بن علي ، تقي الدين ، المتوفي سنة ٨٤٥هـ دار التحرير للطباعة والنشر ـــ القاهرة .
٦٢ـــ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال .
الخزرجي : أحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري ، صفي الدين ، المتوفي سنة ٩٢٣هـ ـــ مكتبة المطبوعات الإسلامية ـــ بيروت ١٣٩١هـ .

(د)

٦٣ـــ دائرة المعارف الإسلامية .
ترجمة ابراهيم زكي خورشيد وآخرين ـــ طبعة طهران .
٦٤ـــ دائرة معارف البستاني .
المعلم بطرس البستاني . مصورة دار المعارف ببيروت عن طبعة طهران .
٦٥ـــ دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين .
محمد فريد وجدي المتوفي سنة ١٣٧٣هـ ـــ دار المعرفة ـــ بيروت ـــ طبعة ثالثة ١٩٧١م .
٦٦ـــ درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .
عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري الجزيري ، المتوفي سنة ٩٧٦ هـ

تحقيق محب الدين الخطيب ، وآخر تحقيق الشيخ حمد الجاسر ــ المطبعة السلفية بالقاهرة ــ دار اليمامة بالرياض .

٦٧ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .
ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ــ تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة ــ القاهرة .

٦٨ــ الدر الكمين ذيل العقد الثمين .
عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ، نجم الدين ، الموفي سنة ٨٨٥هـ .

٦٩ــ الدليل الشافي على المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي .
يوسف بن تغري بردي ــ جمال الدين أبو المحاسن ، المتوفي سنة ٨٧٤هـ تحقيق فهيم محمد شلتوت . نشر مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى .

٧٠ــ دول الإسلام
الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز ، شمس الدين أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٧٤٨ هـ تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى إبراهيم ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٧٤ م .

٧١ــ دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ــ النظم السياسية .
الدكتور عبدالمنعم ماجد ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ١٩٦٤م .

٧٢ــ ديوان إبراهيم بن هرمة .
إبراهيم بن علي بن هرمة الفهري القرشي المدني ، المتوفي ، سنة ١٥٠هـ ، تحقيق محمد جبار المعيبد ــ مطبعة النجف العراق ١٣٨٩ هـ .

٧٣ــ ديوان أبي تمام .
حبيب بن أوس الطائي ، المتوفي سنة ٢٣١ هـ تحقيق محمد عبده عزام ــ دار المعارف ــ مصر .

٧٤ـــ ديوان ابي الطيب المتنبي .
أحمد بن حسين الجعفي الكندي ، المتوفى مقتولا سنة ٣٥٤هـ ـــ تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الابياري ـــ دار المعرفة ـــ بيروت ١٣٩٧ هـ .
٧٥ـــ ديوان البحتري .
الوليد بن عبيد الطائي ، أبو عبادة ، المتوفي سنة ٢٨٠هـ ـــ تحقيق حسن كامل الصيرفي ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ١٩٧٢ م .
٧٦ـــ ديوان الفرزدق .
همام بن غالب بن صعصعة التميمي ، المتوفي سنة ١١٠ هـ ـــ دار بيروت ـــ بيروت .
٧٧ـــ الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين) .
أبو شامة : عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي الشافعي ـــ شهاب الدين أبو محمد المتوفي سنة ٦٦٥هـ ـــ دار الجيل ـــ بيروت ـــ ١٩٤٧ ، ١٩٧٤م .

(ر)

٧٨ـــ رحلة ابن جبير .
محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي البلنسي ، المتوفي سنة ٦١٤هـ ـــ مطبعة السعادة ـــ القاهرة ١٣٢٦هـ .
٧٩ـــ الرحلة الحجازية .
محمد لبيب التبانوني المتوفي سنة ١٣٥٧هـ ـــ مطبعة الجمالية ـــ القاهرة ١٣٢٩ هـ .
٨٠ـــ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام .
عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ، المتوفى سنة ٥٨١هـ تعليق وضبط طه عبدالرءوف سعد ـــ مكتبة الكليات الأزهرية ـــ

القاهرة .
٨١ــ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين .
أبو شامـة : عبدالـرحمن بن اسماعيـل المقـدسي الدمشقـي ، شهـاب الديـن ، المتوفي سنة ٦٦٥ هـ ــ دار الجيل ــ بيروت .
٨٢ــ الرياض النضرة في مناقب العشرة .
محب الدين الطبري : أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكـر . أبـو العبـاس ، المتوفي سنة ٦٩٤ هـ ــ مطبعة دار التأليف ــ القاهرة ١٣٧٢هـ .

(س)

٨٣ــ السلوك لمعرفة دول الملوك .
المقريزي : أحمد بن علي ، تقي الدين ، المتوفي سنة ٨٤٥ هـ تحقيق الدكتـور محمد مصطفى زيادة والدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور لجنـة التأليـف والتـرجمة والنشر ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة .
٨٤ــ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي .
العصامي : عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي ، المتـوفي سنـة ١١١١هـ المطبعة السلفية ــ القاهرة .
٨٥ــ السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر .
الشيلي : محمد بن أبي بكر بن أحمد ، الشهير بالشيلي بن أبي بكـر بن علـوي الحسيني التريمي ثم المكي ، المتوفي سنة ١٠٩٣هـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٧٢٣ تاريخ .
٨٦ــ سير أعلام النبلاء .
الذهبـي : محمـد بن أحمد بن عثمان بن قيمـاز ، شمس الديـن أبـو عبداللـه ، المتـوفي سنـة ٧٤٨هـ ــ جماعـة من المحقـقين ــ مؤسسة الرسالـة ــ بيروت ١٤٠٢هـ .

٨٧ــ السيرة النبوية .
ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير ، عماد الدين أبو الفدا ، المتوفي سنة ٧٧٤هـ تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد ــ عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٨٤ هـ .
٨٨ــ سيرة النبي .
محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المتوفي سنة ١٥١ هـ تهذيب عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفي سنة ٢١٨هـ تحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد ــ مكتبة على صبيح ــ القاهرة .
٨٩ــ السيف المهند في سيرة الملك المؤيد .
البدر العيني : محمود بن أحمد بن موسى ، أبو محمد المتوفي سنة ٨٥٥هـ تحقيق فهيم محمد شلتوت ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة .

(ش)

٩٠ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
ابن العماد : عبدالحي بن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح ، المتوفي ١٠٨٩ هـ المكتب التجاري للطباعة والنشر ــ بيروت .
٩١ــ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية .
محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني المصري ، المتوفي سنة ١٢٢هـ دار المعرفة ــ بيروت .
٩٢ــ شرح مصطلحات صبح الأعشى .
محمد البقلي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة .
٩٣ــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام .
الفاسي : محمد بن احمد بن على الفاسي ، تقي الدين ، المتوفي سنة ٨٣٢هـ عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٩٥٦م .

(ص)

٩٤ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا .
القلقشندي : أحمد بن علي ، أبو العباس ، المتوفي سنة ٨٢١هـ . دار الكتب المصرية ـ القاهرة .

٩٥ـ صحاح الجوهرى (تاج اللغة وصحاح العربية) .
إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر ، المتوفي سنة ٣٩٣هـ ـ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ .

٩٦ـ صحيح مسلم .
مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، أبو الحسين ، المتوفي سنة ٢٦١ هـ محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) القاهرة ١٣٧٤هـ .

٩٧ـ صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ـ المسماة بتاريخ المستبصر .
ابن المجاور : يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي ، جمال الدين أبو الفتح ، المتوفي سنة ٦٩٠ هـ ـ ليدن ١٩٥١ م .

(ض)

٩٨ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .
السخاوي : محمد بن عبدالرحمن شمس الدين ، المتوفي سنة ٩٠٢ هـ ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

٩٩ـ كتاب الطبقات .
خليفة بن خياط العصفري ، المتوفي سنة ٢٤٠هـ ـ تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ـ مطبعة العاني ـ بغداد .

١٠٠ ـ طبقات الشعراء .
ابن المعتز : عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، قتل

سنة ٢٩٦هـ تحقيق عبدالستار فراج ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧٦م .

١٠١ ــ طبقات فقهاء اليمن .

عمر بن علي بن سمرة الجعدي ــ كان حيا سنة ٥٨٦هـ تحقيق فؤاد سيد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٤٠١هـ .

١٠٢ ــ الطبقات الكبرى .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، أبو عبدالله كاتب الواقدي ، المتوفي سنة ٢٣٠هـ دار صادر ــ بيروت .

(ع)

١٠٣ ــ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .

الفاسي : محمد بن أحمد بن على الفاسي الحسني ، تقي الدين ، المتوفي سنة ٨٣٢ هـ تحقيق فؤاد سيد ، نشر معالي الشيخ محمد سرور الصبان . مطبعة السنة المحمدية ــ القاهرة .

١٠٤ ــ العقد الفريد .

ابن عبد ربه : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، أبو عمر ، المتوفي سنة ٣٢٨ هـ . شرح وضبط العلامة أحمد أمين وآخرين . دار الكتاب العربي ــ بيروت .

١٠٥ ــ العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية .

الخزرجي : علي بن الحسن ، المتوفي سنة ٨١٢هـ ــ تصحيح محمد بسيوني على ــ مطبقة الهلال بالفجالة ــ القاهرة ١٣٣٢هـ .

١٠٦ ــ على طريق الهجرة .

عاتق بن غيث البلادي ــ دار مكة .

١٠٧ ــ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير .

ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله الأندلسي ثم المصري ،

فتح الدين أبو الفتح المتوفي سنة ٧٣٤ هـ ــ دار المعرفة ــ بيروت .

(غ)

١٠٨ ــ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني .
يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ــ المتوفي سنة ١١٠٠هـ ــ تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة ١٣٨٨هـ .

(ف)

١٠٩ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري .
ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل ، المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ــ محمد فؤاد عبدالباقي ــ ومحب الدين الخطيب ــ المطبعة السلفية ــ القاهرة .

١١٠ ــ الفتح القسيّ في الفتح القدسي .
العماد الكاتب الأصفهاني : محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني ، أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٥٩٧ هـ تحقيق الدكتور جوده هلال ، ومحمود محمد صبح ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة .

١١١ ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل .
ابن حزم : على بن أحمد بن حزم الظاهري ، المتوفي سنة ٤٥٦هـ ــ المطبعة الأدبية بمصر ١٣٢٠هـ .

١١٢ ــ الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد .
ابن الديبع الشيباني : عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني العبدري الزبيدي ، وجيه الدين أبو محمد ، المتوفي سنة ٩٤٤ هـ ــ تحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون ــ الكويت ١٤٠٣هـ .

١١٣ ــ فهرس الفهارس والاثبات .

عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني ، باعتناء الدكتور إحسان عباس ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ١٤٠٢هـ .

١١٤ ــ فوات الوفيات .

محمد بن شاكر الكتبي ، المتوفي سنة ٧٦٤هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ــ دار صادر ــ بيروت ١٩٧٣م .

(ق)

١١٥ ــ القاموس المحيط .

الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي . مجد الدين ، المتوفي سنة ٨١٧هـ ــ المطبعة الحسينية القاهرة ١٣٤٤ هـ .

١١٦ ــ قلب جزيرة العرب .

فؤاد حمزة ــ القاهرة ١٣٨٨ هـ .

(ك)

١١٧ ــ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة .

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز ، شمس الدين أبوعبدالله ، المتوفي سنة ٧٤٨ هـ ــ تحقيق عزت على عيد عطية ، وموسى محمد علي الموشى . دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٩٢هـ .

١١٨ ــ الكامل .

ابن الأثير : علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، عز الدين ، المتوفي سنة ٦٣٠ هـ مطبعة حجرى قديمة غير مؤرخة .

١١٩ ــ الكامل .

المبرد : محمد بن يزيد النحوي ، أبو عباس ، المتوفي سنة ٢٨٥هـ مكتبة

المعارف ــ بيروت ــ ومكتبة النصر ــ الرياض ــ .
١٢٠ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة ، المتوفي سنة ١٠٦٧هـ وكالةالمعارف ــ اسطنبول ١٣٦٠هـ .
١٢١ ــ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة .
محمد بن محمد بن أحمد الغزى ، نجم الدين ، المتوفي سنة ١٠٦١ هـ ــ محمد أمين دنج ــ بيروت .

(ل)

١٢٢ ــ لسان العرب .
ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المصري جمال الدين ، المتوفي سنة ٧١١ هـ ــ دار صادر ــ بيروت ١٣٨٨ هـ .
١٢٣ ــ لسان الميزان .
ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل ، المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ــ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت ١٣٩٠هـ .
١٢٤ ــ لطائف المعارف .
الثعالبي : أبو منصور بن عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، المتوفي سنة ٤٣٠هـ ــ تحقيق إبراهيم الأبياري ، وحسن كامل الصيرفي ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة ١٣٧٩هـ .

(م)

١٢٥ ــ مآثر الإنافة في معالم الخلافة .
القلقشندي : أحمد بن علي بن أحمد شهاب الدين ، المتوفي سنة ٨٢١هـ ــ

تحقيق عبدالستار فراج ــ عالم الكتب ــ بيروت ١٩٦٤ م .
١٢٦ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
على بن أبي بكـر الهيثمـي ، نور الديـــن ، المتـــوفي سنـــة ٨٠٧ هـ ــ دار الكتاب ــ بيروت .
١٢٧ ــ المحبر .
ابـن حبيـب : محمـد بن حبيـب بن أميـة بن عمـــرو الهاشمي البغـــدادي ، أبوجعفر ، المتوفي سنة ٢٤٥هـ ــ تحقيق د/إيلـزه ليختـن ستير ــ دار الآفاق الحديثة ــ بيروت ١٩٧٧ م .
١٢٨ ــ محيط المحيط .
بطرس البستـاني المتـوفي سنـة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) مكتبـة لبنـان ــ بيروت ١٩٧٧ م .
١٢٩ ــ المختصر في أخبار البشر .
أبو الفدا : إسماعيل بن الأفضل على بن المظفـر الأيـوبي ، المؤيـد عمـاد الديـن أبو الفدا ، المتوفي سنة ٧٣٢ هـ ــ المطبعة الحسينيـة ــ القاهـرة ــ الطبعـة الأولى .
١٣٠ ــ المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكـة من القـرن العـاشر إلى القرن الرابع عشر .
مؤلـف النـرش عبداللـه مرداد ، أبـو الخير ، المتـوفي سنـة ١٣٤٣ هـ والمختصر الشيـخ محمـد سعيـد العامـودي والشيـخ أحمد على ــ مكتبـة عالم المعرفـة ــ جدة ١٤٠٦ هـ .
١٣١ ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعبر من حوادث الزمان .
اليافعي : عبدالله بن أسعـد بن علي بن سليمـان ، أبـو محمـد ، المتـوفي سنـة ٧٦٨ هـ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت ١٣٣٧هـ .
١٣٢ ــ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان .

سبـط ابـــن الجوزي : يوسف قزا أوغلي ، المتـــوفي سنـــة ٦٥٤ هـ ـــ الجزء الثامن ـــ نشر ريتشارد جويت ـــ باريس ١٨٧٢ م .

١٣٣ ـــ مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .

عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ، صفي الديـن ، المتـوفي سنـة ٧٣٩ هـ ـــ تحقيق العلامة على محمد البجاوي ـــ دار المعرفة بيروت ١٣٧٣ ه .

١٣٤ ـــ مروج الذهب ومعادن الجوهر .

المسعـــودي : على بن الحسين بن علي ، أبـــو الحسين ، المتـــوفي سنـــــة ١٣٤٦ هـ ـــ تحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد ـــ دار الفكـر العـربي ـــ بيروت ١٣٩٣هـ .

١٣٥ ـــ المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسبائهم .

الذهبـي : محمـد بن أحمد بن عثمان بن قيمـاز . شمس الديـن أبـو عبداللـه ، المتوفي سنة ٧٤٨ه ـــ تحقيق العلامة عى محمـد البجـاوي دار إحيـاء الكـتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ١٩٦١ م .

١٣٦ ـــ كتاب المصاحف .

السجستـاني : عبدالله بن أبي داود سليمـــان بن الأشعث السجستـــاني ، أبو بكر ، المتوفي سنة ٣١٦ هـ تحقيق الدكتور آثر جفـري ـــ الرحمانيـة بمصر ١٣٥٥ هـ .

١٣٧ ـــ المعارف .

ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم الدينوري ، أبو محمد ، المتوفي سنة ٢٦٧ هـ ـــ تحقيـق محمـد إسماعيـل الصاوي ـــ المطبعـة الإسلاميـة ـــ مصر ـــ الأزهـــر ١٣٥٣هـ .

١٣٨ ـــ معالم مكة التاريخية والأثرية .

عاتق بن غيث البلادي ـــ دار مكة ـــ ١٤٠٠هـ .

١٣٩ ـــ معجم الأدباء .

ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ، المتوفي سنة ٦٢٦هـ مكتبة عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ، ودار المأمون برعاية الدكتور أحمد فريد رفاعي سنة ١٣٥٧ هـ .

١٤٠ ــ معجم البلدان .

ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ــ المتوفي سنة ٦٢٦ ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة ١٣٢٤ هـ .

١٤١ ــ المعجم الذهبي (فارسي عربي) .

الدكتور محمد التونجي ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٦٩ م .

١٤٢ ــ معجم الشعراء .

المرزباني : محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب ، أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٣٨٤ هـ تصحيح وتعليق د ــ ف ــ كرنكو ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٢ هـ .

١٤٣ ــ معجم الشيوخ .

عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ، نجم الدين ، المتوفي سنة ٨٨٥ هـ تحقيق محمد الزاهي ــ دار اليمامة ــ الرياض .

١٤٤ ــ معجم قبائل الحجاز .

عاتق بن غيث البلادي ــ دار مكة للنشر والتوزيع ١٣٩٩ هـ .

١٤٥ ــ معجم قبائل العرب .

عمر رضا كحالة ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٣٩٨هـ .

١٤٦ ــ معجم قبائل المملكة العربية السعودية .

الشيخ حمد الجاسر . النادي الأدبي ــ الرياض ١٤٠١ هـ .

١٤٧ ــ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع .

السهيلي : عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٤٨٧ هـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٣٦٤ هـ .

١٤٨ ــ معجم معالم الحجاز .
عاتق بن غيث البلادي ــ دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٤ هـ .
١٤٩ ــ معجم المؤلفين .
عمر رضا كحالة . مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي .
١٥٠ ــ المعجم الوسيط .
مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٣٩٢ هـ .
١٥١ ــ كتاب المغازي .
الواقدي : محمد بن عمر بن واقد ، المتوفي سنة ٢٠٧ هـ ــ تحقيق د/مارسدن جونس ــ الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت ١٩٦٤ م .
١٥٢ ــ المغانم المطابة في معالم طابة .
الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن أبي بكر ــ مجد الدين المتوفي سنة ٨١٧ هـ تحقيق الشيخ حمد الجاسر دار اليمامة ــ الرياض ١٣٨٩ هـ .
١٥٣ ــ المغني في الضعفاء وبعض الثقات .
الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز ــ شمس الدين أبو عبدالله ، المتوفي سنة ٧٤٨ هـ ــ تحقيق نور الدين عتر ــ دار المعارف ــ سوريا ١٣٩١ هـ .
١٥٤ ــ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان .
ابن طولون ــ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي ، المتوفي سنة ٩٥٣ هـ تحقيق الدكتور محمد مصطفى ــ وزارة الثقافة ــ المؤسسة المصرية للتأليف ــ القاهرة ١٣٨١ هـ .
١٥٥ ــ مقاتل الطالبين .
أبو الفرج الأصفهاني : على بن الحسين ، المتوفي سنة ٣٥٦هـ تحقيق العلامة

سيد أحمد صقر ــ دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ١٣٦٨ هـ .
١٥٦ ــ الملابس المملوكية .
ل . ا . ماير ــ ترجمة صالح الشيتي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٧٢ م .
١٥٧ ــ الملل والنحل. (بهامش الفصل) .
الشهرستاني : محمد بن عبدالكريم ، المتوفي سنة ٥٤٨ هـ ــ المطبعة الأدبية ــ القاهرة ١٣١٧ ــ ١٣٢٠ هـ .
١٥٨ ــ منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم .
على بن محمد السنجاري ، المتوفي سنة ١١٢٥هـ مخطوط مكتبة الحرم المكي .
١٥٩ ــ المنجد في الأعلام .
الطبعة السابعة ــ دار المشرق ــ بيروت ١٩٧٣ م .
١٦٠ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم .
ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج ، المتوفي سنة ٥٩٧ هـ ــ دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ .
١٦١ ــ المنتقى في أخبار أم القرى .
اختيار وانتقاء المستشرق فردناند ويستنفيلد من كتاب تاريخ مكة للفاكهي غوتنغة ــ المانيا ١٣٧٥ هـ .
١٦٢ ــ موطأ مالك .
الإمام مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني ، المتوفي سنة ١٧٩هـ ــ اعداد محمد فؤاد عبدالباقي ــ دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٧٠ هـ) .
١٦٣ ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال .
الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز ، شمس الدين أبو عبدالله ،

المتوفي سنة ٧٤٨هـ تحقيق العلامة على محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ١٣٨٢ هـ .

(ن)

١٦٤ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
يوسف بن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن ، المتوفي سنة ٨٧٤ هـ دار الكتب المصرية ــ والهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة .

١٦٥ ــ نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان .
على بن داود الصيرفي ، المعروف بالخطيب الجوهري ، المتوفي سنة ٩٠٠هـ تحقيق الدكتور حسن حبشي ــ دار الكتب المصرية ــ القاهرة ١٩٧٣ م .

١٦٦ ــ نسب قريش .
مصعب بن عبدالله الزبيري ، المتوفي سنة ٢٣٦ هـ ليفي بروفنسال . دار المعارف للطباعة والنشر .

١٦٧ ــ النقود العربية .
الدكتور عبدالرحمن فهمي محمد ــ وزارة الثقافة ــ المكتبة العربية ــ القاهرة ١٩٦٤ م .

١٦٨ ــ نهاية الأرب في فنون الأدب .
النويري : احمد بن عبدالوهاب ، شهاب الدين ، المتوفي سنة ٨٣٣ هـ ــ دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٦٩ ــ النهاية في غريب الحديث .
ابن الأثير الجزري : مبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المتوفي سنة ٦٠٦هـ تحقيق الدكتور محمود الطناحي ، وطاهر الزواوي ــ المكتبة الإسلامية .

(و)

١٧٠ ــ الوافي بالوفيات .
الصفدي : خليل بن أيبك ، صلاح الدين ، المتوفي سنة ٧٦٤هـ ــ دار نشر فراتز شتاينر ــ فسبادن ١٣٨١ هـ .
١٧١ ــ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى .
السمهوري : على بن عبدالله بن أحمد ، نور الدين ، المتوفي سنة ٩١١ هـ ــ مطبعة الآداب ، مطبعة المؤيد القاهرة .
١٧٢ ــ الوفا بأحوال المصطفى .
ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي البغدادي ، أبو الفرج ، المتوفي سنة ٥٩٧هـ ــ تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد ــ دار الكتب الحديثة ــ القاهرة .
١٧٣ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
ابن خلكان : أحمد بن محمد ، شمس الدين أبو العباس ، المتوفي سنة ٦٨١هـ ــ المطبعة الأميرية ــ القاهرة ١٢٩٩ هـ .

الجزء	الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـــواب
١	٦	١٩	مصوراتهما	مصوراتها
»	١٤	٨	لباحث يقطع	لباحث أن يقطع
»	١٨	١٦	في نسختنا	في نسختنا وقف بنا
»	٣١	١٠	عن الترمذى	عند الترمذى
»	٣٩	٢١	دار	دارا
»	٦٩	١٥	واد القرى	وادى القرى
»	٨٨	٣	مَرْوٌ	مَرْوُ
»	٩٧	٨	الكريمى	الكديمى
»	٩٨	١٠	أبى زرعة	أبى رزمة
»	١٢٩	١٥	أمْ	أمَّ
»	١٣٢	٢	ربع عمر	ربع عمر
»	١٣٣	٧	مِنْ آل	مِنَ آلِ
»	١٣٣	٧	الحزمْ	الحزمُ
»	١٣٩	١٢	علم	على
»	١٧١	٦	يزيل	ديزيل
»	١٧٢	١٦	أبو موسى	موسى
»	٢٠٣	١	العجيلى	العجلى
»	٢٠٤	٣	هذَّامٌ	هذَامٌ
»	٢٠٩	٧	هاشم	هُشَيم
»	٢٣٧	١٧	عمر	عمرو
»	٢٤٣	٢١	عمر	عمرو
»	٣٠٦	٩	سبا	سبيا

الجزء	الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
١	٣٢٧	١٢	توقظينا /	توقظينا / ٥٦و
»	٣٢٧	١٣	إبْتِدَاراً	ابْتِدَارًا
»	٣٣٩	٤	ابن عبد	بن عبد
»	٣٧٦	١٨	وخبر	في خبر
»	٣٨١	١٢	خصَاصتَتَهَم	خصَاصتَتَهُم
»	٣٨٢	٨	وَفُودٌ	وُفُودٌ
»	٣٨٧	١١	فأجزتم	فأجرتم
»	٣٨٨	٢	صغر	صغْر
»	٤٥٨	٢١	محمد إسماعيل	محمد بن إسماعيل
»	٤٦٤	٥	يحيى	يحيى
»	٤٦٥	١٥	المظفر	المظفرى
»	٤٦٩	٥	أبى الحسين	ابن الحسين
»	٤٨٨	٢٠	تَنَصُّبه	نُتَصُّبه
»	٤٩٩	٩	الحسينى	الحسنى
»	٥٠٥	٩	سُبَّرحَان	سُبُّوحَان
»	٥٠٧	١٥	وَتَنَزِعُ	وَتَنْزِعُ
»	٥١٦	١٠	الفاس	الفاسى
»	٥٢٨	١٣	مالك ابن	مالك بن
»	٥٣٠	٩	مكارِمَ	مكارِمُ
»	٥٣٢	١٤	قليتة	فليتة
»	٨٣٩	١٨	يعد	بعد
»	٥٤٣	٩	الدين بن يوسف	الدين يوسف
»	٥٤٣	١٥	العرائم	العزائم
»	٥٥٢	١١	ابن مكثر	بن مكثر

الجزء	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	٥٦١	١٦	الموت	أَلَمُوت
»	٥٧٤	٦	شـ مة	شامة
»	٥٧٥	١٠	ابن الريحانى	بن الريحانى
»	٦١٠	١٧	الحبشي	الحبش
»	٦٢٩	١٠	انتى	انتهى
»	٦٤١	٤	أبى نمىّ	أبو نمىّ
٢	٤٢	١٦	أمره أمْرُه	آمره أمْرُه
»	٤٦	الغُرَّ	الغُزَّ	
»	٦٤	١	(٥)	(١)
»	٦٤	١٨	(٥)	(١)
»	٦٥	٩	مواطئه	مواطأة
»	١٤٨	١٩	الأشراف	الأشرف
»	١٧١	١٦	بين مغامس	بن مغامس
»	٢٤٨	١٨	عليٌّ	عليٍّ
»	٣٨٩	٧	استجمع	استعجم
»	٤١٤	١	جَدَة	جَدّهُ
»	٤٢٦	١٩	ووالفالق	والفالق
»	٤٢٦	٢٢	دقاق	دفاق
»	٤٥٤	٧	بِذِكْرِهِمْ	بِذِكْرِهِمُ
»	٤٦٢	١٦	كالبرهان	كالبَرْهَمَان
»	٥٣١	١٠	عجان	هجان
»	٥٣٣	٢١	غيفة	غيقة
»	٥٥٩	١١	الضهران	الضهوان

الجزء	الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٢	٥٨١	٩	لسيد	السيد
»	٥٩٧	١١	شابع	سابع
»	٦١٧	٢	إلي	إليَّ



شركة مكة للطباعة والنشر
مكة المكرمة - ت : ٥٢٠٣٠٥٤

شركة مكة للطباعة والنشر
مكة المكرمة . ت : ٥٢٠٣-٥٤